حياة الموات في بيان سماع الأموات

كتاب يحتج بالقرآن والسُّنة على أن الله تعالى أعطى الأموات قوة السماع والإدراك ولكننا لا نشعر بذلك

تأليف

شيخ الإسلام

الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي

رحمه الله رحمة واسعة

١٢٧٢ - ١٣٤٠هـ / ١٨٥٦ - ١٩٢١م

ترجمة وتحقيق

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

أسسها محمد علي بيضون

سنة 1971 بيروت - لبنان

حياة الموات في بيان سماع الأموات

كتاب يحتج بالقرآن والسنة على أن الله تعالى أعطى الأموات قوة السماع والإدراك ولكننا لا نشعر بذلك

تأليف

شيخ الإسلام

الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي

رحمه الله رحمة واسعة

١٢٧٢ - ١٣٤٠هـ/١٨٥٦ - ١٩٢١م

ترجمة وتحقيق

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : حياة الموات
في بيان سماع الأموات

Title : ḤAYĀT AL-MAWĀT
FĪ BAYĀN SAMĀʿ AL-AMWĀT

Classification: Dogma	التصنيف : عقيدة

المؤلف : الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي (ت1340 هـ)

Author : Al-Imam Ahmad Rida Khan Al-Qadiri Al-Brilawi (D.1340H.)

المحقق : الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

Editor : Dr. Anwar Ahmad Khan Al-Baghdadi

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	240	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2014 A.D - 1435 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنــان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-7955-5
ISBN-10: 2-7451-7955-1

الإهـداء

إلى العلماء الأجلّة الأحياء من أساطين الملّة البيضاء، الّذِين خالفُوا الباطلَ بكلِّ أشكالِه، وحاربُوه أينما كانَ، لم يقولوا إلا حقّاً، ولم ينطقوا إلا صِدقاً، أولئك الغَيارَى من المؤمنين الّذِين تصَدّوا لمنْ أنكر سماعَ الموتى خلافاً للمنهج القويم من القرآن والحديث، وخلافاً لما أجمعَ عليه علماء الأمّةِ قديماً وحديثاً.

وبالأخَصّ منهم مُصنِّف هذا الكتاب، الإمامُ الجليلُ، العالمُ الربانيُّ، المجدّدُ العبقريُّ، المحدّث الهنديُّ، الفاضل البريلويُّ، الإمام الفَذّ، مولانا الشَّاه أحمد رضا خان القادري البريلوي (نوَّرَ الله تعالى مرقَدَه).

نهدي إليهم جميعاً هذا الجهد المتواضع عِرفاناً بفضلهم.

أنوار أحمد خان البغدادي

كلمات الشكر والامتنان

انطلاقاً من قولِ الرَّسُول الأعظم - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1] أتشرَّفُ بإهداء كلمات الشكر والامتنان إلى جميع الإخوة الأحِبّاء الذين ساعدوني في إخراج هذا الكتاب، وبالأخصّ الأخ الفاضل مولانا نور الحسن الأزهري، الذي ساهم في إعداد هذا الكتاب مساهمةً فعالةً تُقدَّر بنظر الاعتبار، والأخ العزيز إرشاد أحمد البركاتي، الذي له مساهمةً مشكورةً من جهاتٍ عِدّة، من كتابةٍ على الكمبيوتر، ومساعدةٍ على التخريج، وغيرها، كما لا ينبغي أن أنسى في هذا المقام عزيزي السعيد مولانا محمد طيب العليمي، الذي ساهم في القراءةِ الثانية لنصوص الكتاب بقدر الاستطاعة، فبارك الله تعالى فيهم، وأثقل ميزان حسناتهم يوم القيامة. (آمين)

---

(١) رواه الإمام الترمذي في جامعه عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة، الباب ٣٥، رقم الحديث: ٢٠١٨، مطبوعة المكنز الإسلامي، القاهرة، ٢/ ٥١٠. وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في سننه باختلاف يسير في الألفاظ عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الأدب، رقم الحديث: ٤٨١٣، مطبوعة المكنز الإسلامي، القاهرة، ٢/ ٨١٠.

تقريظ الشيخ عبد القادر محمد الحسين الدمشقي

الحمد لله الباعث الوارث، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أحيى الله تعالى به القلوبَ، سيدنا الحبيب المحبوب من ذكره يحيي النفوس والقلوب، محمد خير خلقه، ثم الرضا عن أصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان، وعلى الورَّاث المحمديين الذين ينفون عن هذا الدين تأويلَ الجاهلين وانتحالَ المبطلين وتحريفَ الغالين، وعنا مثلهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أمّا بعد،

فإنّ من العقائد المتفق عليها بين علماء الإسلام أن الأرواح لا تفنى بموت أصحابها وأن الميت بخروج روحه قد انتقل من دار إلى دار، والدار التي انتقل إليها أوسع بكثير من الدار التي فارقها.. هذه الحقيقة القطعية قد تعامى عنها بعض من يزعم الانتساب إلى السلف ويموِّه على المسلمين بدعاوي الاتباع للكتاب والسنة وما ذاك إلا بطريقة انتقالية تخالف التفكير الموضوعي العلمي، فيأخذ هؤلاء من الكتاب والسنة ما وافق الهوى، ويدعون ما خالف الهوى حتى حصروا اتباع السلف في جملة من المسائل جعلوها ميزانا ممن وافقهم فيها فهو سلفي ومن خالفهم فهو مبتدع أو مشرد، ولو كانت الأدلة الصحيحة الصريحة متنورة. ومن تلك المسائل سماع الأموات لكلام الأحياء، وهي قضية غاية في الموضوع وعليها أحاديث صحيحة وحجج باهرة بأقل

من هذه الحجج بكثير قامت كثير من الأبواب الفقهية.

وقد أكرمني الله تعالى بالاطلاع على كتاب (حياة الموات في بيان سماع الأموات) لعلامة الهند شيخ الإسلام مولانا الإمام أحمد رضا خان البريلوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو رجل قد عرفنا فيه العلم الجم الواسع فهو بحر من بحار العلم، وله باع طويل في علوم الشريعة معقولها، ومنقولها مع غيرة عُمَرية فاروقية لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يحابي في الله تعالى أحدا، ولسان حاله يقول:

إذا صــحّ منك الودُّ يــا غاية المنى ... فكل الــذي فــوق التــراب ترابُ

يُغذّي هذه العلوم فيه حب فياض لسيد المرسلين ﷺ، وهذا هو لب الإسلام وجوهره، قد عرفنا في هذا الرجل أنه لم يألُ جهدا في حياته في الدفاع عن سيدنا محمد ﷺ وعن سننه وفق فهم سلف الأمة المجمع على إمامتهم وتقدمهم، فقد كان دأبه ذب الذباب وكنس التراب عن السنة الشريفة، فقد كان مجددا بحقّ لدين الإسلام، وأنا أنصح كل طالب علم أن يحرص على اقتناء كتبه جميعا، ومنها هذا الكتاب.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يحشرنا مع الشيخ الجليل في زمرة سيدنا محمد ﷺ وأن يجعلنا لحوضه من أول الواردين، إنه سميع قريب مجيب.

عبد القادر محمد الحسين

دمشق، غرة ربيع الأول سنة ١٤١٣هـ

تقريظ الدكتور سعد الجاويش

(كلية أصول الدين في جامعة الأزهر)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فليس الموت عدما محضا، بل هو مجرد انتقال من دارٍ لها أحكامها إلى دار أخرى، وحياة أخرى هي الحياة البرزخية، حتى يأتي أمر الله تعالى ويتقرر مصير الخلق. كذلك لا يعني الموت الانقطاع الكامل عن العالم المشاهد، وقد أنكر بعض الملاحدة الحياة البرزخية وفهموا أن الموت فناء محض، وانعدام كامل، ووصلوا من ذلك إلى إنكار الحياة الأخروية والحشر والحساب.

ومن هنا فقد بعث الله الهمّة في عالمنا الهمام وشيخ الإسلام بلا نزاع في القارة الهندية، وهو الإمام المجدد المنافح عن دين الله تعالى، مُزيل العقبات والأذى من طريق الإيمان، هو الإمام السلفي المحمدي المبارك الشيخ أحمد رضا خان القادري البريلوي - رحمه الله ورضي الله عنه وجزاه عن الإسلام خير الجزاء-.

والإمام الجليل باطلاعه الوافر، وما فتح الله عليه، ووهبه من حسن فهم للنصوص،

واستيعاب، وتدقيق النظر اطلع على شُبه المنكرين وأدلتهم فناقشها في هذا البحث المسمى (حياة الموات في بيان سماع الأموات) فردَّ عليها ردا هادئا مقنعا، لا يملك القارىء إلا أن يسلم للإمام شيخ الإسلام رحمه الله بما كتب ويشهد له بسعة الأفق والتوفيق الكبير من الله تعالى.

وقد أورد الشيخ الإمام عدة أسئلة وأجاب عنها بفيض العزيز الوهاب ودعم إجاباته بالأدلة الصحيحة الموثقة من المصادر الأصيلة، وإيراد تلك الأسئلة المحتملة والتي يتوقع أن تدور في كل ذهن، وإجاباته عنها جهد مشكور وعمل نزيه واسع الفائدة في مسألة شائكة، فإذا بالأمر يتضح ولا يملك المعترض، وقد أجاب الشيخ عن كل شبهة تتوقع، إلا أن يدعو للإمام بالرضوان من الله ولمن يسَّرَ هذا البحث بترجمته وتقريبه للقارىء في موقعه بالشكر والدعاء أن يطيل الله في عمره ويعم بنفعه إنه هو البر الرحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د/ سعد الجاويش

كلية أصول الدين، جامعة الأزهر الشريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المترجم

الحمدُ لله الذي خلق الإنسانَ، وجعل له روحا لا تفنى في حينٍ من الأحيان، ومَنَّ علينا بثروة الإيمان، الذي به تصعدُ أرواحُنا إلى الجنان، وتبقى تستلذُّ بفضل الرحمن، وتتمتّع بصلاحيّاتٍ خوَّلها الحكيم المنّان، فلا يغار منها إلا مَن كان من إخوان الشيطان، فنعوذ به من كل ذي حسد وشنآن. والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده إلى يوم ذي شأن، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، وعلى جميع صلحاء أمته، الذين ازدادت قواهم الروحانية بعد انتقالهم من الدنيا إلى ظلال الرحمة والغفران. اللّهم ارزقنا خيراً في الدنيا والآخرة، ولا تجعلنا ممن حُظوا بالحِرمَان.

وبعد،

يزخر تاريخنا العربي الإسلامي بالعلماء الأحياء الأفذاذ الذين تصدّوا للبدع والأهواء وذادوا عن الملة البيضاء، وفنّدوا الأفكار السّوداء بلا لومة لائم. لا يعبأون، ولا يرتعدون، ولا يهمُّهم إلا الحق. يبذلون قصارى جهودهم في إحياءِ مَا مَاتَ مِن السنة، والسُّنة تمنحهم الحياة الأبدية هنا وفي الآخرة، أوراق الكتب تشهد بحياتهم، وأرواحهم تتمتع بألْطافٍ إلهيةٍ، إلّا أنَّ الناس لا يشعرون.

كما نرى هذا الكتاب البديع الذي بين أيدينا، فإنَّ أوراقه تشهد بحياة مؤلِّفِه، ومؤلِّفُه يتمتع بألطافٍ خالدةٍ من الربِّ الكريم.

إنَّ هذا الكتاب يتحدث عن مسألةٍ مهمّةٍ اختلِفَ فيها، وهي مسألة سماع الأموات؛ فإنَّ فريقاً يظنُّ أن الميت من المستحيل أن يسمع ويجيب؛ لأنه مات، فانتهى أمره، وأصبح كالجماد.

وأمَّا فريق آخر فيرى أن الله تعالى يُعطي الميِّتَ قوة السماع والإدراك إلا أننا لا نشعر بذلك.

هذا هو الرأي الصائب الذي يُرجِّحُه هذا الكتاب في ضوء الكتاب والسنة وأقوال العلماء والعرفاء، فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره، وتولّى وذهبَ أصحابُه حتى إنه لَيُسمع قرع نعالهم)[١].

ورواه مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا)[٢]. وكذلك رواه أبو داود[٣]، والنسائي[٤] أيضا في صحاحهما.

وروى الإمام مسلم عن سيدتنا عائشة الصديقة [٥] - رضي الله تعالى عنها - وسيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، فقال: (السلام عليكم دار قوم

---

(١) صحيح البخاري، مطبوعة المكنز الإسلامي، القاهرة، كتاب الجنائز، الباب ٦٧، رقم الحديث: ١٣٥١، ١/ ٢٥٠.

(٢) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنة وصفة نعيمها، الباب ١٨، رقم الحديث: ٧٣٩٦، ٢/ ١٢٠٨.

(٣) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب السنة، الباب ٢٧، رقم الحديث: ٤٧٥٣، ٢/ ٧٩٩، ورواه عن براء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «إنه ليسمع خفق نعالهم» مكان «قرع نعالهم»، كتاب السنة، الباب ٢٧، رقم الحديث: ٤٧٥٥، ٢/ ٧٩٩.

(٤) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الجنائز، الباب ١٠٩، رقم الحديث: ٢٠٦٢، ١/ ٣٣٦.

(٥) روى عنها في كتاب الجنائز، الباب ٣٥، رقم الحديث: ٢٢٩٩، ١/ ٣٨١.

مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)[1].

وروى الإمام مسلم عن سيدتنا عائشة الصديقة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: (إن ربك يأمرك أن تاتي أهل البقيع، فتستغفر لهم. قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)[2].

وروى الإمام أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «الاستذكار» و«التمهيد» عن عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال: (ما من أحد يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا عرفه، وردَّ عليه السلام)[3].

وروي عن عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - حديث طويلٌ، جاء فيه أن النبي ﷺ قال: (فإنه يسمع خفق نعالهم ونفض أيديكم إذا ولّيتم عنه مدبرين)[4].

وروي عن أم المؤمنين الصديقة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: (ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس وردَّ عليه حتى يقوم)[5].

هذه وغيرها أحاديثُ كثيرةٌ تخبرنا عن حياة الموات، يمكنك الرجوع إليها في المقصد الثاني من هذا الكتاب، إلّا أنَّ أصحاب الفئة المحدثة لا يعقلون، انظر ما قالَه

---

(1) رواه في كتاب الطهارة، الباب ١٢، رقم الحديث: ٦٠٨، ١/ ١٢٣.

(2) رواه في كتاب الجنائز، الباب ٣٥، رقم الحديث: ٢٣٠١، ١/ ٣٨٢. ورواه عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا أن النبي ﷺ كان يعلِّمهم، فكان قائلهم يقول: «السلام على أهل الديار...». (ينظر: كتاب الجنائز، الباب ٣٥، رقم الحديث: ٢٣٠٢، ١/ ٣٨٢).

(3) ينظر: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مطبوعة فور بندر، غجرات (الهند)، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢٠٢.

(4) ينظر: المصدر نفسه، (باب: فتنة القبر)، ص:١٢٣ - ١٢٤.

(5) ينظر: المصدر السابق، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم)، ص: ٢٠٢.

رئيسُهم الشيخ عبد العزيز ابن باز في مقالٍ نشرتْه جريدة «المسلمون» في عددها رقم (٥٦٤) الصادر يوم الجمعة ٢ رجب ١٤١٦هـ، تحت عنوان «الموتى لا يسمعون» جوابا لسؤال: هل الميت يشعر بالزيارة له؟ وهل يسمع الدعاء؟

ففي هذا الجواب كتب ما كتب ونصه: (لا أعلم دليلا من الكتاب والسنة يدل على ذلك، بل ظاهر القرآن الكريم يدل على عدم سماع الموتى للسلام عليهم، لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقوله تعالى عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠].

وأمّا ما ورد من سماع قتلى بدر الذين طرحوا في القليب لكلامه ﷺ حينما قال لهم: (هل وجدتم ما وعد ربكم، فإني وجدت ما وعدني ربي حقا) إلى أن قال: هذا خاص بهم عملا بهذا الحديث الصحيح.

وهكذا قوله ﷺ عن مشيعي الجنازة اذا انصرفوا عنه: (إنه ليسمع قرع نعالهم) يعني الميت. خاص لا يقاس عليه، وهو مستثنى من الآيتين المذكورتين)[(١)].

هذا رئيسهم وشيخهم يقول إنه لا يعلم دليلا من الكتاب والسنة على ذلك! وأنت قد رأيتَ آنفا أن النبي ﷺ يُصرِّحُ أن الميت يشعرُ فيستأنس بالزيارة، ويردُّ على السلام...، فماذا يعني هذا! أو ليست هذه الأحاديث دليلا على شعور الميت وسماعه! أم هذا جهل مركب، أين ذهبت دعواهم! وأين طار علمهم في الحديث! اقرأ هذا الكتاب ستتلاشى أفكارهم، وتتطاير مزاعِمُهم، فإنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه.

والحقُّ أنّك لتستغرب من هذه الفئة كثيرا لِما تجد في أفكارهم من تناقضٍ، وتطافلٍ، وتطاولٍ حتى يُخيَّل لك أن هذه الفئة أعجوبة هذا الزمان، ألم تر أنهم يكفنون أمواتهم بأحسن ما يسر لهم، مستخدمين العطور الزكيَّة، نسألهم لِم كلُّ هذا الاحتفاء

---

(١) ينظر: كتاب «الرد على من أنكر سماع الموتى» لفضيلة الشيخ الدكتور عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري (المدير العام لدائرة أوقاف دبي سابقا)، نشره: مركز أهل السنة بركات رضا، فوربندر، غجرات، (الهند)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص: ١.

والاهتمام؟ هل يستاهل الجماد كلَّ هذا؟ أليس يعني هذا إسرافاً! وأنتم تعتقدون أنَّ الميت سيبلى في القبر، فلماذا هذا الكفن الجديد؟! ولماذا هذا الاعتناء البهيج؟! كل ذلك تعملون، ولكنّكم لا تشعرون بأنَّ الميت يتفاخر بالكفن الجديد، ويفرح بالروائح الزكيّة، ويستأنس بها، كما يستأنس حين الزيارة له. فلقد رأيت كل ذلك في الأحاديث المذكورة آنفا.

وأغرب من ذلك أنهم يجعلون عدم سماع الموتى أصلا، ويأوِّلون الأحاديث التي تدل على السماع، بأنها خاصة.

أقول: إن الأحاديث التي تثبت سماع الموتى كثيرة، كما تراها في هذا الكتاب، وما ثبت بالكثير فهو الأصل، وأمّا القول بأنها خاصة، فهذا دعوى بلا دليل، وللتخصيص لا بدَّ من مخصّص، فلا مخصص هنا في زعمهم إلا الآيتين المذكورتين في كلام الشيخ ابن الباز، وهذا خطأ فاحش منه؛ لأن الآيتين ليستا مما نحن فيه، وإنما الآيتان لمآرب أخرى، كما أشار إليها العلماء الأجلة من الفقهاء والمفسرين.

فقد أثر عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنه فسر الإسماع بالإفهام، كما جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ﴾ بمُفهِم ﴿مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ مَن كأنه ميت في القبور[1].

كذلك حدَّدَ الراغب الأصبهاني دلالة السماع في مثل هذا السياق، فقال: (كل موضع أثبت الله السمع للمؤمنين أو نفى عن الكافرين أو حثّ على تحريه، فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه... وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ أي: لا تُفهمهم لكونهم كالموتى في افتقادهم بسوء فعلهم القوة العاقلة التي هي الحياة المختصة بالإنسانية)[2].

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت، ص: ٣٦٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص: ٢٤٢.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره تحت آية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢]: (أي الكفار الذين أماتَ الكفرُ قلوبَهم، أي: كما لا تُسمع من مات، كذلك لا تُسمع من مات قلبُه، وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي، وعمرو بن ميمون: «بمسمعِ مَن في القبورِ» بحذف التنوين تخفيفا، أي: هم بمنزلة أهل القبور في أنهم لا ينتفعون بما يسمعونه، ولا يقبلونه)[١].

وقال الإمام أبو البركات النسفي في تفسير «مدارك التنزيل» تحت هذه الآية من سورة فاطر: (شُبِّهَ الكفار بالموتى، حيث لا ينتفعون بمسموعهم)[٢].

وقال ابن كثير في تفسيره، تحت آية: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] (أي: لا تسمعهم شيئا ينفعهم، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر)[٣].

وقال تحت آية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢]: (أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة)[٤].

وينقل الإمام جلال الدين السيوطي في «الدر المنثور» عن قتادة أنه قال: (كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يستمع)[٥].

---

(١) تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٧/ ٢١٧.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، ٢/ ٣٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير، تأليف: الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٦/ ١٩٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ٧/ ٤٨٠ - ٤٨١.

(٥) الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٥/ ٢١٦.

وقال القاضي أبو السعود تحت آية: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠]: (وإنما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع)[١].

ويقول تحت آية: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] (لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون، شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس)[٢].

وقال الإمام السبكي في «شفاء السقام»: (لا ندعي أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع، إنما السماع بعد الموت لحي، وهو الروح)[٣].

وقال ابن قيم الجوزية في كتابه «الروح»: (سياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا يقدر على إسماعهم إسماعا ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعا ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئا ألبتة...)[٤].

وقال العلامة الحلبي في «سيرة إنسان العيون»: (السماع المنفى في الآية بمعنى السماع النافع، وقد أشار إلى ذلك الحافظ الجلال السيوطي بقوله:

سماع موتى كلام الخلق حق قد ... جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وآية النفي معناها: سماع هدى ... لا يقبلون، ولا يصغون للأدب)[٥]

---

(١) تفسير أبي السعود أو «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» للقاضي أبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي (ت: ٩٨٢هـ)، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ٥/ ١٠١.

(٢) تفسير أبي السعود، ٢/ ٢٤٨.

(٣) شفاء السقام للسبكي مطبوعة المكتبة النورية الرضوية، سكهر، باكستان، الباب التاسع، الفصل الخامس، ص: ٢٥٩.

(٤) ينظر: الردّ على من أنكر سماع الموتى، للدكتور عيسى مانع الحميري، ص: ٧. نقلا عن كتاب «الروح» لابن القيم الجوزية، ص: ٤٠.

(٥) ينظر: السيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، باب الغزوة الكبرى، ٢/ ١٨٢. ومن الملاحظ أن الدكتور عيسى مانع الحميري نسب هذين البيتين باختلاف يسير إلى الشيخ =

وقال مولانا علي القاري في «شرح المشكاة»: (النفي منصب على نفي النفع، لا على مطلق السمع)[(١)].

وكذلك أكّدَ الإمام الآلوسي رحمه الله في تفسيره تحت قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] أن المراد من السماع هو سماع تدبُّرٍ وقبولٍ، كما نقل قول الخفاجي وغيره: (ولعل في الآية ما يقتضي أن المراد يسمع من يشاء، سماع تدبر وقبول). ثم حمل الآلوسي السماع على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾، فقال: (ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات... والمراد بالسماع هنا ما أريد به في سابقه)[(٢)].

وقال تحت آية: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] (وشبهوا بالموتى؛ لأنهم لا ينتفعون بما يتلى عليهم، فقدم احتمال نسبة الموت إلى قلوبهم)[(٣)].

ويقول الشاه عبد القادر - أخو الشاه عبد العزيز - في «موضِّح القرآن» تحت الآية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]: (إنه لقد ورد في الحديث أن تقولوا

= محمد أنور الكشميري، في هامش كتابه «الرد على من أنكر سماع الموتى»، ص: ١٧. والصحيح أن البيتين للإمام السيوطي، كما نرى الإمام أحمد رضا يذكر هذين البيتين وينسبهما إلى الإمام السيوطي. وإذا وجد البيتين عند الإمام أحمد رضا، فهذا يعني أن البيتين ليسا للكشميري؛ لأنه يسبقه حوالي خمسين سنة، ولعلّ الكشميري ذكرهما استشهادا، وترك ذكر القائل للشهرة.

(١) مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري (ت: ١٠١٤هـ)، شرح مشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، باب حكم الأسَراء، ٧ / ٤٧٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٨/ ٣٥٩.

(٣) روح المعاني، ٧ / ٢٣٠.

للأموات: «السلام عليكم» فإنهم يسمعونه. فقد خاطب الأموات في مواضع عديدة، وحقيقة ذلك الخطاب أن أرواح الأموات هي التي تسمع، وأما الأبدان الملقاة في القبر فلا تسمع)[١].

وقال فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، في «أضواء البيان»: (إن المراد بالموت في الآية موت الكفر والشقاء، لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد مفارقة الروح للأبدان لما قابلَ قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بقوله: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، بل لقابلَه بما يناسبه، كأن يقال: «إن تسمع إلا من لم يمت» أي: يفارق روحه بدنه)[٢].

واستطرد الشنقيطي إلى أن قال: (اعلم أن الذي يقتضي الدليل رجحانه هو أن الموتى في قبورهم يسمعون كلامَ مَن كلَّمَهم. وأن قول عائشة - رضي الله عنها - ومن تبعها: إنهم لا يسمعون، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وما جاء بمعناها من الآيات غلط منها - رضي الله عنها، وممن تبعها. وإيضاح كون الدليل يقتضي رجحان ذلك، مبني على مقدّمتين: الأولى منهما: أن سماع الموتى ثبت عن النبيّ ﷺ في أحاديث متعدّدة، ثبوتًا لا مطعن فيه، ولم يذكر ﷺ أن ذلك خاص بإنسانٍ ولا بوقتٍ. والمقدمة الثانية: هي أن النصوص الصحيحة عنه ﷺ في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب، ولا في السُّنّة شيء يخالفها، وتأويل عائشة - رضي الله عنها - بعض الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة، لا يجب الرجوع إليه؛ لأن غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه، فلا تردّ النصوص الصحيحة عن النبيّ ﷺ بتأوّل بعض الصحابة بعض الآيات)[٣].

---

(١) موضّح القرآن للشيخ عبد القادر الدهلوي، أردو بازار، لاهور، ص: ٦٩٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، سنة الطباعة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ٦ / ١٢٥.

(٣) أضواء البيان، ٦ /١٢٨-١٢٩.

والإمام أحمد رضا خان – عليه رحمة المنّان – قد أجاب على هذه الشبهات بأجوبة ثلاثة، حيث قال:

(الجواب الأول: تنطق الآية صريحة بنفي الإسماع، لا بنفي السماع، ولهذا لا علاقة لها بما نحن فيه، ونظير هذه الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، ولهذا كما أعقب هناك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ كذلك أعقب هنا أيضا بقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. والحاصل هو نفس ما حصل هناك، وهو أن السماع ليس من عندك، وإنما من لدن الله – عَزَّوَجَلَّ – في المرقاة شرح المشكاة: فالآية من قبيل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦][1].

الجواب الثاني: لو نسلم بأنه ليس المراد هنا إلا نفي السماع، ولكنه سماع قبول وانتفاع على وجه القطع واليقين؛ فإن الأب يقول لولده العاق ألف مرة: إنه لا يسمعني، ولا يطيعني، ولا ينتفع بالسماع، فلا يفهم منه عاقل أن الصوت لا يصل إلى أذن الولد حقيقةً، وإنما يفهم منه الجميع أنه يسمع، ولكنه لا يجيب، فلا يفيده السمع، وعلى هذا فالآية تنص على انتفاء الانتفاع للكفار، لا على انتفاء السماع حقيقة، كما يقول الله – عَزَّوَجَلَّ – في تتمة هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].

فقد اتضح فيما سبق أنَّ مدةَ الانتفاع بالمواعيظ والنصح، هي هذه الدنيا فقط، فلا ينفع أحداً شيءٌ من السماع والتسليم بعد الموت، بل يؤمن جميع الكفار يوم القيامة، ولكنه لا يفيدهم، كما قال تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١].

الجواب الثالث: ولنسلِّمْ أن الآية تنصُّ على نفي السماع أصلا، ولكنه ممن؟ ومَن الموتى؟ الأبدان أم الأرواح؟ إذا كان الموتى عبارة عن الأرواح، فالأرواح لا تموت أبدا، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قل لي! عمن ورد النفي؟ وعمن كان في القبور، ومَن في القبور؟ الأجسام أو الأرواح؟ والأرواح تكون في العليين، أو الجنة، أو في السماء، أو على بئر زمزم،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب حكم الأُسَراء، ٧ / ٤٧٥.

وغيرها من مقامات العز والكرامة، وأرواح الكفار تكون في السجين، أو في النار، أو على بئر وادي البرهوت، وغيرها من أمكنة الذل والآلام)[١].

فالظاهر أن كلا التفسيرين لا يساعد المخالفين دليلا على عدم سماع الموتى، يقول فضيلة الشيخ الدكتور عيسى مانع الحميري: (ومن ثمّ فإن كلا التفسيرين لا يساعد الشيخ (ابن باز) «عليه ما عليه» فيما رآه ولا يؤيِّده فيما قاله، فإذا فسّرنا الموتى بالكفار، فالأمر ظاهر، وإذا فسّرنا الموتى بمن ماتوا فعلا فإن المراد بالسماع المنفي هو سماع الهداية والتكليف، لا مطلق السماع)[٢].

هكذا رأيتَ - أيها القارىء الكريم - بأمّ عينيك أن الأئمة من الفقهاء والمفسّرين يؤكّدون السماع في الآيتين سماعَ قبولٍ وانتفاع، إلّا أن أرباب هذه الطائفة الشّواذ أبَوا إلّا أن يُحملوا النصوص على الغرائب، وحدّثوا الناس بما لم يحدِّثْ به أحدٌ من الذين يُوثَق بهم، وتُؤخَذ أقوالُهم بنظر الاعتبار، فالشّاذ لا يأتي إلا بالشاذ، فإن كل إناء يترشح بما فيه. لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

والحقُّ أنَّهم لم يتدبّروا أن الله خالق كل شيءٍ وعلى كل شيءٍ قدير، فهو الذي خلَقَنا من العدم وأمتَعَنا بالسماع والبصر، وغير ذلك من القوى، وهو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. فالحياة الدنيوية ليست إلا مزرعا حصادها في الحياة الأخروية وهي التي تبدأ من انفصال الروح من البدن. والقبر أول منازل العذاب ومنازل الثواب، فإنه قطعة من النار للكافر، وروضة من رياض الجنة للمؤمن، هذا الذي قاله نبينا - صلى الله تعالى عليه وسلم.

إذن ما معنى هذا الانتفاع! أو ينتفع الميت الذي يراه هؤلاء كالجماد، فأي جماد

---

(١) ينظر: العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية للإمام أحمد رضا خان المحدث البريلوي، ترجمَه وحقّق نصوصه: جماعة من العلماء، نشره: مركز أهل السنة، بركات رضا، فور بندر، غجرات (الهند) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٩ / ٧٠٠ - ٧٠٢.

(٢) «الرد على من أنكر سماع الموتى» لفضيلة الشيخ الدكتورعيسى بن عبد الله بن مانع الحميري، ص: ٧.

هذا؟! يسمعُ، ويردُّ السلام، ينتفعُ، ويتمتعُ بالحياة، إلا أن تلك حياة، وهذه الأخرى التي نعيشها. وذلك لا يستبعد من الله العزيز القدير الذي يخبرنا عن نفسه قائلا في سورة الحج من القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج:٦].

بلى يا ربِّ! أنت العزيز القدير، قدير على كل شيء، يعطي عبادَه بغير حساب، فما من قوةٍ من القوى، وصلاحية من الصلاحيات، ومؤهلة من المؤهلات، واختيار من الاختيارات، وتصرف من التصرفات التي منح بها الإنسان، إلا مظاهر على قدرة الخالق المعطي، لا يرفضها أحد إلا من يغفل قدرة الله على كل شيء وفضله العظيم ونعمه الجسام؛ وذلك لأن الحياة الدنيوية والبرزخية مَعَارِضُ لإظهار قدرات الله اللّامتناهية، وتلك هي أشكالها ونماذجها.

في هذه الحياة البرزخية وما تتخول من صلاحيات وقدرات من بصر، وسماع، وإدراك من جانب المولى القدير، يبحث هذا الكتاب الذي بين أيديكم وهو كتاب علمي قيِّم يُوزَن بالذهب لِما يحتوي على براهين قاطعة، ودلائل ساطعة، ومادة علمية غزيرة، يقف القارىء أمامها متحيرا مستعجبا؛ لأنه يذهل حينما يرى بأمِّ عينيه أن المؤلِّف أثبت المسألة بستين نصّاً من الأحاديث النبوية والآثار الشريفة، وساق ما يقارب ٣٤٠ نصّاً لأئمة الدين والسّادة العلماء المتقين حتى جعل مسألة «سماع الموتى» مجمعا عليها، لا يرقأ إليها شك. ولا يمكن لعينٍ تطرف إليها.

إنه لَسِجِلٌّ مؤيَّدٌ بتأييد الله الصمد القدير الذي أقدرَ عبادَه على ما شاء من قوةٍ، وعزةٍ، وكرامةٍ، وكل ذلك بالله جدير. ألا ترى أنه يعلِّم آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الأسماء كلها، ويُنقذ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من النار المحرقة، ويغلب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على سَحَرة فرعون، وينصر المسلمين في بدر، وهم أذلة! كل ذلك جدير به، فإنه هو العزيز القدير الذي فضَّلَ على عالم من علماء الهند العباقرة، فأقدرَه على تأليف هذا الكتاب الذي لم ترَ عيني مثله في بابه، ليحسمَ المسألة من جذورها، ويَسُدَّ بابَ النقاش لأصحاب العقول السليمة.

ألَا إنَّ ذلك العالم الرباني الموهوب المتفرّد هو الإمام العبقريُّ مولانا أحمد رضا

خان القادري البريلوي (نوَّر الله تعالى مرقده). وإنني لم أبالغْ هنا شيئا لأنني على يقينٍ تام أنّكَ لو قرأت الكتاب من أوّله إلى آخره لقلتَ ما قلتُ، والرجل المؤمن يعترف ويقّول، وهذه هي شأنه.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم.

وقبل أن نتطرق إلى وصف هذا الكتاب من بيان محتوياته وأسلوبه وقيمته العلمية يحسن بنا أن نقف قليلا عند سيرة المؤلف، وهذه هي إليك.



تعريف المؤلف[1]

نسبه:

هو أحمد رضا خان بن محمد نقي علي خان بن محمد رضا علي خان بن محمد كاظم علي خان بن شاه محمد أعظم علي خان بن محمد سعادت يار خان بن محمد سعيد الله خان... رحمهم الله[2].

اسمه ولقبه:

سمي وقت ولادته بـ «محمد»، وسماه جده بـ «أحمد رضا» وهو الاسم الذي

(١) تنظر ترجمته في: «حيات أعلى حضرت» (الإمام أحمد رضا) لملك العلماء محمد ظفر الدين البهاري، اهتم بنشره: رضا أكاديمي، ممبئي، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٢م. «وسوانح أعلى حضرة» باللغة الأردية للشيخ العلامة بدر الدين أحمد القادري رحمه الله المكتبة النورية الرضوية، سكهر، الباكستان، الطبعة السابعة: ١٩٨٧م، وكتاب «الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي» للأستاذ مشتاق أحمد شاه بن نادر شاه، نشره: إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا، كراتشي، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م، وكتاب «النثر الفني عند الشيخ الإمام أحمد رضا خان، دراسة فنية وأسلوبية» للأستاذ قاضي السيد عتيق الرحمن شاه البخاري، نشره: إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا، كراتشي، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م. إضافة إلى مقدمات كتبه رحمه الله.

(٢) ينظر: حيات أعلى حضرة، ١ / ٨٢ - ١٠١. وسوانح أعلى حضرة، ص: ٩٣.

اشتهر به، واختير له اسم يوافق سنة ولادته بحسب أعداد الجمل، هو (المختار) الذي يوافق السنة الهجرية التي ولد فيها، وهي: (١٢٧٢هـ)، وقد أخرج الإمام البريلوي سنة ولادته من هذه الآية المباركة: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢][١].

وقد لقب إمامنا بألقاب عدة لما تميزت به شخصيته القوية الفذة من أوصاف نادرة، منها: «أعلى حضرت» وهذا هو اللقب الذي اشتهر به في شبه القارة الهندية من الهند، والباكستان، والبنغلاديش. وكذا في غيرها من البلاد حيث الجاليات الهندية تتمركز بثقافتها الدينية.

أسرته وولادته:

ولد في مدينة «بريلي» إحدى مدن الولاية الشمالية الهندية في ١٠ من شوال المكرم سنة (١٢٧٢هـ/ ١٤ حزيران ١٨٥٦م) في سلالة معروفة بالفضل والشرف والعلم والتقوى، تعود في أصولها إلى قبيلة (برهيج) الأفغانية التي كانت تقطن في مدينة (قندهار)، وقد رحل أحد من أجداده محمد سعيد الله خان إلى (لاهور) في عهد الدولة المغولية الإسلامية، وتولى مناصب مهمة في الدولة، وأما حفيده مولانا محمد أعظم علي خان فقد اختار مدينة «بريلي» موطنا له، حيث مولد الإمام ومدفنه، وهكذا كان قد تولى بعض أصحاب هذه الأسرة مناصب مهمة في الدولة، ولبعضهم سمعة طيبة في أوساط العلم والعلماء، فقد كان أبوه مولانا نقي علي خان (ت: ١٢٩٧هـ) رحمه الله عالما فاضلا، كما كان جده مولانا رضا علي خان (ت: ١٢٨٦هـ) رحمه الله عالما متقيا ورعا[٢].

---

(١) ينظر: سوانح أعلى حضرة، ص: ٩٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٩٣ - ٩٥.

نشأته وتعلمه:

وقد أدت هذه الخلفية المتميزة الواعية لأسرته الراشدة، وذكاؤه الخارق، وظيفة مهمة في تكوين شخصيته النابغة وعبقريته الفذة، فقد حير عقول الرجال من حوله بمنجزاته العلمية منذ نعومة أظفاره، حيث أنهى القرآن الكريم بالقراءة وعمره أربع سنوات، ووقف على المنبر خطيبا وعمره ست سنوات، وتخرَّجَ في العلوم الإسلامية في ١٤ شعبان سنة (١٢٨٦هـ) وهو لم يتجاوز الرابع عشر من عمره[١].

وبعد تخرجه في الدرس النظامي تصدر للإفتاء، وبدأ بالتأليف والكتابة إضافة إلى التدريس، وهكذا استمرت حياته بالعطاء إلى أن توفي تاركا لنا مآثر علمية ضخمة تنجزها المجامع العلمية، ليس الشخص الواحد، إلا الذي تغمده الله بفضله وكرمه.

زيارته للحرمين الطيبين:

في سنة ١٢٩٤هـ سافر الإمام مع والده المكرّم إلى الزاوية القادرية «المارهرة المطهرة» من زوايا الهند المشهورة ليبايع الإمام سيدي الشيخ الشاه آل رسول الأحمدي المارهروي (نوَّرَ الله مرقده) ويأخذ منه الطريقة، فما أن وقع نظر الشيخ على الإمام وافق على إعطائه الطريقة بدون التحري والامتحان خلافا لما كان المعتاد في حضرته، وذلك لما لاحظه من تباشير الفضل والصلاح في جبين إمامنا الأغر الأسعد[٢].

وبعد تشرّفه بهذا الشرف العظيم اتجه الإمام مع أبيه إلى زيارة الحرمين الشريفين في عام ١٢٩٥هـ. والتقى الإمام أثناء هذه الزيارة أكابر علمائها من أمثال الشيخ السيد أحمد دحلان وغيره، واستفاد بهم[٣].

---

(١) ينظر: سوانح أعلى حضرة، ص: ٩٣ - ٩٥.

(٢) حياة أعلى حضرة، ١/ ١٢١ - ١٢٣.

(٣) حياة أعلى حضرة، ١/ ١٣٣.

هذه هي المرة الأولى من زيارته، وأما زيارته للمرة الثانية فقد كانت في عام ١٣٢٣هـ. وفي هذه الرحلة الطيبة قام الإمام بتأليف «الدولة المكية بالمادة الغيبية»، و«كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم». وقد نال هذان الكتابان رواجا مقبولا في الأوساط العلمية، وأثنى عليه علماء الحرمين وغيرهم ثناء عطرا[1].

شيوخه وأساتذته:

المدرسة الأولى لتربيته وتعلمه تتشكل من أبيه وجده اللذين كانا عالمين كبيرين وفاضلين جليلين، فقد بذلا قصارى جهودهما في تثقيفه وإبراز محاسنه الأخلاقية وقدراته الإبداعية، حيث تفتقت قريحته، واستثمرت جهودهما، فلم يترك أفقا من الآفاق، بل تطلّع إلى كل أفق جديد، إضافة إلى هؤلاء، يذكر أنه استفاد من مرشده وشيخه في الطريقة سيدي الشاه آل رسول الأحمدي المارهروي، وسيدي الشيخ مولانا أبي الحسين النوري المارهروي، ومرزا غلام عبد القادر بيك [2]، والعلامة عبد العلي الرامفوري، فحسب من علماء الهند.

وأما من علماء العرب فقد تلقى بعض العلوم الإسلامية، وأخذ الإجازة، من أمثال الإمام الجليل الفقيه المحدث السيد أحمد بن زيني دحلان الشافعي المكي، والإمام الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السراج المكي مفتي الحنفية ورئيس العلماء بمكة

---

(١) ينظر: حياة أعلى حضرة، ١ /١٣٣. ومقدمة الدكتور حازم محفوظ على « الدولة المكية بالمادة الغيبية»، مؤسسة رضا، الجامعة الرضوية النظامية، لاهور، الباكستان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م. ص: ٢٠ - ٢٢.

(٢) ليس هذا الميرزا مؤسس القاديانية، وإنما هو الشيخ الحكيم مرزا غلام قادر بيك، من أبناء أهل السنة، ولد في لكناؤ سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، وانتقل به أبوه إلى مدينة «بريلي»، حيث موطن إمامنا البريلوي، وهنالك قرأ عليه الإمام الكتب العربية الابتدائية، توفي الشيخ المرزا هذا في مدينة «بريلي» في ١ محرم الحرام ١٣٣٦هـ المصادف ١٨ من أكتوبر ١٩١٧م. (المجلة الشهرية «سني دنيا» الصادرة من بريلي الشريفة، عدد حزيران ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ).

المكرمة، والشيخ حسين بن صالح المكي، وغيرهم - رحمهم الله جميعا -[١].

تلامذته :

وكما كان إمامنا مجمعا فعالا في الكتابة والتأليف، كذلك كان مدرسة قائمة بذاتها، تخرّج فيها الفقهاء، والمحدثون، والدعاة، والمفكرون، من أمثال الشيخ حامد رضا خان الملقب بـ «حجة الإسلام»، والعلامة مصطفى رضا خان الملقب بـ «مفتي الهند الأعظم»، والمفتي أمجد علي الملقب بـ «صدر الشريعة»، والشيخ محمد الكشوشوي الملقب بـ «محدث الهند الأعظم»، والداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصديقي الملقب بـ «مبلغ الإسلام» وغيرهم كثيرون، وكل منهم يشكّل مدرسة مستقلة.

هذا، ويذكر في تلامذته بعض الأعلام العرب الذين تلمّذوا على يده، وأخذوا منه الإجازة من أمثال الشيخ عبد الحي بن عبد الله الكتاني، والشيخ أحمد الخضراوي المكي، والشيخ السيد محمد سعيد المدني، والشيخ عبد القادر الكردي، وغيرهم - رحمهم الله تعالى[٢].

مؤلفاته :

كان رحمه الله كثير الإنتاج، غزير التأليف، فقد يقال إنه ألّف أكثر من ألف كتاب[٣] ما بين مؤلفات ضخمة ورسائل صغيرة، وقد يكون في هذا القول نوع من المبالغة إلا أن الذي لا بأس في جزمه هو أنه معروف بكثرة التأليف وأكثر من ثلاث مائة

---

(١) ينظر: حياة أعلى حضرة، ١ / ١١٥. و«سوانح أعلى حضرة»، ص: ٩١. ومقدمة الأستاذ الدكتور حازم المحفوظ على كتاب «الدولة المكية بالمادة الغيبية» للعلامة البريلوي، ص:١٨.

(٢) ينظر: سوانح أعلى حضرة، ص: ٣٣٣ - ٣٣٧.

(٣) ينظر: فقيه الإسلام (العطايا الرضوية في المسائل الشرعية) للدكتور حسن رضا، مطبعة تاج، إله آباد (الهند)، ص: ١٧٧.

كتاب من مؤلفاته متداول في الهند والباكستان والبنغلاديش، ولهذا صح أن يلقب بـ «السيوطي الثاني» في شبه القارة الهندية، ومن أشهر مؤلفاته «العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية» في اثني عشر مجلدا، و«الدولة المكية بالمادة الغيبية»، و«حسام الحرمين على منحر الكفر والمين» وغيرها.

إلمامه بالعلوم والفنون:

وكما كثرت مؤلفاته كذلك تنوعت، فقد قيل إنه كتب في أكثر من خمسين علما وفنا[1]، وفي أكثر من ثلاث لغات: العربية، والفارسية، والأردية. وقد تميزت مؤلفاته بالدقة، والموضوعية، وقوة الاستدلال، وتلك واضحة لمن يطالع كتبه مدققا بإنعام النظر فيها، ولا تأخذه أهواؤه التعصب والإنحياز.

براعته في الفقه الإسلامي:

وبجانب إلمامه بالفنون المختلفة وتضلعه من العلوم الإسلامية، قد تميز بنبوغه في الفقه الإسلامي، وبالأخص الفقه الحنفي تميزا واضحا، فقد ألّف في الفقه الإسلامي ما يربو على مائتي مؤلف ما بين مؤلفات ضخمة وكراسات صغيرة [2]. وتحمل كتبه هذه في ثناياها ميزات مهمة، تميزه من غيره من الفقهاء، منها: ندرة الاستنباط، وقوة الاستدلال، والإكثار من صور الجزئيات، وإحاطتها بضوابط، وغيرها من خصائص، لا تخفى على من يطالعها.

لغته العربية:

تنصب أهمية اللغة العربية في نظر الإمام لكونها لغة الحبيب المصطفى ﷺ ولغة

---

(١) ينظر: سوانح أعلى حضرة، ص: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) ينظر: فقيه الإسلام، ص: ٤٥٣ - ٤٦٧.

الحبيب حبيبة، بل كل ما ينسب إلى الحبيب فهو محبوب ومرغوب فيه. فالقلب الذي كان يضطرم بنار حب النبي ﷺ لهفةً وشوقاً، والعين التي كانت لا ترقأ إلا برؤية جماله، واللسان الذي لا ينطق إلا مدحه ومدح أوليائه وحزبه، لم يطمئن إلا أن يزين نفسه بكل ما يقتضيه هذا الحب المضطرم، فأحب العرب، لا لكونهم من القحطانية، أو النجارية، أو لشيء آخر، بل لأنهم ولد فيهم الحبيب المصطفى - عليه التحية والثناء -، كما أحبّ العربية، لا لكونها من السامية، بل لأنها لغة الحبيب المصطفى، ولغة القرآن ولغة الجنة.

من هذا المنطلق الإيماني أتقن الإمام العربية إتقانا كاملا، فقد كان قادرا عليها كتابةً ونطقا، كما تشهد مؤلفاته بالعربية وتفاصيل أسفاره إلى الحرمين الشريفين، إلا أن لغته العربية كلاسيكية على نهج الفقهاء الذين سبقوه زمنيا كالشامي وغيره، ولكن هذا لا يعني أن لغته تخلو عن حلاوة اللسان، فقد نجد تعابير تدغدغ الشعور وترهف الأحاسيس، فمثلا يقول في موضع من مواضع كتابه بالعربية «أجلى الإعلام بأن الفتوى مطلقا على قول الإمام»: (أقول: وهذا وإن كان قيلا باطلا مغسولا قد صرّح ببطلانه كبار الأئمة الناصحين، وصنف في إبطاله زبر في الأولين والآخرين، وقد حدثت منه فتنة عظيمة في الدين، من جهة فئةٍ محدثةٍ غيرِ المقلِّدِين، والله لا يصلح عمل المفسدين، ولعمري! هؤلاء المبيحون من العلماء - غفر الله تعالى لنا بهم - إن سبرتَهم واختبرتَهم لوجدتَ قلوبَهم آبية عما يقولون، وصنيعَهم شاهدا أنهم لا يحبونه ولا يريدون، ولا يجتنبونه بل يجتنبون، ويقولون في مسائل هذه تعلم وتكتم كيلا يتجاسر الجهال على هدم المذهب، ثم طول أعمارهم يتمذهبون لإمامهم، ولا يخرجون عن المذهب في أفعالهم وأقوالهم، ويصرفون العمر في الانتصار له والذبِّ عنه)[1].

هكذا نجد في لغته حلاوة اللسان وطلاوة الفكر، ما لا يخفى على من له بصيرة بالعربية ومن يتمتع بالذوق اللطيف.

---

(١) العبارة مأخوذة من كتابه باللغة العربية «أجلى الإعلام بأن الفتوى مطلقا على قول الإمام»، وهو كتاب قيم يتحدث عن مسائل مهمة في التقليد.

هذا، فضلا عن شعره العربي المتدفق بالحب والحنان تجاه النبي المصطفى ﷺ ومن تبعه بالإحسان من أصحابه وأوليائه – رضوان الله تعالى أجمعين –.

موقفه من التيارات الفكرية الهدامة:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوي المعارضة وشديد النكير على أصحاب البدع والمنكرات فقد قضى كل حياته منافحا عن بياض الإسلام، ومدافعا عن حياضه، ومتصديا لجميع التيارات الفكرية الهدامة، سواء هبّتْ ريحها من الغرب أو من الشرق، حيث نراه يؤلف أكثر من ست رسائل في ردّ «القاديانية»، ورسائل أخرى في رد الطبيعيين، وأخرى في غيرهم من أصحاب الملل والهوى.

دوره في رد البدع والمنكرات:

كما كان مرهف الإحساس، شديد الوعي للتيارات الفكرية الضالة، كذلك لم يغفل عما كان يجري في شبه القارة الهندية من أمور البدعة والخرافات والمنكرات، فقد كتب رسائل كثيرة في هذه المجالات، منها رسالته البديعة «جمل النور في نهي النساء عن زيارة القبور» التي كتبها غيرةً على الأمة الإسلامية ليحافظ على العتبات المقدسة من شر الفساد الذي بدأ يغزوها، وليضع حدّا فاصلا بين مهرجانات الهندوس والمناسبات الإسلامية النقية الصافية، وكذلك عنده رسالة في تحريم سجود التحية، ورسالة أخرى في المنع عن أخذ «التعزية» [1] ذكرى للإمام سيدنا الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيرها من الرسائل في رد البدع والمنكرات.

الخصائص الأسلوبية العامة في مؤلفاته :

لكل كاتب أسلوب، ولكل أسلوب خصائص وميزات تميزه عن غيره، وخصائص

---

(١) التعزية عبارة عن تماثيل مصنوعة من أوراق وقصب أو من ذهب وفضة، يتخذها الجهال ذكرى للإمام حسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما يصطنعون «كربلا» في الهند، ويدفنونها فيها.

أسلوب الإمام مما يمتاز عن غيره هي:

أوّلاً: قوة الاستدلال، وندرة الاستنباط، وحسن المحاضرة، وغزارة الشواهد والأمثلة، كأن له نظرة عقاب يلتقط نصيبه من صعاب البحار.

ثانيا: غاية الأدب والاحترام عند ذكر كلمة الجلالة حيث لم يذكر كلمة الجلالة «الله» إلا وأضاف إليه صفاته الأخرى مثلا «تعالى» أو «عز وجل» أو «الله رب العزة والجلالة»...إلخ.

ثالثا: وكما كان متأدبا في حضرة الباري تعالى، كذلك كان مجِلا ومُكرِما لمقام النبي ﷺ، ولهذا كلما جاء ذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام - نراه لم يقتصر على «ص» أو «صلعم» أو على أي نوع من المختصرات، بل يصلي على جنابه الكريم ﷺ بأكمل صورة، وبكل أدب واحترام محبا صادقا.

رابعا: كذلك لا يذكر أسماء الأولياء والصالحين مجردة عن الدعاء لهم، بل يذكرهم ويدعو لهم بأكمل صورة غير مقتصر على المختصرات والرموز حسب مراتبهم، مثلا «رضي الله تعالى عنهم»، و«رحمهم الله تعالى»، و«نوّر الله تعالى مراقدهم»، وغيرها من كلمات الإجلال والتكريم، وذلك تحاشيا عن البخل في حقه - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وحق الصالحين - رضي الله تعالى عنهم.

خامسا: يكثر من ذكر صفات وخصائل حميدة عند إتيان أسماء الأنبياء والصالحين استلذاذا واستعظاما لِما كان يفعم قلبه حبا، وعقيدة، وإجلالا غاية الإجلال، وتكريما بحسن الحفاوة والاهتمام.

سادسا: كان شديد التواضع مع نفسه، يُكثر من ذكر كلمات تدلُّ على كسر النفس، مثلا يصف نفسه، فيقول: «قال العبد الفقير إلى الله». وأما على أهل البدع والأهواء فهو سيف بتار، وقاهر جبار على المنكرين الملحدين، وحليم متواضع مع نفسه، وذلك كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فلا رأفة في قلبه، ولا رحمة في سريرته، ولا ليونة في طبعه، فهو أشد من الفولاذ على من

يتجرأ في جناب رسول الله ﷺ بوقاحة أو أدنى جرأة يمس احترام النبي ﷺ لما كان يفعم قلبه بحبه - عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم.

هذه وغيرها من الخصائص الأسلوبية التي توافرت في مؤلفات الإمام بوفرة ملحوظة مما يدل على أدبه وصدقه في حبه لله - عَزَّوَجَلَّ - والأنبياء والصالحين.

وفاته ومدفنه:

في مدينة «بريلي» حيث مرقده، توفي رحمه الله في ٢٥ من صفر المظفر سنة ١٣٤٠هـ/ ٢٨ من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٢١م[١] بعد حياةٍ نسجتْ أياديها على ظهر الزمان خمساً وستين سنةً، فيها ورود مطرزة تتمتع بالحيوية والنشاط، ونقوش مزخرفة تسر الناظرين، فليكثر الله تعالى أمثاله ويخلد ذكراه، ويجعل الجنة مثواه.



(١) ينظر: سوانح أعلى حضرة، ص: ٣٨٨.

هذا الكتاب!

قلنا إنَّ الإمام أحمد رضا خان - برّدَ الله ثراه وأكثر أمثاله -كاتبٌ قديرٌ وصاحب بصيرةٍ فقهيةٍ ممتازةٍ، وصاحب أسلوب مميز، له خصائص تسمو به إلى ذرى المجد العلمي، وكان من الطبيعي أن تنعكس طبيعة المؤلف العلمية الخاصة فيما يكتب ويملي على الطلاب، كما تشهد لها سطور هذا الكتاب البديع، وتنطق ما لمؤلفه من دقة الاستنباط، وقوة الاستدلال، وغزارة المادة العلمية، حتى يخيل إلى القارىء أنه في تيب صغير مؤلف عظيم، فتراه فيه أنه ناقد بصير، كأنه صاحبُ ابن الحجر العسقلاني، ومحدث عبقري، كأنه عاصرَ البخاري، وفقيه جليل قرة عين الإمام الأعظم لو رآه النعمان بن الثابت الكوفي - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - لأعجبه، ولجعله من جملة الأصحاب.

ومن غاية الطرافة أنك لن تجده، لا في هذا الكتاب، ولا في غيره ثائرا على الأسلاف، ولا مبتدعا عن طريقهم المألوفة، ولكنه مبدع فنان يحسن التطبيق ما جاء في عصره من الأحداث على الأصول والكليات التي وضعها أئمة الإسلام في قرونه الأولى واضعين نصب أعينهم في الكتاب والسنة بكل الدقة والتفصيل.

تراه يحافظ على ناموس القدماء، ويفتخر بما جاؤوا من تراث علمي، ويجعله أحد

الأصول التي يرجع إليها في استخراج المسائل الفقهية مقلدا متبعا للإمام الأعظم، ولهذا يثور على من يبتدع ويخرج من طريقهم من أمثال الوهابيين اللامذهبيين، ويرد عليهم ردا عنيفا متمسكا بحبل التقليد والاحترام تجاه الأسلاف الخيرين.

وقلنا إن المؤلف رحمه الله كان غزير العلم، سريع القلم، كانت الأسئلة ترد عليه فيجيب عليها، فيشكل كل جوابٍ كتابا، كما نشرت له على هذا المنوال رسائل كثيرة كان قد ألّفها بهذه الطريق، إلا أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا فهو كتاب مستقل، اعتنى بتأليفه، فجاء الكتاب مبوّبا على وجه الدقة والبيان.

لقد ألَّفَ المؤلِّف هذا الكتاب سنة ١٣٠٥هـ وسماه «**حياة الموات في بيان سماع الأموات**» اسما تاريخيا، كما هي عادته الميمونه عند تسمية الكتب وفي أغلب الأحيان باللغة العربية، مما يتيسر للدارس الاطلاع على سنوات التأليف، إليك مثلا الاسم المذكور نفسه، فقد ألّفه الإمام سنة ١٣٠٥من الهجرة النبوية الشريفة، كما تشير إليها أعداد حروف الاسم المذكور. وهكذا الحال في جميع مؤلفاته، كلُّها تحمل اسماً عربيّاً تاريخيّاً ممّا يدل على استيعابه هذا الفن الدقيق، فضلا عن تبحره في العربية، وتمكنه من تعابيرها المتنوعة.

لقد قسّم المؤلف هذا الكتاب في ثلاثة مقاصد، وهي بمثابة الأبواب، وقدّم له بمقدمةٍ، وأردفَها بخاتمةٍ. ففي المقدّمة تعرّض المؤلف لبيان الداعية الباعثة على التأليف حيث يقول: (ممّا بعث على تأليف هذه الرسالة هو أنه قدِّمتْ علينا مسألةٌ تتعلّق بزيارة القبور، وطلب الدعاء من أصحابها، في جمادى الآخرة الماضية ١٣٠٥هـ. وذلك لغرض التصديق وطلب التحقيق)[1].

وقبل أن تُقدَّمَ هذه المسألة إلى إمامِنا المؤلِّف، كانت قد قُدِّمتْ على عالم آخر، من علماء الهند وشيوخها، - لم يذكر اسمه - فأجاب عليها الشيخ بجواز زيارة القبور وتحريم طلب الدعاء من أصحابها، وذهب إلى أنه لا ينبغي لأحدٍ من المسلمين أن

---

(١) ينظر: الفتاوى الرضوية، ٩/ ٦٧٦.

يتوجه إلى القبر قائلا لصاحبه أن يدعو له الله أن يتفضل عليه بكذا وكذا. واستدل الشيخ على هذا أنه لا يمكن ذلك لحيلولةٍ بين الزائر والمقبور، فالمقبور لا يسمعه، وإذا لا يسمعه، فكيف يجيبه.

هذا هو خلاصة الجواب الذي كان قد كتبَها الشيخ المسؤول على ورقة السؤال، مصدِّقاً بتوقيعه، وطابعاً عليه بختمه، إلا أن السائل أرادَ أن يتأكّد من صحة هذا الجواب، فتقدّم بورقة الاستفتاء هذه، وعليها جواب الشيخ، إلى إمامِنا المؤلِّف العلام ليشفي غليله بجواب مُقنعٍ يطمئن إليه قلبُه، وبتحقيق أنيقٍ يَثِقُ به. وإليك نص السائل وجواب ذلك الشيخ عليه:

ماذا يقول علماء الدين ومفتيو الشرع المتين في المسألة المذكورة أدناه:

إني قصدت ضريحا مباركا للزيارة وهنالك قلت: «أيها العبد المقرّب إلى حضرة الله تعالى ادع لي الله تعالى أن يقضيَ حاجتي بجاه الرسول المقبول [١]؛ لأنك عبد صالح». وقرأتُ الفاتحة، ثم صلّيت على النبيﷺ من قبل وبعد. فهل يجوز الذهاب إلى الضريح بهذه الكيفية؟ وهل يجوز أن يطلب منه الدعاء؟ ويقام بالزيارة أم لا؟ والسلام.

فقط انتهى بلفظه.

كان جواب الشيخ مرقوما على ورقة السؤال، وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لا شَكّ في أنّ القيام بزيارة قبور المؤمنين وبالأخص منهم العباد الصالحين، والصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام - وتلاوة سورة الفاتحة وغيرها من السور والآيات، وأداء ثواب الخيرات إلى الأموات مندوبٌ ومسنونٌ، كما ينطق به نص صريح من حديث شريف لجناب سيد الثقلين ﷺ: (كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور

(١) صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فزوروها)[١]، إلا أن توجيه الخطاب إلى أهل القبور من الصالحين، وطلب الدعاء منهم لقضاء الحاجات لا يخلو من الكفر وشائبته؛ وذلك لحجبٍ عديدةٍ من سمعٍ وبصرٍ بين الزائر والمقبور، ولهذا من المستحيل أن تسمع الأصواتُ وتبصر الصورُ، وأما زيادة الإدراك التي قد تتحقق لبعض الأموات لانقطاع علاقتهم بالمادة، فهذا لا يستلزم ذلك؛ لأن الذي يخرج إنكشافُ حاله عن نطاق علم الزائر بلا توجه خاص. وليس ذلك إلا باختيار رب العالمين، كيف يمكن لذلك الصالح المقبور أن يسمع دعاءَ الزائر وقت الدعاء! ولهذا لما كان الزائر قد ارتكب السؤال بلا حصول العلم، فكأنه أقرَّ بكون المقبور سميعاً وبصيراً على الإطلاق. وهذا لا يخلو عن اعتقاد الشرك أو أدنى درجة من شائبة الشرك ألبتة، ولهذا يتحتم على الزائر الابتعاد منه، فقد صرّح بذلك في مواضع عديدة من الفرقان الحميد، من جملتها في سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. وفي الحديث الشريف: (من حَلفَ بغير الله فقد أشرك)[٢]. «ولا سبب لهذه الحرمة إلا أنه يظهر من حلفِ الحالف بغير الله أنه يعتقد النفع والضرر بغير الله، وهذا شرك معنىً»[٣].

بهذا السؤال والجواب تقدَّمَ السائل إلى إمامنا المؤلِّف طالباً التصديق والتحقيق، فأفادَه الإمام بهذا الكتاب الشافي له ولغيره من الناس، ولِما أن جواب الشيخ الهندي كان مبنيّا على الفهم الخاطىء ومزاعم فاسدة لا تمت بصلةٍ إلى ما جاء به الكتاب والسنة وأقوال السّلف الصّالح، وجب على الإمام أن يتصدّى لجوابه ويردُّ على مزاعمه، فأراد الإمام أن يُوفي البحث بكل تفاصيله، لكنه تراجع عن ذلك، فكتب

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم الحديث: ١٦٣٨، ص: ٢٢٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنهما – رقم الحديث: ٥٣٧٤، ٢ / ٩٥. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) هذا هو نص جواب الشيخ، الذي نقلناه مترجَماً من الأردية، وكان الجواب مصدّقا بتوقيع الشيخ ومضروبا بختمه. ينظر: الفتاوى الرضوية، ٩ / ٦٧٧ – ٦٧٨.

هذا الكتاب الموجز البديع، ولم يستوعب المسألة بكل جوانبها؛ وذلك لأن الشيخ المعهود الذي أجاب على نص السائل لم يكن من الذين يُنكرون زيارة القبور، وإنما كان من قاصري الفهم الذين لا تصاحبهم عقولهم، فلا يفهمون ما ثبت بالأحاديث وما أجمع عليه السلف والخلف، فيُجوِّز زيارة القبور ويُحرِّم طلب الدعاء من أصحابها، ولهذا لم يفصّل الإمام في الجواب، وإنما لاحظ جانب الإيجاز والدقة، مراعياً طبيعة الموقف وإشباعا للضرورة المقتضاة، حيث يقول: (إنني كنت أنوي البحث في هذه المسألة ببالغ من التحقيق وبازغ من التنقيح، وكنتُ أقصد أن أكمّله بكتابٍ جامع لامع يوفي بحصر البراهين المُثبِتة، ويحيط بما تزهق به الشبهات، ولكنه لما رأيتُ أنَّ جوابَ الشيخِ نفسه بعيد عمّا يذهب إليه المنكرون...)[1].

مع هذا الإيجاز الذي وصف به المؤلف نفسه كان الكتاب قد أوفى بما ينبغي من جواب مقنع، بل إنه لهو ردٌّ بليغٌ على من ينكر طلب الدعاء من الميت لفقده قوةَ السماع.

وبعد ما ذكر المؤلف في المقدّمة سبب تأليف الكتاب بدأ المقصد الأول، فقسّمه في النوعين، ذكر في النوع الأول الاعتراضات التي كانت ترد على جواب الشيخ، ولكنه لم يسمِّه «اعتراضا» وإنما سمّاه «سؤالا» لئلا يتنفر منه الشيخ ولا يغضب بكلمة «الاعتراض». وبهذه المراعاة العلمية والحكمية شرع المؤلف في بيان الاعتراضات على الشيخ الذي استحال سماع الموتى، فوصلت مجموعة الاعتراضات إلى ٢٥ اعتراضا مسكتا.

وأمّا النّوع الثاني فقد خصّه المؤلف بذكر المخالفات الفكرية التي وقع فيها الشيخ مع مؤيديه في الفكر من أرباب الفئة الحديثة، وقد بسط المؤلف هذه المخالفات في تسع نقاطٍ، حتى جعلَ الشيخَ المفتيَ يتخبّط في وسط الفضاء، لا هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أجازَ زيارةَ القبور وقراءةَ الفاتحة وغير ذلك من الأمور، فخالفَهم، وأنكرَ سماعَ الموتى فخالف الجمهور، وهذا أشدُّ منه خطورةً.

---

(١) ينظر: الفتاوى الرضوية، ٩/ ٦٧٩.

وفي المقصد الثاني ذكر المؤلف العلام الأحاديث التي تصرّح ببقاء الروح بعد الموت، وتؤكّد سماع أهل القبور، وإدراكهم، وتخبرنا أن الأموات تستحيي، وتفرح بزيارة الأحياء، وتتأذّى منهم بأفعالهم. وليس هذا، بل ساق المؤلف أحاديث تكشف أن الموتى يعرفون زوّارَهم، ويسمعون كلامهم، ويردّون على سلامهم، وليس هذا فحسب، بل إنهم يسمعون خفق نعالهم، ونفض أيديهم، وما إلى ذلك من أمور، ومن كانت شأنه هذه فمن الضروري أن يسمع ويدرك ويشعر، خلافا لما سمعتَ قول ابن الباز قبل قليل.

هكذا ردَّ الإمام عليه وعلى كل من تَبعَ خطاه ردّاً بليغا بتصريحات الأحاديث الطيّبة التي وصلت إلى ستين حديثا. فجزاه الله تعالى خيرا عنّا وعن جميع المسلمين.

وإذا كان كذا فاقرأ هذا الكتاب بالاستيعاب ليكشف عنك القناع أن أهل السنة والجماعة ليسوا فارغي اليد من الأحاديث والنصوص في تأييد مذهبهم، بل هم أصحاب الأحاديث والفهم الدقيق، كما يتّضح لك أن الله تعالى يعطي الأموات قوةَ السماع والبصر والإدراك، في ضوء هذه الأحاديث. وإذ كانت هذه حال الموتى من العامة فما بالك عن الأولياء الصالحين الذين يتمتّعون بفضلٍ خاصٍ ومنةٍ عظيمةٍ من لدن القادر العزيز الحكيم - جلَّ جلالُه وعمّ نواله - فإذا كانت شأنهم العطاء والكرم - وبفضل الله - هم مراجع الخلائق في حياتهم الظاهرة، وأيديهم فارغة من متاع الدنيا في بادىء الأمر، فكيف في حياتهم البرزخية وأرواحهم تتنزه عن العلائق المادية، وتقترب من جناب ربها الكريم، وتُمنح قوةً خاصة من لدن ربهم الكريم أضعافا مضاعفة!

هذا هو ثابت بالسنة، إذن كيف يسوغ لأصحاب الأهواء أن يحكموا بالشرك على من يعتقد هذا الاعتقاد الثابت من قول النبيﷺ أليس الإسلام يعني عندهم سوى الأُزر الصاعدة، والرؤوس المحلّقة من أشكال ظاهرةٍ خادعةٍ كالسراب، أم هو غير ذلك! أو تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه! إنا لله وإنا إليه راجعون!

وأمّا في المقصد الثالث فقد تعرّض المؤلف العلّام إلى بيان أقوال السلف

والخلف من علماء العرب والهند في تأييد سماع الموتى فزاد على ٣٤٠ قولا. فقد سرد المؤلف بدءاً من الصحابة العظام - رضوان الله بهم يوم الدين - ثم ذكر أقوال الأئمة من التابعين، ومن تبعَهم من أعاظم السلف وأكارم الخلف، وصولا بهم إلى علماء الهند، الذين يعتمد عليهم المنكرون أيضا لتكون أقوالهم حجةً قاطعةً على المنكرين. (رحم الله علماءنا رحمةً واسعةً في كل عصر ومصر).

وبالجملة قد جعل المؤلف العلام مسألة «سماع الموتى» مجمَعاً عليه سلفاً وخلفاً. فليعتبر المعتبرون.

وأمّا في الخاتمة فقد ذكر المؤلّف تأييدات الأئمة من علماء العرب الذين كانوا قد قرّظوا فتواه في ردّ الفئة المحدثة، التي صرّحَ فيها الإمام زيغَهم، وكشفَ عن فسادهم في العقيدة والأسلوب. وذلك إثر سماع الإمام أن الشيخ المعهود يريد تحكيم مسألة «سماع الموتى» إلى العلماء البهوباليين[١] الذين هم وهابيو الفكر، فردَّ المؤلّف عليه ردا بليغا، وقال إن أحداً من الفريقين لا يمكن له أن يكون حَكَماً، والبهوباليون هم أحد من الفريقين، وأشار على الشيخ أنك لو لم تقتنع بما كتبتُ، وتأبى إلا أن تجعل حَكما على ما كتبتَ وكتبنا، فخلِّ عن البهوباليين، واجعل العرب الذين هم حاملو راية الإسلام، يحكمون بيننا بالحق والصواب، ثم أراح المؤلفُ الشيخَ من مؤونةِ السفر إلى عالَم العرب فأراه تصديقات العلماء التي أيّدوا بها فتواه عن معتقداتهم، ومن بين معتقداتهم الفاسدة: تحريم زيارة القبور وتحريم الدعاء من الصالحين لما يحيل بين الزائر والمقبور حسب ما يعتقدون. فلهذا الغرض البليغ ذكر الإمام تصديقات علماء العرب لتعوِّضَ عن الحَكَم، ويريح الشيخ من متاعب السفر، وما أحسن حَكَما! فإنه ألجمَ الشيخ لسانه وأسكته بتأييدات العلماء العرب[٢].

---

(١) نسبة إلى مدينة «بهوبال»، إحدى المدن الهندية المهمّة التي تقع في الولاية الوسطى منها (ايم بي) وهي المدينة التي كان يسكنها رئيس اللامذهبيين صديق حسن خان البهوبالي، ولعل الشيخ المستور قصده.

(٢) لقد أعجب من العلماء العرب من اطلع على مؤلّفات الإمام، بالأخص منها: «الدّولة المكية بالمادة الغيبية»، و«كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم» فقرّظوا عليها تقريظات =

هكذا ألّف أمامنا الفذُّ هذا الكتاب بعنايةٍ دقيقةٍ، فأخرجَه مبوّباً منظّما بصورةٍ أنيقةٍ رائعةٍ، وبدلائل باهرة، ونصوص قاطعةٍ، يستحق المطالعة بالاستيعاب وبالأخصّ لمن كان في قلبه مثقال ذرة من الشك والريب حول سماع الموتى، ليُصلحَ عقيدته، ويصحِّحَ فكرَه، فإن ذلك فرض من الفرائض المهمة.

وأخيرا نحمد الله تعالى حمدا كثيرا ونشكره شكرا وفيرا من أعماق القلوب على منّه وكرمه بتوفيق جميل لترجمة هذا الكتاب البديع إلى العربية، راجين من الله - عَزَّوَجَلَّ - أن يحقّق به غاياتنا المنشودة، والله من وراء القصد.

عملنا في هذا الكتاب:

١- حقّقنا نصوص الكتاب بالأردية وترجمناها إلى العربية.

٢- خرَّجنا أحاديثها النبوية الشريفة.

٣- خرَّجنا الآيات القرآنية المباركة.

٤- ذكرنا مظان أقوال العلماء التي نقلها الإمام، حسب المستطاع.

٥- ترجمنا الأعلام الواردة في الكتاب.

وممّا يذكر على سبيل الأمانة العلمية أنني لم أعثر على مظان جميع الأقوال التي ذكرها الإمام المؤلف؛ وذلك لأن المصادر والمراجع التي استقى منها الإمام المؤلف مادّتَه العلمية، منها ما لم ترَ وجه الطباعة أصلا، فأصبحت كالمفقودة، ومنها ما نفدت

= جمعت في «الدولة المكية بالمادة الغيبية»، وكذلك قرّظ العلماء العرب وأيّدوه بتأييدات إيمانية لمّا رأوا فتواه، التي أفتى بها الإمام على عبارات علماء «ديوبند» المعترض عليها. وهذه الفتاوى هي جزء من شرحه «المستند المعتمد» لكتاب «المعتقد المنتقد» للعلّامة فضل الرسول البدايوني (ت: ١٢٨٩هـ)، ألّفها الإمام سنة ١٣٢٤هـ، وقد جمع الشيخ حسن رضا البريلوي هذه التقريظات في كتاب، وسمّاه بـ «حسام الحرمين على منحر الكفر والمين» سنة ١٣٢٤هـ، نشرته: المكتبة النبوية بلاهور، سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

نسخها المطبوعة وشحّت، ولهذا رجعت في بعضها إلى النسخة المترجَمة المخرَّجة المطبوعة في المجلد التاسع من «العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية»، وتركتُ بعضها لحين آخر. وللتمييز بين هذه وتلك، الرجوع إلى قائمة المصادر والمراجع، فإن المصادر التي ذكرتها في هذه القائمة هي التي لمستْها يداي، وتشرّفت بها عيناي، وأما التي لم تحظ بهذه فهي في الهوامش لم نثبتها في قائمة المصادر والمراجع.

وأخيرا لم نرم بهذا العمل إلا رضا الله ورضا حبيبه الأعلى - عليه التحية والثناء - والله هو العليم الخبير. ونسأل الله - عزّ وجل - أن يهدينا والناس سواء السبيل، ويجعل هذا العمل مقبولا يثقل به ميزان حسناتنا يوم القيامة، وأدخلنا الجنة مع الأبرار. اللّهم آمين آمين آمين يا رب العالمين بجاه سيد المرسلين - عليه الصلاة والتسليم.

خادم العلم الشريف

أنوار أحمد خان البغدادي

رئيس هيئة التدريس

بدار العلوم الغوث الأعظم، فور بندر، غوجرات (الهند)

٢٥ / ذو القعدة ١٤٢٩هـ ـــ ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٨م.

[illegible]

١- حققنا نصوص الكتاب بالأردية وترجمناها إلى العربية.

٢- خرجنا أحاديثها [illegible]

٣- خرجنا الآيات [illegible]

٤- ذكرنا مظان أقوال العلماء التي نقلها الإمام [illegible]

٥- [illegible]

[illegible] جميع الأقوال التي ذكرها الإمام المؤلف وذلك لأن المصادر والمراجع التي استقى منها الإمام المؤلف مادته العلمية منها ما لم تر وجه الطباعة أصلاً فأصبحت كالمفقودة، ومنها ما نفدت

[illegible]

حياة الموات

في بيان سماع الأموات

خطبة الكتاب.

المقدّمة.

المقصد الأوّل: في الاعتراضات وإزاحة الشبهات.

النوع الأوّل: في الاعتراضات المقصودة.

النوع الثاني: في الاختلافات بين الشيخ ورفقائه في الفكر.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علَّمه البيان، وأعطاه سمعاً وبصراً وعلماً فزانَ، وجعله مظهرَ صفات الرحمان، ولم يجعله معدوما بفناء الأبدان. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على السميع البصير العليم الخبير الملك المستعان، المولى الكريم الرؤوف الرحيم العظيم الشان، سيدنا ومولانا محمد، النافذ حكمه في عوالم الإمكان، وعلى آله وصحبه وابنه الغوث الباهر السلطان، الحي المنعم في القبر المكرَّم بفضل المنَّان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يحيي بها وجه الديان. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة توردنا موارد الرضوان. فصلى الله وسلم وبارك وأنعم على هذا الحبيب القريب الملتجى البعيد المرتقى الرفيع المكان، وعلى آله وصحبه وعياله وحزبه أولي العلم والعرفان، وعلينا معهم وبهم ولهم يا جليل الإحسان وجميل الامتنان. آمين آمين إله الحق آمين.

أمّا بعد،

فهذه أسطر عِدّة أو أسلاك منضّدة نظَّمَها أفقر الفقراء أحقر الورى عبد المصطفى[1]

(١) هذا من أسلوب الإمام المتواضع إلى جناب حبيب الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعنى الخادم، لا بمعنى العبودية كعبودية الله، كما أساء الفهم ناقصو العقل إلى هذا الأسلوب مع أنه متداول في اللغة والتاريخ، لا يجهله كلُّ من له أدنى بصيرةٍ باللغة والاستعمال.

أحمد رضا المحمّدي السني الحنفي القادري البركاتي البريلوي (أصلحَ اللهُ عملَه وحقَّقَ أملَه) في أوائل شهر رجب ١٣٠٥هـ حول سماع الموتى وعلمهم وطلب الدعا من الأولياء، وسمّيناه بـ (حياة الموات في بيان سماع الأموات) اسما تاريخيا [١]. وكان الفقير قد جمع من قبلُ كلماتٍ وسمّاها بـ (الإهلال بفيض الأولياء بعد الوصال) فقد اندرجت أكثر مطالبها وفصولها في هذه الرسالة. والآن توضح هذه العجالة سماع الموتى وإدراكهم، بحول الله تعالى، وتوضح غاية الوضوح أن حضرات الأولياء أحياء بعد الانتقال، وما زالت تصرّفاتهم وكراماتهم ثابتة، وفيوضهم جارية، تغمرنا المخلصين والمحبين بالمدّ والعون- والحمد لله القدير الباري.

إن هذه الرسالة الناطقة بالحق، التي لا يشوبها الباطل، تحتوي على مقدمةٍ، وثلاثة مقاصد، وخاتمةٍ. وحسبنا الله ونعم الوكيل، هو مولانا وعليه التعويل.

وممّا بعث على تأليف هذه الرسالة هو أنه قُدِّمتْ إلينا مسألة حول زيارة القبور وطلب الدعاء من أصحابها، لغرض التصديق وإظهار التحقيق في جمادى الآخرة الماضية سنة ١٣٠٥هـ، وكانت المسألة كالآتي:

ماذا يقول علماء الدين ومفتيو الشرع المتين في المسألة الآتية:

إني قصدت ضريحا مباركا للزيارة وهنالك قلتُ: «أيها العبد المقرّب إلى حضرة الله تعالى ادع لي الله تعالى أن يقضيَ حاجتي بجاه الرسول المقبول [٢]؛ لأنك عبد صالح». وقرأت الفاتحة، والصلاة على النبي ﷺ من قبل وبعد.

فهل يجوز الذهاب إلى الضريح بهذه الكيفية، وطلب الدعاء من صاحبه، والقيام بزيارة عتبته أم لا؟

والسلام.

(١) من دأب الإمام المؤلّف أن يسمّي كتبه بأسماء تاريخية على عادته.

(٢) صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فقط انتهى بلفظه.

وعلى ورقة هذا السؤال كان جواب لأحد العلماء موقّعاً ومختوماً، صُرِّح فيه أن القيام بالزيارة بالصورة المذكورة شرك، أو أدنى درجة منه. ويقوم دليله البديع على إنكار السماع لأصحاب القبور لاستحالته وامتناعه. ونصُه كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم

لا شكَّ في أنّ القيام بزيارة قبور المؤمنين وبالأخصّ منهم العباد الصالحين، والصّلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام - وتلاوة سورة الفاتحة وغيرها من السّور والآيات، وأداء ثواب الخيرات إلى الأموات مندوبٌ ومسنونٌ، كما ينطق به نص صريح من حديث شريف لجناب سيد الثقلين ﷺ: (كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها)[(١)]، إلّا أن توجيه الخطاب إلى أهل القبور من الصالحين وطلب الدعاء منهم لقضاء الحاجات لا يخلو عن الكفر وشائبته، وذلك لحجبٍ عديدةٍ من سمعٍ وبصرٍ بين الزائر والمقبور، ولهذا من المستحيل أن تسمع الأصواتُ وتبصر الصورُ، وأما زيادة الإدراك[(٢)] التي قد تتحقق لبعض الأموات لانقطاع علاقتهم بالمادة[(٣)]، فهذا لا

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم الحديث: ١٦٣٨، ص: ٢٢٨.

(٢) يريد الشيخ أن يشير بهذا القول إلى ما قاله الشاه عبد العزيز، وسيأتي جزء منه في النوع الثاني من المقصد الثالث (المقال السادس عشر) وهو القول الذي قضت خاتمته على نصف الوهابية، كما سيأتي قريبا في القول الخامس عشر، إن شاء الله تعالى، حيث صرّح الشاه المذكور أن الله تعالى يوسّع القوة المدركة لبعض أوليائه الكرام. والحق أن الشيخ (الذي سماه المؤلف «مولوي صاحب») قد وقع هنا في مأزق شديد من الإقرار والإنكار؛ إذ لا يخلو إما أن يخطىء الشاه المذكور أو يؤول لنفسه بالافتراض، وذلك لا يمكن إصلاحه، كما سترى، إن شاء الله. (المؤلف).

(٣) أقول وبالله التوفيق: إنه لَمن العجب العجاب، فقد يتجلى الحق في كلام العالم وإن أخطأ، وأما هنا فتلاحظ أن الشيخ كيف تعارض مع نفسه في تعليله هذا فأيّد مذهبنا الحق دون أن يلتفت إليه؛ وذلك لأنه لما كان الانقطاع عن العلائق المادية سببا لزيادة الإدراك فهذا لا =

يستلزم ذلك؛ لأن الذي يخرج انكشافُ حاله عن نطاق علم الزائر لا يحتاج إلى توجه خاص. وليس ذلك إلا باختيار رب العالمين، فكيف يمكن لذلك الصالح المقبور أن يسمع دعاءَ الزائر وقت الدعاء! ولهذا لما كان الزائر قد ارتكب السؤال بلا حصول العلم، فكأنه أقرَّ بكون المقبور سميعاً وبصيراً على الإطلاق. وهذا لا يخلو عن اعتقاد الشرك أو شائبته، ولهذا يتحتم على الزائر الابتعاد عنه، فقد صرّح بذلك في مواضع عديدة من الفرقان الحميد، من جملتها في سورة يوسف: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. وفي الحديث الشريف: (من حلفَ بغير الله فقد أشرك)[١]. ولا سبب لهذه الحرمة إلا أنه يظهر من حلفِ الحالف بغير الله أنه يعتقد النفع والضرر بغير الله. وهذا شرك معنيّ)[٢].

وأكثر ما تعجبت منه بعد قراءة هذا الجواب هو أنه لم يصادف لي شيء من كتابات هذا الشيخ [٣] قبل اليوم حول هذا الاختلاف المحدَث، وكان الظن أنه يجتنب قصدا، بل يجعل غلوَّ المنكرين قابلا للرفض والإنكار. ولكنه من الطريف العجيب أنه أذِنَ لقلمه لأوّل مرةٍ أن يكتب كلاما لا ينسجم مع فكر الفريقين، ويحاول بتقريبٍ لا يُجدي نفعا، وبنتيجةٍ لا يُنتهى إليه، وبدليلٍ غريبٍ، وبدعوىً لا علاقة لها بالواقع،

= يخص ببعض الأموات، إذ الموت لا يعني إلا الانقطاع عن التعلق المادي، ولا شك أنه حاصل لجميع الأموات بلا تخصيص، ولهذا يصرح الأكابر من المحققين أن قوة الإدراك بعد الموت تكون أقوى وأوضح مما قبله، كما سيأتي التفصيل عن ذلك في المقصد الأخير، وعلى الأقل ستقرأ قولَ الشاه عبد العزيز في النوع الثاني من المقصد الثالث (المؤلف).

(١) مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنهما – رقم الحديث: (٥٣٧٤)، ٢ / ٩٥. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٢) وفي نهاية الجواب كان توقيع المفتي موثوقا بختمه.

(٣) هو ذلك العالم الهندي الذي أجاب على سؤال السائل، فجوّز زيارة القبور، وجعل طلب الدعاء من أصحابها شركا، فوقَعَ فيما وقع من مأزق وتناقضات مع نفسه. يذكره الإمام المؤلف بـ«مولوي صاحب» ولا يذكر اسمه وهويته. ولعلّ الإمام يأمل في إصلاحه. وأمّا نحن فنوثر كلمة «الشيخ» بالاستعمال.

وإن كان هذا أسلوباً قديماً لأصحاب الفكر النجدي[١] الذي لا يمت بصلةٍ إلى الفضل والشرف. وقد يناسب أن نضع اسم الشيخ وراء الستار في هذه السطور، رعايةً له من بعض الوجوه، إلا أنّه ينبغي التصدّع بالحق بنصّ القرآن والحديث المأثور؛ فإن الدين نصح لكل مسلم[٢].

إنني كنت أنوي البحث في هذه المسألة ببالغ من التحقيق وبازغٍ من التنقيح، وكنت أقصد أن أكمّله بكتابٍ جامعٍ لامعٍ يوفي بحصرِ البراهين المُثبِتة، ويحيط بما تزهق به الشبهات، ولكنه لمّا رأيتُ أن جوابَ الشيخ نفسَه بعيد عمّا يذهب إليه المنكرون، ويقضي هذا الجواب على كثير من الأوهام التي تَقدَّمُ من قبلهم ويجعلها هباءً منثورا، فكفاني وأراحني من مؤنةٍ وتعبٍ كثيرٍ. وأخيرا قرّرتُ أن أنهي هذه الأسطر ببيان ما خطر ببالي من اعتراضات على نصٍ خاصٍ من جواب الشيخ مؤيِداً بآثار وأحاديث وأقوال العلماء الأقدمين والمحدَثين، وذكر نبذة من أصل المُدَّعى، يعني طلب الدعاء من الأرواح الطيبة وفيوضهم وبركاتهم بعد الانتقال. وما يتبقى من تحقيقات باهرة وتدقيقات قاهرة في بالي، أتركُها لِوقتٍ آخر، بشرط جواب الشيخ في المستقبل.

ومع هذا كله ستثبت هذه الرسالة الصغيرة - إن شاء الله تعالى - أن هذه السطور العدّة لجناب الشيخ ومذهبه الأصلي يؤخذ ويردُّ عليه بأكثر من أربع مائة وجه - والله المعين، وبه أستعين.

---

(١) منسوب إلى «النجد»، حيث معقل «الوهابية» ومولد بانيها محمد بن عبد الوهاب النجدي، صاحب الأفكار المتشددة الغريبة.

(٢) صحيح البخاري، باب: الدين النصيحة، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ٥٨، ١/ ١٧. مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

المقصد الأول

في الاعتراضات وإزاحة الشبهات

يحتوي هذا المقصد على نوعين:

النوع الأول
في الاعتراضات المقصودة

لعل الشيخ قد يغضب بلفظ «الاعتراضات» ولهذا من المناسب أن أذكرها بصيغة السؤال.

فأقول – وبه التوفيق، وبه الوصول إلى ذرى التحقيق:

السؤال الأول: لقد أقرَّ الشيخ[1] باستحالة سماع الأصوات وبصر الصور نظرا إلى تربة القبر الحائلة بين الزائر والمقبور، فأناشدك! ما المراد من هذه الاستحالة، استحالة

(١) يعني: «مولوي صاحب» حسب تعبير المؤلف باللّغة الأردية.

عقلية أو شرعية أو عادية؟ على التقدير الأول ليتَكَ تُقدِّمُ برهانا قاطعا على استحالته عقليا، أسألك! أليس الله تعالى قادرا على أن لا يكون هذا الحائل (تراب القبر) مانعا من الإحساس والإدراك؟ فلو تقول: لا. فما جوابك عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]؟ ولو تقول: نعم. فأين الاستحالة؟

وعلى التقدير الثاني، عليك أن تُثبتَ بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة أنه لا يمكن البصر والسمع ما زالت هذه الحجب حائلة، ولا تخفى عليك ألفاظك الشريفة التي لفظتَها في الجواب [١].

وأما على التقدير الثالث فأسألك أنه ما المراد بالعادة؟ عادات أهل الدنيا أم عادات أهل البرزخ؟ وفي الصورة الأولى ما الدليل على أن المانع الدنيوي عائق من البرزخ أيضا، فهل البرزخ عند الشيخ إلا نوع من الدنيا؟ فإن أهل الدنيا لا يبصرون الملائكة إلا بطريق خرق العادة، وأهل البرزخ يبصرون على وجه العموم وحتى الكفار، وأحاديث النكيرين شيء لا يخفى. وفي الصورة الثانية كيف اطّلع الشيخ على عادة أهل البرزخ، ولم يأتِك ميت من الأموات ليخبرك! وإن اطلعتَ بطرق أخرى فأخبرنا أيضا رجاء. ونرجو منك أن لا تنسَ دعواك بتمامها [٢].

السؤال الثاني: وإن أريدَ أحد الشقين الأولين في التقسيم المذكور، فكلامك الأخير يردُّه أولُه بأن المحال العقلي لا يصلح أن يؤذن به، كما لن يتعلق الإذن بالمحال الشرعي أيضا. وعلى الشق الثالث يكون اعتقادُه اعتقادَ الممكنِ؛ إذ أن كلَّ محالٍ عادة يكون ممكناً عقلياً، واعتقادُ الشرك الأعظم لا يكون إلا من المحالات العقلية، فكون اعتقادِ

---

(١) وهذه الألفاظ التي أشار إليها الإمام في جواب الشيخ، هي: «زيادة الإدراك قد تتحقق لبعض الأموات» فإذا كان الإدراك متحققا لدى الشيخ، فكيف يمكن له أن يثبت خلافه بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة!

(٢) فإن الشيخ كان قد ادّعى، كما شاهدنا أن التراب بين الزائر والمقبور حال بين السمع والبصر. هكذا ألجمه الإمام حتى لم يتركه يتحرّك قيد شعرةٍ.

الممكنِ العقلي شركاً، محالٌ عقليٌ. وهذا بيِّنُ الفساد بعبارة أوضح وأجلى.

وتشهد عبارتك التي سبق ذكرها أن زيادة الإدراك قد تتحقق لبعض الأموات بأنهم لو يتوجهون بتوجه خاص لأمكن لهم أن يسمعوا دعاء الزائر بإذن الله.

أنا أقول:

هل الله قادر على أن يمنحهم هذه القوة بصفة دائمية أم لا؟ في صورة الإنكار يصعب الأمر ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]. وفي صورة الإثبات، ألم يصبح الميت بهذه الصفة شريكا لسبحانه تعالى؟ أنا أعلم جيدا أنك لن تقول: نعم، وإذا قلت: لا. فأقول: إن الوصف الذي لا يلزم الشرك بوجوده، فكيف يلزم الشركُ بالله بإثباته، والشيء الذي لا تكون حقيقته شركاً، فكيف يكون شائبة للشرك!

السؤال الثالث: هل تكون الفائدة معيارا للحلال والحرام! ولا يعدَّ حلالا إلا ما تيقَّنَ فيه فائدة، وأما البقية فيَعدُّها حراما، أو يكفي الأمل وإن لم يكن عالما به؟ ففي الصورة الأولى وجب أن تكون الصلاة والصوم والأعمال الحسنة كلها حراما، لأنه لا فائدة فيها إذا لم تقبل، ولا يعلم أحدٌ منا أن أعماله مقبولة على وجه القطع واليقين. وفي الصورة الثانية لمَّا تُسلِّمُ أنت بكون بعض الأكابر (من الصالحين) قويَ الإدراك[1]، يمكن لهم أن يسمعوا دعاء الزائر بتوجه خاص وبإذن الله تعالى. فلزم هذا أن يكون السماع مأمولا مَرجُوّاً بكرم الله كل وقت؛ إذ لا يجزم على عدم السماع أيضا. إذن كيف ساغ لك هذا الكلام! ولتتذكر ما أطلقتَ عليه حكما عاما.

السؤال الرابع: من الظاهر أن أبواب الدار التي تُطرق، لا يكون أصحابها دائما أسخياء، لكن الفقراء يطرقونها، فهل يعني هذا أن السائلين الفقراء مطّلعون على أحوال البيت حسب ما تعتقده أنت؟ فإن قلت: نعم. لزم أنك جعلت هؤلاء الفقراء الشحاذين

---

(١) لو كان التسليم تحقيقيا فالأمر ظاهر، وإن كان على سبيل التجويز والتقدير، فلا يقال لك سوى أنه لم يبق لك المجال لهذا الكلام بعد تسليم هذه الصورة، ولتحفظ هذه النكتة! (المؤلف).

عالمين وخبيرين على الإطلاق، كما جعل الزائرون حضرات الأولياء سميعا وبصيرا على الإطلاق، على حد قولك [١] - والعياذ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى. وإن قلت: لا. فهذا يعني أن الفقراء السائلين ارتكبوا السؤال بلا حصول علم. فهل اعتقد هؤلاء في أصحاب البيوت أنهم معطون وقادرون على الإطلاق - على ما تظن أنت - أو لم يعتقدوا؟ على التقدير الأول يصبح السؤال شركا أو أدنى درجة منه. مع أن كثيرا من أكابر العلماء والأولياء أقدموا على هذا العمل عند قضاء الحاجات، كما كان حضرة أبي سعيد الخراز[٢] - قدِّس سرُّه العزيز - الذي عظمةُ عرفانه وجلالةُ شأنه أظهرُ من الشمس، يرفع يديه عند الحاجة ويطلب شيئا لله. وكذلك نقل السؤال عند الضرورة الشرعية عن أستاذ سيد الطائفة جنيد البغدادي [٣]، حضرة أبي حفص الحداد[٤]، وحضرة إبراهيم

---

(١) التشبيه مقصود بالذات؛ لأن هذا السؤال نقض إجمالي، وإلا لم يكن عندنا علم وخبر مطلقا، ولا ذاك سمع وبصر مطلقا. (المؤلف).

(٢) هو أحمد بن عيسى، أبو سعيد الخراز البغدادي، شيخ الطائفة المجاهد المراقب عارف يُضرَب به المثل، من أصحاب سيدنا جنيد البغدادي، صحب ذا النون، وصنف أربعة في التجريد والانقطاع، توفي سنة ٢٧٧هـ. (ينظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) (الطبقات الكبرى) تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢هـ ١٠٣١هـ) تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، ١ / ٥١٠ - ٥١٥. ومعجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا الكحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: (١٩٩٣م / ١٤١٤هـ،١/ ٢٢١).

(٣) هو أبو القاسم بن محمد، الجنيد، نهاوندي الأصل، بغدادي المنشأ، القواريري الزجاج، نسبة لحرفة أبيه، سيد الطائفة، ومقدَّم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوف، وكان من الفقهاء الشافعية، تفقّه على أبي ثور، وكان يفتي بحضرته، وهو ابن عشرين سنة، أخذ التصوف عن خاله السري وحارث المحاسبي، وكان ورعا عاملا بالكتاب والسنة، توفي ببغداد سنة ٢٩٨هـ. (ينظر: طبقات الصوفية للمناوي، ١ / ٥٧٠ - ٥٨٤).

(٤) هو أبو بكر بن علي بن محمد الحدّاد الحنفي، الفقيه الزاهد الورع، كان مبارك التدريس، كثير الطلبة، بلغت مصنفاته في المذهب نحو عشرين مجلدا، وكان يأكل من كسب يده، وينسخ الكتب ويبيعها، توفي سنة ٨٠٠ هـ. (ينظر: طبقات الصوفية للمناوي، ٣/ ٢١٩).

الأدهم[١]، والإمام سفيان الثوري[٢]- رحمة الله تعالى عليهم أجمعين - نقل كل ذلك العلامة المناوي[٣] في التيسير[٤].

تشهد الكتب الشافعية شاهدَ عدلٍ على أن العلماء الكرام قد جعلوا السؤال فرضا في بعض الصور. وعلى هذا يكون شركا كما تزعم أنت - معاذ الله! - وعلى التقدير الثاني كيف ساغ لك أن تحكم على هذا الزائر المسكين بمثل هذه الألفاظ (الشرك والكفر) لسؤاله؟!

السؤال الخامس: وإذا كان كذا فالشخص الذي يسمع شيئا في مكان مخصوص. فهل يصحّ أن يطلق عليه أنه سميع على الإطلاق لهذا القدر. فإن قلت: نعم. فعليك أن تسلِّمَ بنفسك أنّها «سميع على الإطلاق»؛ لأنك تسمع لمن يطرق بابك. وإن قلت: لا. فكيف يصحّ لك أن تعتقد في زائر عتبةٍ مّا أنه يجعل المقبور «سميعا على الإطلاق»؟!

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم، أصله من أولاد بلخ، كان ورعا زاهدا من أكابر المتصوفين، صحب الفضيل، وسفيان الثوري، توفي بالجزائر سنة ١٦٢هـ، وحمل فدفن بصور، وقبره مشهور. (ينظر: طبقات الصوفية للمناوي، ١/ ١٩٥ - ٢٠٦).

(٢) هو شيخ الإسلام سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي الفقيه، ولد سنة ٩٧هـ، وطلب العلم وهو حدث؛ فإن أباه كان من علماء الكوفة، حدث عن أبيه وزيد بن الحارث وجماعة، وحدّث عنه ابن المبارك ويحيى القطان وابن وهب وجماعة. توفي سنة ١٦١هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م/١٤١٩هـ، ٢/١٥٢-١٥٣).

(٣) هو العلّامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي نور الدين بن شرف الدين يحيى المناوي، ولد في سنة ٩٥٢ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: «شرح النقاية»، و«شرح النخبة»، و«شرح الجامع الصغير»، وغيرها كثير، توفي في ٢٣ من صفر المظفر سنة ١٠٣١هـ، وصلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودفن بجانب زاويته. (ينظر ترجمته في مقدمة كتابه «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»، ١/١١- ٢٩).

(٤) تحت قوله ﷺ «من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر». ينظر: التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ٢/ ٤٢١.

السؤال السادس: لقد قُلتَ إن وجودَ المخاطَب في مكانٍ خاصٍ لو شملَ جميعَ الأزمنة لَكانَ مُوجِباً للسمع على الإطلاق. وبهذا يلزم أن يكون استغراق أزمنة الوجود وأمكنة الدنيا موجبا للإطلاق بالدرجة الأولى. وإذا كان الأمر كما تقول فما جوابك عن الحديث الذي رواه البخاري[1] في تاريخه، والطبراني[2]، والعقيلي[3]، وابن النجار[4]، وابن عساكر[5]، وأبو القاسم

---

(١) هو إمام الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، صاحب الصحيح، والتصانيف، مولده في شوال سنة ١٩٤ هـ، ووفاته في ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ. رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢/ ١٠٥).

(٢) هو الحافظ الإمام العلامة الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، مسند الدنيا، ولد سنة (٢٦٠هـ) بعكّا، حدَّث عن ألف شيخ أو يزيدون. وصنّف المعجم الكبير وهو مسند أبي هريرة، والمعجم الأوسط على معجم شيخه يأتي فيه عن كل شيخ بما له من الغرائب. وصنف المعجم الصغير، وهو عن كل شيخ له حديث واحد. وصنّف أشياء كثيرة، وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة. توفي سنة (٣٦٠هـ) مستكملا مائة عام وعشرة أشهر، وحديثه قد ملأ البلاد. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ٨٥-٨٨).

(٣) هو الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، صاحب كتاب الضعفاء الكبير، قال الحافظ الحسن بن سهل القطان: أبو جعفر ثقة. توفي سنة ٣٢٢هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي،٣/ ٣٦-٣٧).

(٤) هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار البغدادي، الإمام البارع مؤرخ العصر، وصاحب التصانيف، ولد في سنة ٥٧٨هـ. كان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين والصيانة والنسك والفهم وسعة الرواية، من كتبه الكثيرة: «القمر المنير في المسند الكبير»، توفي في الخامس من شعبان سنة ٦٤٣هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٤ /١٤٧ و ١٤٨).

(٥) هو الإمام الحافظ الكبير، محدث الشام، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي، صاحب التصانيف والتاريخ الكبير، ولد في أول سنة ٤٩٩هـ، وتوفي في الحادي عشر من رجب سنة ٥٧١ هـ. من أعماله: «تاريخ دمشق» في ثمانين مجلدًا، و«الموافقات» في ست مجلدات، و«الأطراف الأربعة» في أربع مجلدات، وعمل بعض «كتاب الأبدال» لنفسه ولو تمّ لجاء في عشرين مجلدًا. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٤/ ٨٢ - ٨٦).

الأصبهاني[١] عن عمار بن ياسر[٢]- رضي الله تعالى عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لله تعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق - زاد الطبراني: «كلها» - قائم على قبري - زاد: «إلى يوم القيامة» - فما من أحد يصلي عليَّ صلاةً إلا أبلغنيها)[٣].

يقول العلامة الزرقاني[٤] في شرح المواهب والعلامة عبد الرؤوف في شرح

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الخطيبي أبو حنيفة بن أبي القاسم الأصبهاني، ولد في بيت مشهور بالعلم سنة ٤٨٨ هـ، قدم بغداد حاجا سنة ٥٦٢هـ، وحدث عن أبيه وجده لأمه حمد بن صدقة، وأبي الفتح الحداد، وأبي بكر بن مردويه وجماعة، وأملى مجالس كتبها الناس عنه، سمع منه عمر القرشي، وأحمد بن شافع، وأبو الحسن الزيدي، وغيره بواسط، ومحمد بن أبي الحسن المقرىء ببغداد، توفي في صفر سنة ٥٧١ هـ بأصبهان. (ينظر: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي، ١٥ /٣٧).

(٢) هو صحابي ابن الصحابي سيدنا ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي، هو وأبوه وأمه من السابقين إلى الإسلام، وأمه سمية أول من استشهد في سبيل الله. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ، صحب عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وشهد معه الجمل وصفين حتى قتل يوم صفين سنة ٣٧هـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية: ٢٠٠٣ م / ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤/ ١٢٢ - ١٢٨).

(٣) ينظر: الترغيب والترهيب للمنذري نقلا عن المعجم الكبير، «الترغيب في إكثار الصلاة على النبي ﷺ»، مصطفى البابي، مصر، ٢ / ٤٩٩، ٥٠٠.

(٤) هو محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري الأزهري المالكي، الشهير بالزرقاني، الإمام المحدث، ولد بالقاهرة سنة ١٠٥٥هـ، أخذ عن والده وعن النور الشبراملسي، وعن الشيخ محمد البابلي، وغيرهم، له مؤلفات قيمة، منها: «شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث»، و«شرح على الموطأ»، و«شرح على المواهب اللدنية»، وغيرها. توفي بالقاهرة سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠ م. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣٨٣/٣. ومقدمة شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، ط /١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤، نشره: مركز أهل السنة، بركات رضا، فور بندر، غجرات (الهند)، ١ / ٨).

الجامع الصغير[(١)]، عند شرح «أعطاه أسماع الخلائق»: أي: قوة، يقتدر بها على سماع ما ينطق به كل مخلوق من إنس وجن وغيرهما. (زاد المناوي: في أي موضع كان).

وروى الديلمي[(٢)] في مسند الفردوس عن سيدنا الصديق الأكبر[(٣)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (أكثِروا الصلاة عليَّ، فإن الله تعالى وكَّل بي ملكا عند قبري، فإذا صلَّى عليَّ رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد! إن فلان بن فلان صلّى عليك الساعة)[(٤)].

اللّهم صلِّ وبارِكْ على هذا الحبيب المجتبى والشفيع المرتجى، وعلى آله، وأصحابه، وأولياء أمته، وعلماء ملته أجمعين، صلاةً تدوم بدوامك، وتبقى ببقائك، كما هو أهل، وكما أنت أهل له. آمين آمين إله الحق آمين.

قال الشاعر[(٥)]:

«أيها القاصد! بلّغ مقاصدنا إلى مجلس الحبيب مرةً أخرى إن استطعت فأنا

---

(١) التيسير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٣٠.

(٢) هو شيرويه بن شهردار بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمذاني، مؤرخ من العلماء بالحديث. له «تاريخ همذان»، و«فردوس الأخبار بمأثور الخطاب» المسمى بـ «مسند الفردوس»، وله غير ذلك من الكتب، توفي سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م.(ينظر: الأعلام (قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة سنة ٢٠٠٥م، ٣/ ١٨٣).

(٣) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي، أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الأمة، وخليفة رسول الله ﷺ، كان أول من احتاط في قبول الأخبار، وهو رأس الطبقة الأولى من الصحابة الرواة، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ وله ثلاث وستون سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٩-١١).

(٤) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥)، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط /٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، باب الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام، كتاب الأذكار، رقم الحديث:٢١٧٨، ١/ ٢٥٠.

(٥) البيت كان بالفارسية، حذفناه لإشكال في الخطوط.

أضحي بحياةٍ في هذه الأمنية المباركة».

لقد قلتَ عن الأولياء الكرام أنهم أصبحوا «سمعيا على الإطلاق». لسماعهم كلام زائريهم! ولكنك ماذا تقول عن هذا العبد (الملَك) الذي لا يغيب لحظةً عن حضرة النبي (صلوات الله وسلامه عليه)، وحيث يسمع أصوات جميع العالم، شرقا، وغربا، وجنوبا، وشمالا، فبماذا تحكم عليه؟ لا نقول عنك، ولكن هؤلاء «تجار الشرك» من أصحاب النجد لم يروا قدرة الله عَزَّوَجَلَّ أنه يعطي عبادَه بغير حساب، ولم يشعروا بعظمة صفاته، فاستعجلوا بحكم «الشرك» على كل صغير وكبير، والحق أنهم، كما قال الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

السؤال السابع: هل يستلزم سماعُ الصوت بصرَ الصورة؟ لو كان كذا لَوَجبَ أن يكون العمْي كلهم صُمّاً، ويكون الملَك المذكور «بصيرا على الإطلاق»، أو أكثر من ذلك على حد قولك. وإلا فكيف فهمتَ أن الزائر يعتقد عن الميت أنه «بصير على الإطلاق» لمجرّد توجيه الخطاب إليه، فضلا عن العموم والإطلاق؟!

السؤال الثامن: ولنفترض أن سماع الكلام يلزم مطلق البصر، فبماذا تحصل الرؤية، بالمخاطب أو بالبصر؟ على الأول تبطل الملازمة. وعلى الثاني يلزم أن يكون جميع الخلائق صُمّاً. وإن كان التسليم بسماع كلام لغير الله، يستلزم الشرك مطلقا، إذن لزم أن يصبح الجميع مشركين. أو كان كل ذي سمع «بصيرا على الإطلاق» فهذه آفة أشد. والعياذ بالله.

السؤال التاسع: إن لم تستلزم زيادة الإدراك عند الأولياء سماعَ كل زائر، فلا يستلزمها عدم سماع الكل أيضا، وأنت بنفسك تقول بعدم الاستلزام، لا باستلزام العدم، ويبقى الاحتمال في كلتا الصورتين. فكيف تحكم بالشرك على أمر محتمل؟ والغاية أنه خطأ على الأكثر لو كان بلا دليلٍ، فهل يكون كل خطأ شركا؟

السؤال العاشر: ليس في علمي أن القران الكريم ذكرَ - ولو مرة واحدة - أن الذهاب إلى القبور والقيام بالكلام، أو الخطاب شرك أم حرام. أو على الأقل ورد

فيه أن الشخص الذي يقوم بهذا كأنه يجعل أصحاب القبور «سميعا أو بصيرا على الإطلاق»، وصحة استدلالك موقوفة على هذه الأمور. فإنك تقول إن القرآن الكريم نطق في مواضع عدة بتصريح تامٍّ. أنا لا أكلّفك بإيراد هذه المواضع كلها، وإنما أطلب منك من جملة هذه المواضع العديدة آيةً واحدةً فقط تصرح بهذا المضمون؟ بينوا تؤجروا!

السؤال الحادي عشر: إليك أيها الشيخ! ترجمة ومعاني تلك الآية المباركة من سورة يوسف، التي قدَّمتَها مستدلّا بها، اسمعها، لا مني، وإنما من إسماعيل الدهلوي[1]، فقد كتب في «تقوية الإيمان»[2]:

(إنما المسلمون مشركون. أي: أن أكثر الناس الذين يدعون الإيمان هم متورّطون في حبائل الشرك)[3].

لله! أين في هذه العبارة ذكر الذهاب إلى قبور الأولياء وخطابهم؟ أستغفر الله! ليس حتى للاسم فقط فضلا عن التصريح التام.

ثمّ ما الذي ثبت من دعواك بهذه الآية؟ وبماذا ألزمتَ زوار القبور؟ ولو كان مثل هذا الاستنباط الذي أدليتَ به – ولا علاقة له بما نحن فيه – اسماً لتصريحٍ تامٍّ لأَمْكَنَ

---

(١) هو رئيس الوهابية في الهند، ومجددها، إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، ولد في دلهي في ١٢/ ربيع الآخر ١١٩٣هـ في أسرة عزيزية معروفة بالعلم. وبالأخص في علم الحديث، درس على الشاه عبد العزيز، ولكنه انحرف عن المذهب الحقّ فيما بعد، واتخذ طريقا آخر. ترجم أفكار محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتاب سماه «تقوية الإيمان»، وبه فرّق كلمة المسلمين في هذه الديار، وحال بينهم وبين تاريخهم القائم على المحبة والأدب والاحترام، وقام بإحياء حركة التكفير، حتى لم ينج منه أبوه، ولا عمه، ولا جده، بل خالف جميع أسلافه، قتل في بالاكوت في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٦هـ. (ينظر ترجمته في مقدمة كتابه «تقوية الإيمان»، ص: ٥ – ٨).

(٢) هذا هو الكتاب الذي فرّق كلمة المسلمين بالهند، وجعل المسلمَ يكفّر أخاه المسلم، ويسيء الأدب إلى جناب الأنبياء والصالحين. فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

(٣) تقوية الإيمان، الباب الأول، ص: ٤.

لكلِّ مدعٍ أن يأتي بآيةٍ من القرآن على دعواه، خُذْ على سبيل المثال أن الفيلسوف يقول: إنَّ توسيط العقول حق، فلو لم يكن حق لَلَزِمَ أن تصدر جميع تلك الأشياء المتكثرة من الواحد الحقيقي بالذات، وهذا افتراء على الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، والافتراء على الله حرام قطعي، فقد صرّح به في عدة مواضع من الفرقان الحميد بتصريح تام، من جملتها في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩].

أو يقول النصراني: إن إنكار التثليث لذنب عظيم؛ لأن التثليث ثابت بآية الإنجيل المحرّف، وتكذيب الآية الإلهية سبب للعذاب الشديد، فقد صرّح بذلك في القرآن العظيم في مواضع عديدة، من جملتها في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قُل! هل تمَّ استدلالهم بهذه الهتافات؟ أوهل أثبتَ القرآنُ دعواهم الكاذبة؟ حاشا لله! واستغفر الله! ولاحول ولا قوة إلا بالله.

أنا لا أريد أن أصرّف الآيات الإلهية عن سياقها وسباقها مثل هذه الأوهام بقوة اللسان، وإلا كان قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، مناسبا جدا لحال المنكرين. وهذه الآية أكثر تطبيقا لموقع الحال بالنسبة لتلك الآية التي قدمتَها أنتَ؛ لأن هذه الآية تخاطب الكفار أنهم يئسوا من أصحاب القبور. فالآن اتضح أنه مَن الذي يئس من أصحاب القبور ومَن شدَّ بهم حبل الأمل؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

صنف آخر من هذا النوع:

هنا نذكر أقوالا لأكابر الأسرة العزيزية [1]، الذين أجازوا ارتكاب السؤال بلا

(١) هذه الأسرة هي أسرة الشاه عبد العزيز التي تضم علماء أفذاذاً، يعتمد عليهم الوهابية أيضا، لكونهم آباءهم، وأجدادهم، وشيوخهم، وأساتذتهم، مخالفين مذهبهم الحق، وأما أهل السنة والجماعة فيوافقونهم، ويحبونهم لوجه الله تعالى ورضا حبيبه الأعلى - عليه أفضل الصلاة والتسليم.

حصول علم فأشركوا شركا خالصا، أو وقعوا في شبهة الكفر أقل درجة منه على حدّ قول الشيخ!

السؤال الثاني عشر: يقول الشاه ولي الله[1] في «الهمعات» مرشدا إلى علاج النفس: (وذلك بأن يتوجّه إلى أرواح المشايخ الطيبة ويقرأ عليها الفاتحة، أو يقصد عتباتهم، ويطلب السؤال هناك)[2].

أقول أوّلاً: ما حكم السؤال من قبور الأولياء؟ لقد حكمتَ في جوابك بالشرك لمجرّد طلب الدعاء منهم، ولكنك ماذا تقول هنا عن طلب السؤال منهم؟

ثانياً: لا يعقل السؤال من أحد إلا أن يسمعه ذلك الشخص المسؤول ويتوجّه إليه، وإلا فما فائدة السؤال من الأحجار والجدران؟ وكما قلتَ إن كشف حال التوجه الخاص خارج من نطاق الزائر وخاص باختيار رب العالمين. إذن ما جوابك عن هذا السائل الذي أشار إليه الشاه المذكور، وهو الذي ارتكب السؤال بلا حصول العلم، فهل جعل أهلَ القبر سميعا وبصيرا أم لا؟ أو لم يلقّن الشاه تعليم الشرك الخالص أو ما يشبه ذلك؟ فما هو حكم الملقّن بمثل هذه الأشياء، أهو كافر؟ أم مشرك؟ أم هو من أهل البدعة والضلالة؟ بيّنوا تؤجروا[3].

---

(١) هو إمام المحدثين بالهند، أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بشاه ولي الله، الدهلوي، الحنفي (أبو عبد العزيز المحدث). ولد في ٤/ شوال المكرم سنة ١١١٤هـ/ ١٧٠٣م. نشأ في دلهي، وتلمذ على أبيه وبايعه. واشتغل بالتدريس مكان أبيه ما يقارب ثلاثين سنة، وفي عام ١١٤٣هـ ذهب إلى الحرمين الشريفين - زادهما الله شرفا وتعظيما - وسمع من أشهر المحدثين هناك، كما أخذ الطريقة عن الشيخ أبي طاهر المدني، واشتغل بالتأليف والتدريس فخلف علماء عباقرة، كما خلف مؤلفات قيمة، منها: «حجة الله البالغة»، و«الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف»، و«عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد»، و«الفوز الكبير في أصول التفسير»، و«أنفاس العارفين» وغيرها. توفي سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٨٧م، وعمره ثلاث وستون سنة. (ينظر: معجم المؤلفين، ١/ ١٦٩. ونزهة الخواطر: ٦/ ٨٥٨- ٨٦٧).

(٢) الهمعات، مطبوعة أكاديمية ولي الله، حيدر آباد، ص: ٣٤.

(٣) هكذا ألجم الإمام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لسانهم بالجواب الإلزامي، حيث لا جواب لديهم؛ لأن الشاه ولي الله الدهلوي مؤمن موحّد يعترف الجميع بإيمانه وبخدماته العظيمة في نشر الفكر =

ثالثاً: إن أوّل ما أرشد إليه الشاه هو التوجّه إلى الأرواح الطيبة في البيوت، وأما الذهاب إلى الأضرحة فأرشدَ إليه ثانيا. وبهذا يَبطُلُ حكمُ «الإطلاق»، الذي أطلقتَه.

السؤال الثالث عشر: إن الشاه المذكور نفسه كتب رباعيةً يقول فيها: (إن الذين تنزّهوا عن أدران النفس الحيوانية، فقد التحقوا بأنوار الذات الإلهية، عليكم أن تطلبوا فيض القدس بهمتهم العالية، فإنهم أبواب فيض القدس)[١].

وشرح نفسه هذه الرباعيات، فقال: (إن التوجّه إلى أرواح المشايخ الطيبة يفيد نفعا عظيما في تهذيب الروح والباطن).

أقول: ما أحسن نفعا بليغا بأن ارتكب الشرك باكتساب الفيض من همتهم العالية، بلا حصول العلم، على ما تظن!

السؤال الرابع عشر: إن الشاه المذكور نفسه يكتب في «القول الجميل»، يجدر بي أن أنقل هنا ترجمة عبارته العربية التي ترجمَها بها مولوي خرم علي [٢]، مؤلف «نصيحة المسلمين»، وهو من أكابر المنكرين، يقول في «شفاء العليل»: (لقد قال المشايخ من الطريقة الجشتية: أن يجلس في المقبرة أمام الميت مستدبرا الكعبة المعظمة، ويقرأ سورة الفاتحة إحدى عشرة مرة، ثم يدنو من الميت ويقول: «يا روح»، ويكرّر «يا روح الروح» في القلب حتى يجد النور والفرج، ثم ينتظر ذلك الفيض الذي

= الإسلامي القويم، ورواج العلم النبوي الشريف في الديار الهندية، ولم يؤثر عنه شيء يخالف الشرع، ولم يحكم عليه أحد بالكفر أو الشرك سوى هؤلاء الوهابية الذين يكفّرون العالَم سواهم، حتى لم ينج منه هذا العالم أيضا، الذي يعتمدون عليه.

(١) ينظر: مكتوبات ولي الله في «الكلمات الطيبات»، المكتوب الثاني والعشرون، مطبعة مجتبائي دلهي، ص: ١٩٤.

(٢) خُرّم علي من أكابر الوهابية في الهند، وقع في التناقضات الفكرية، فلم يستطع التوافق بين ما ذهب أسلافه من أمثال الشاه ولي الله الدهلوي إلى المذهب الحق وبين ما ابتدعه لنفسه، فوقع في الخطأ، كما وقع إسماعيل، قام بترجمة كتاب الشاه «القول الجميل» إلى الأردية، وسمّاه: «شفاء العليل»، فكأنه بهذه الترجمة وبهذا الاسم وافق ما في هذا الكتاب من معتقدات أهل السنة، لكنه خالفه من جانب آخر متناقضا مع نفسه، وهذه هي شأن أكثر أهالي هذه الفئة.

سيفيض على قلبه من صاحب القبر)[١].

أقول أوّلاً: ما حكم هذا النداء «يا روح»؟

ثانياً: بماذا تحكم على هؤلاء السائلين الفيوض والبركات بالتقرير، أو التسليم، أو الإشاعة، أو التعليم، جلسوا أمام القبور، كلّما أرادوا، يسألون الفيوض وينادون «يا روح، يا روح» بلا حصول العلم. أفلم يعتقدوا عن أهل القبور «سميعا وبصيرا ومعطيا ومفيضا على الإطلاق»؟ وهكذا ألم يرتكب الماتنُ والمترجم كلاهما شركا على حدِّ قولك؟

السؤال الخامس عشر: يقول الشاه عبد العزيز [٢] في تفسير «فتح العزيز» حيث كتب عن «زيادة الإدراك لبعض الخواص»: (منهم يكتسب الأويسيون كمالاتهم الباطنية، وبهم يطلب أصحاب الحاجات حل مشاكلهم وينجحون)[٣].

قل لي! أنت تسلم بزيادة الإدراك، ولكن كشف حال التوجه الخاص خارج عن نطاق الزائر، وليس ذاك إلا في اختيار رب العالمين. فلماذا لم تصدق هذه الكلمات (الشرك والكفر) على هؤلاء الأويسيين الذين يرتكبون الاستفادة بلا حصول العلم؟ وكيف كانت هذه النسبة التي تحصل عليها بطريق الشرك، معاذا الله! صحيحة أم مقبولة؟

---

(١) شفاء العليل لخرم علي، ترجمة «القول الجميل» للشاه ولي الله الدهلوي، مطبوعة فريد بك دبو، متيا محل، دلهي، الفصل الخامس، ص:٧٧.

(٢) هو الشيخ الكبير وإمام المحدثين النجل الأكبر للشاه ولي الله الدهلوي وخليفته في العلم والعمل والسلوك، ولد في دلهي سنة ١١٥٩هـ المصادف(١٧٤٦م) ودرس على أبيه، وغيره، تولى التدريس مكان أبيه فقد درَّس الحديث وغيره من الفنون ما يقارب ستين سنة، وخرَّج العلماء الكبار من أمثال الشاه رفيع الدين، والشاه عبد القادر، وصدر الدين آزرده، وفضل حق الخير آبادي، وغيرهم من العلماء والفضلاء. وإلى جانب التدريس اشتغل بالتأليف، فكتب مؤلفات قيمة منها: «بستان المحدثين»، وتفسير «فتح العزيز»، و«الفتاوى العزيزية»، و«التحفة الإثنا عشرية»، وغيرها. وحينما كتب إسماعيل الدهلوي كتابه المفسِد «تقوية الإيمان» متأثرا بأفكار محمد بن عبدالوهاب النجدي، قال الشاه عبد العزيز: لو لم أكن مريضا لكتبت ردّا على هذا الكتاب. توفي سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٤م في ٧/ من شوال وعمره ثمانون سنة. (برّد الله ثراه وجعل الجنة مثواه). (ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر، ٧/ ١٠١٤– ١٠١٨).

(٣) تفسير فتح العزيز، بيان الصدقات، مطبوعة مسلم بك دبو، دلهي، ص: ٢٠٦.

وهذا الشاه المذكور نفسه ينقل عن والده الشاه ولي الله أن النسبة إلى الأويسية صحيحة وقوية، فقد اكتسب الشيخ أبو علي الفارمدي[١] فيضا روحانيا من الشيخ أبي الحسن الخرقاني [٢]، وهو من بايزيد البسطامي[٣]، وهو من الإمام جعفر الصادق [٤]. نقله البلهوري في شفاء العليل[٥].

---

(١) هو الفضل بن محمد الفارمذي، نسبة إلى فارمذ أو فارمد، وهي قرية من قرى طوس، كان عالما شافعيا، عارفا بمذاهب السلف، ذا خبرة بمناهج الخلف، وأما التصوف فكان عشه الذي منه درج، وغابه الذي ألفه ليثه ودخله وخرج، تفقّه على الغزالي الكبير، وأبي عثمان الصابوني، وغيرهما، وصحب القشيري، وكان ملحوظا منه بعين العناية. قال السمعاني: كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين. توفي سنة (٤٧٧هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: الكواكب الدرية للمناوي، ٢ / ١٩٦).

(٢) لم نقف على حقيقته، ولعله محمد الخرقاني الذي يقول عنه المناوي إنه كان عظيم الشأن، لما حضرته الوفاة دعا بقوس، فأخذه ورمى نشابه، وقال: ادفنوني في المحل الذي وقعت فيه، فوقعت في الخرقانية بساحل البحر، بقرب قليوب، فحملوه، ودفنوه بها. مات في القرن الثامن. (الطبقات الكبرى للمناوي، ٤ / ٥٨٣).

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر. نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها سنة ٢٦١هـ. قال المناوي: وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة. وقال ابن خلكان: له مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة. وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وهذا خطأ. ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. (ينظر: البداية والنهاية، تأليف: أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٠٠ – ٧٧٤ هـ)، تحقيق: براز أبو حيان، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، دار أبي حيان، القاهرة، ١١ / ٤٨، ٤٩. والأعلام للزركلي، ٣/ ٢٣٥)

(٤) هو جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، الإمام أبو عبد الله العلوي المدني الصادق، أحد السادة الأعلام وابن بنت القاسم بن محمد وأم أمه هي أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر، قيل مولده سنة ثمانين. وثّقه الشافعي، ويحيى بن معين. وعن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد. وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. توفي سنة ١٤٨هـ. (تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، ١/ ١٢٥).

(٥) شفاء العليل، ترجمة القول الجميل، ص: ١٩٨.

ثانياً: ولترجع قليلا إلى ما سبقنا من قول الشاه: «إن أصحاب الحاجات يطلبون منهم حلَّ مشاكلهم وينجحون في هذا الطلب». انظر كيف جعل أرواح الأولياء قاضي الحاجات على مسمع ومرأى. والله لقد صدق من قال: «الناس أعداء لما جهلوا».

يقول الشاعر، إليك فحواه: (يا أيها الغوث الأعظم! المدد! إننا المساكين بلا عدة وعتاد، يا قبلة الدين أغثنا، يا كعبة الإيمان انصرنا)[١].

السؤال السادس عشر: يقول الشاه عبد العزيز في التفسير العزيزي، حيث جعل المقبور نعمة من نِعَم الله، ثم يقول معدِّدا منافعه وفوائده: (ما زال الانتفاع والاستفاده بالأولياء المدفونين جاريا)[٢].

أقول أولاً: لا بأس إلى حد الانتفاع؛ لأنه قد يكون بلا فائدة، وأما الاستفادة فقد استفحل الأمر؛ لأنها لا تكون إلا بطلب الفائدة. إذن ما أجدى نفعا بأن يشرك عباد الله بارتكاب السؤال بلا حصول العلم! معاذ الله.

ثانياً: وانتبه إلى كلمة «الجاري»؛ لأنه ليس المقصود منها إلا الرواج بين المسلمين، وما راج وشاع بين المسلمين لا يكون شركا؛ لأن الذين يجري فيهم الشرك لن يكونوا مسلمين ألبتة.

السؤال السابع عشر: إن المرزا مظهر جان جانان [٣] الذي يقول فيه الشاه ولي الله في مكتوباته أنه: «قيِّم الطريقة الأحمدية وداعي السنة النبوية». ونقل في حاشية

---

(١) البيت كان بالفارسية، حذفناه لإشكال في الخطوط، واكتفينا بترجمته.

(٢) ينظر: تفسير فتح العزيز، ص: ١٤٣.

(٣) هو من علماء الهند الكبار في القرن الثاني عشر، ولد أيام السلطان العادل أورنك زيب رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة ١١٠٠هـ المصادف ١٦٩٩م، درس على الشيخ عابد السنامي ومحمد أفضل السيالكوتي، وغيرهما، الفقه والحديث والتفسير حتى برع في الفقه والحديث، وكان من العلماء العاملين والعارفين الكاملين، قد أغدق عليه الشاه ولي الله الدهلوي وغيره بثناء عطر، توفي سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م. (ينظر ترجمته في: مجلة أهل الحديث، اهتم بها: أصغر علي الإمام مهدي السلفي، صدرت عن مركزي جمعية أهل الحديث، أردو بازار، جامع مسجد، دلهي (الهند)، ص: ٥٩).

«المكتوبات الولية» عن الشاه أنه قال: (لم يكن في الهند والعرب والغرب متبع كتابٍ وسنةٍ مثله، بل قلَّ مثله في السلف). هذا المرزا يكتب في ملفوظاته: (تصل نسبتي إلى حضرة أمير المؤمنين علي[1] - كرَّم الله وجهه الكريم- وللفقير به قربة خاصة، وكلما أشتكي من مرض جسماني أتوجه إليه، وبفضل هذا التوجه يحصل لي الشفاء)[2].

السّؤال الثامن عشر: ويضيف قائلا: مرة أنشدت في حضرته قصيدة، فغمرني بالكرم والامتنان، ومطلع القصيدة حسبما يأتي :

يعني: «يا أمير المؤمنين اعطني نورا وضياء لبصيرة المعرفة. يا أمير المؤمنين ولتكن إشارة بإصبع من اليد المؤيَّدة بالتأييد الإلهي!» [3].

أقول أولاً: كلّما كان جناب الميرزا يتوجّه إلى حضرة الإمام «حلّال المشكلات والنوائب»[4] عند الأمراض، فمن الذي أخبره أن حضرة المولى[5] علي بن أبي

---

(١) هو الخليفة الرابع، أبو الحسن الهاشمي، قاضي الأمة، وفارس الإسلام، وختن المصطفى ﷺ كان ممن سبق إلى الإسلام لم يتلعثم، وجاهد في الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل، وشهد له النبي ﷺ بالجنة، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب ١٩. وابن ماجة في المقدمة باب ١١). وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». (رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ٩). وقال: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». (رواه البخاري باب ٤ ومسلم في كتاب الإيمان حديث ١٢٩/ ١٣١). كان إماما عالما متحريا في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث، وقد استشهد أمير المؤمنين في السابع عشر رمضان من عام ٤٠هـ وعمره ستون سنة أو أقل أو أكثر بسنة أو سنتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٤-١٦).

(٢) مكاتيب مرزا، ص: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

(٤) يقصد به سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه الكريم -؛ لأن الله القدير أعطاه قوةً خارقةً على تمديد العون وحلّ مشكلات الناس، وهذا لا يُستبعد من الله العظيم، ذي المنة والفضل العميم الذي يُعطي عباده بلا حساب.

(٥) يحسن الإمام أحمد رضا بإضافة صفة «المولى» إلى اسمه المبارك؛ وذلك لما ورد عنه في الحديث الشريف، حيث قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه». (رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب ١٩. وابن ماجة في المقدمة باب ١١).

طالب- كرَّم الله وجهه الأسنى- يلتفت إليه عند التوجه؟

ثانياً: وهل كان يعلم الميرزا أنه - كرّم الله وجهه الكريم - يسمعه حين إنشاده القصيدة في حضرته؟ ألم يرتكب الميرزا السؤال والتوجه بدون حصول العلم في هذه الأوقات؟ أو لم يجعل أسد الله[١] «سميعا وبصيرا على الإطلاق»؟! وهكذا ألم ينطبق عليه هذا اللقب السيئ (المشرك) الذي أطلقتَه على من يتوسّل بالأولياء؟

ثالثاً: أو لم يكن الحكم أشد في حق الميرزا الذي لم يكتف بالذهاب إلى الضريح والقيام بالكلام والدعاء عند الميت الذي كان آفة عندك، بل يتوجه وينشد القصائد بدون الحضور على القبور؟

رابعاً: ولتنظر إلى عبارة الميرزا «نيازي خاص»[٢]، فإنها تعالج أوهام الجهال الذين يستغنون عن لفظ «نياز» إلى حضرته، مما يحكمون بالشرك والحرام على الفاتحة إلى أرواح حضرات الأولياء.

خامساً: بقي لنا أن نذكر لكم أنه أليس «التوجه» إلى الأرواح الطيبة لدفع الأمراض استمداداً بالغير؟ إذن كيف يسوغ لك أن تقول عن مثل هذا الرجل (المرزا المذكور) إنه متفرد في اتباع الشريعة، كما قال عنه الشاه ولي الله، فضلا عن كونه مسلما موحّدا حسب «تقوية الإيمان»؟[٣].

---

(١) هذا لقب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وردت هذه الكلمة في نص الميرزا، التي استشهد بها الإمام، وهي تعني: «الاحتياج الخاص»، ومما يجدر به الذكر هو أن نفس الكلمة تطلق على قراءة الفاتحة وأداء الثواب عند طلب الحاجات متوسّلا بالأنبياء والصالحين. وهذه الطريقة ينكرها الوهابية زعماً أنها من أعمال الشرك، فيردّ الإمام على مزاعمهم أنه لو صدق ما يتفوّهون به لأصبح الشاه ولي الله وممدوحه الميرزا المذكور من المشركين! وهذا شاق عليكم أيها الوهابية؛ لأنكم تعتمدون على هؤلاء، وتقرّون بعظمتهم، فأنى لكم الآن من المفرّ؟

(٣) هذه الأسئلة وضعها الإمام على منكري التوسل من أهالي الهند الذين يدّعون أنهم على مسلك الشاه ولي الله الدهلوي كذبا وخداعا، والحق أن مسلكه بريء مما يدّعي هؤلاء من أفكار زائغة، كما لاحظنا في هذه السطور.

السؤال التاسع عشر: وبماذا تحكم على والد الشاه ولي الله، الشاه عبد الرحيم[١]، فإنه أيضا لم ينج ببلاء هذا «الشرك» على نطاق العالم؟ يكتب الشاه ولي الله في «القول الجميل»: (وأيضا تأدّب شيخنا عبد الرحيم على روح جده لأمه الشيخ رفيع الدين محمد)[٢].

وترجم صاحب «شفاء العليل»[٣] هذه العبارة، فقال: (بأن شيخنا تأدّب بروح جده للأم، الشيخ رفيع الدين)[٤].

وحاشا! لم يكن هذا الفيض الروحاني أن وصله بلا طلب، بل هو الذي كان يقصد القبر ويتوجه إليه هناك، كما ينقل الشاه ولي الله عن والده في أنفاس العارفين بأنه: (كان يقول إني قد آنست بقبر الشيخ رفيع الدين في بداية الأحوال، فكنت أقصده وأتوجه إليه)[٥].

يا ربّ! إذا تورَّط أساتذة الشيخ إسماعيل ومشايخه بأوحال الشرك - كما يزعمون - فأين المفرّ لهذا الرجل! وهو يجني من ثمارهم، ويتّلمذ عليهم، ويردّد أسماءهم ويمدحهم، فإذا كانت هذه حال شيوخه وأساتذته، فهل يبقى هذا المقلِّد موحّداً؟ «وحسن نبات الأرض من كرم البذر».

---

(١) هو ابن الشاه وجيه الدين، وتلميذ المير محمد زاهد الهروي، كان عابدا زاهدا ورعا، توفي في ١٢صفر المظفر سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، وعمره سبع وسبعون سنة. (تنظر ترجمته في: نزهة الخواطر، ٦/١٤٦. وأنفاس العارفين للشاه ولي الله الدهلوي، ص: ٣٥- ٣٩، مكتبة الفلاح بديوبند، الهند).

(٢) ينظر: ترجمة القول الجميل، الفصل الحادي عشر، ص: ٢٠٠.

(٣) هذه ترجمة بالفارسية لخرم علي، ذكرها الإمام استشهاداً بها.

(٤) شفاء العليل ترجمة القول الجميل، الفصل الحادي عشر، ص: ٢٠٠.

(٥) أنفاس العارفين للشاه ولي الله الدهلوي، مطبوعة المعارف، شارع غنج بخش، لاهور، ص: ٣٦.

صنف آخر من هذا النوع:

سنذكر في هذا القسم الأسئلة التي تتعلق بالاستدلال الثاني من قبل الشيخ وهو التمسك بالحديث.

السؤال العشرون: إلى أين يطابق أقوالَ العلماء ذلك الشرحُ البديع الذي قمتَ به لحديث: (مَن حَلفَ بغير الله فقد أشركَ)[1]؟ وأكون ممنونا لو ألقيتَ نظراً على كتب أئمة الحديث والفقه وأتيتَ بقولٍ واحدٍ لعالمٍ يُعتَمدُ عليه. ولا تنسَ ألفاظك الشريفة بأنه ليس من سبب تلك الحرمة إلا هذا.

السؤال الواحد العشرون: ولتوضِّحْ! ما هي نوعية دلالة القَسم على اعتقاد النفع والضرر؟ وهل يترشح هذا المفهوم لغةً أو عقلا، وهل كان لازما وملزوما بأن لا يحلف الإنسان إلا بمن يعتقد فيه نفعا وضررا؟ وما الذي كان يعتقده الصحابة الكرام الذين كانوا يحلفون بالكعبة المعظمة، كما رواه النسائي وغيره؟ بينوا تؤجروا؟

السؤال الثاني والعشرون: أسالك! أي اعتقاد شرك؟ اعتقاد نفع وضرر لغير الله مطلقا، أم اعتقاده لغير الله مستقلا بالذات؟ على التقدير الأول، فهذا هو شرك لا يعصم منه أحد فى العالم؛ فإنك لن تجد أحدا لا يعتقد عن العسل أنه نافع ومفيد، وعن السمِّ أنه مؤذ ومضر. وعن الصديق الحميم أنه ينفع، والعدو اللدود يخاف منه بالضرر، وأنه لا يُخدمُ عالم، ولا يُطاعُ حاكم، إلا أنه يتعلق به فائدة دينية ودنيوية، ولا يحذر من المذهب الفاسد والحيّة المؤذية، إلّا لأنه يخشى منها الضرر روحانيّا وجسمانيّا، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ [النساء: ١١]. ويقول تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) تم تخريج هذا الحديث فيما سبق.

وروي في صحيح مسلم[١] عن جابر[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)[٣].

وروى الإمام أحمد[٤]، وأبو داود[٥]، والترمذي[٦]،

---

(١) هو مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب «الصحيح»، ولد سنة ٢٠٤هـ، وأول سماعه سنة ثماني عشرة ومائتين، فأكثر عن يحيى بن يحيى التميمي، والقعنبي، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير. روى عنه خلق كثير، منهم: الترمذي، وابن خزيمة، والسراج، وغيرهم. توفي في رجب ٢٦١هـ. (ينظر: البداية والنهاية، ١١/ ٤٦. وتذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، ٢/ ١٢٥).

(٢) هو ابن عمرو، الإمام أبو عبد الله الأنصاري الفقيه، مفتي المدينة في زمانه، كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار وحمل عن النبي ﷺ علما كثيرا نافعا، وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم، وأراد شهود بدر وشهود أحد فكان أبوه يخلفه على أخواته، ثم شهد الخندق، وبيعة الرضوان. توفي في سنة ٧٨هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٥-٣٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب السّلام، باب استحباب الرقية من العين، رقم الحديث: (٥٨٥٧)، ٢/ ٩٥٢. (مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة).

(٤) هو شيخ الإسلام، وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة، أبو عبد الله أحمد بن محمد تبن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ. سمع سفيان بن عيينة وغيره، وعنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو زرعة، وجماعة. توفي يوم الجمعة ثاني عشر من ربيع الأول ٢٤١هـ. وله سبع وسبعون سنة.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ١٦).

(٥) هو الإمام الثبت، سيد الحفاظ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، صاحب السنن، ولد سنة ٢٠٢هـ، حدث عنه: الترمذي، والنسائي، وجماعة. قال الحاكم أبو عبد الله: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافع. توفي في السادس عشر من شوال ٢٧٥هـ بالبصرة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ١٦).

(٦) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي، الترمذي الضرير، صاحب «الجامع»، و«العلل». سمع قتيبة بن سعيد، وأبا مصعب، وإسماعيل بن موسى السدي، وطبقتهم. وتفقه في الحديث بالبخاري. حدث عنه: مكحول بن الفضل، ومحمد بن محمود بن عنبر، وحماد ابن شاكر، وغيرهم. قال ابن حبان في «الثقات»: كان أبو عيسى ممن جمع، وصنّف، وحفظ، وذاكر. توفي سنة ٢٧٩هـ بترمذ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢/ ١٥٤).

والنسائي[١]، وابن ماجة[٢] بسند حسن عن مالك بن قيس[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شق الله عليه)[٤].

وفي حديث الحاكم أن المولى عليا - كرَّمَ الله وجهه الكريم - قال لأمير المؤمنين الفاروق الأعظم[٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الحجر الأسود: (بلى يا أمير المؤمنين! يضر

---

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، القاضي، الإمام الحافظ الناقد، شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين. صاحب السنن، استوطن مصر، وحدث عنه: أبو بشر الدولابي، وغيره. قال الدارقطني: خرج حاجا فامتحن بدمشق، وأدرك الشهادة، فقال: احملوني إلى مكة فحمل وتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٠٣هـ، وقال: كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال. (ينظر: البداية والنهاية، ١١/ ١٦٤. وتذكرة الحفاظ، ٢/ ١٩٤- ١٩٥).

(٢) هو الحافظ الكبير المفسّر أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة الربعي، صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ، ومحدث تلك الديار، ولد سنة ٢٠٩هـ. وسمع محمد بن عبد الله بن نمير وغيره، وعنه محمد بن عيسى الأبهري، قال أبو يعلى الخليلي: ابن ماجة ثقة كبير متفق عليه محتج به، له معرفة وحفظ ارتحل إلى العراق، ومكة، والشام، ومصر. توفي سنة ٢٧٣هـ رَحِمَهُ اللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢/ ١٥٥).

(٣) هو أبو صِرمة المازني الأنصاري، اسمه مالك بن قيس. وقيل: ابن أبي قيس. وقيل: ابن سعيد. وقيل: قيس بن مالك بن أبي أنس من بني مازن بن النجار. وقيل من بني عدي النجار. وصحّح الحافظ أبو أحمد الدمياطي أن اسمه قيس بن صرمة بن أبي صرمة بن مالك بن عدي بن النجار، وكذا نسبه ابن البرقي، وابن قانع. شهد بدرا وما بعدها، وكان شاعرا. ذكره محمد بن الربيع الجيزي فيمن قدم مصر من الصحابة. وأما ابن إسحاق، وموسى بن عقبى، والواقدي، وأبو معشر فلم يذكروه في البدريين. (ينظر: تهذيب التهذيب في رجال الحديث، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٧ / ٤٠١).

(٤) الجامع، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة، رقم الحديث: (٢٠٦٦)، ٢/ ٥٠٧.

(٥) هو الخليفة الثاني، أبو حفص العدوي الفاروق، وزير رسول الله ﷺ ومن أيّد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم الذي جاء عن المصطفى ﷺ أنه قال: لو كان بعدي نبي لكان عمر. رواه البخاري في كتاب الأدب. وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد، فقد كان شديد التحرز والتأكد، في تأكيد الخبر =

وينفع)[1].

وعلى التقدير الثاني، فالواقع ونفس الأمر يخالف هذا الوهم ويشهد على خلافه شاهد عدل؛ فإن مئات الآلاف من الناس يحلفون برؤوسهم، أو رؤوس أحبائهم، وعيونهم، وأرواحهم، ولا يخطر ببال أحدهم أن هذه الأشياء تملك لهم نفعا وضرا مستقلا بذاتها، ولا يتبادر إليه ذهن سامع. وماذا تقول عن قول النابغة الجعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]:

لعمري وما عمري عليَّ بهيِّنٍ لقد نطقتْ بطلاً عليَّ الأقارعُ

فأية عقيدة تظهر عندك من هذا القول، حيث أقسَم النابغة بالعمر؟ وكذلك أقسم سيدنا الصديق الأكبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأم المؤمنين الصديقة[3] -رضي الله تعالى عنها-، وغيرهما من أئمة الدين رَحِمَهُمُ اللَّهُ بآبائهم وبذواتهم، كما لا يخفى على خدّام الحديث الشريف.

السؤال الثالث والعشرون: على كلٍ، كان يبدو لك من القَسم بالغير أنه يشرك في

= عن النبي ﷺ. استشهد في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين، وعاش نحوا من ستين سنة، فمنهم من يقول عاش خمسين سنة، والأرجح أنه عاش ثلاثا وستين سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١١/ ١٢).

(١) المستدرك للحاكم، دار الفكر بيروت، الحجر الأسود يمين الله، ١ / ٤٥٧.

(٢) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى، شاعر مفلق، صحابي، من المعمرين. اشتهر في الجاهلية، وسمي بـ «النابغة»؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي، ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م، وقد كفَّ بصره، وجاوز المائة. وأخباره كثيرة. وجمعت الآنسة من المستشرقين مارية نلينو ما وجدت من متفرقات شعره، في «ديوان» مع ترجمة إلى الإيطالية وتحقيقات. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٥/ ٢٠٧).

(٣) هي من أكبر فقهاء الصحابة، فقد كان فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها. بنى بها النبي ﷺ في شوال بعد وقعة بدر فأقامت في صحبته ﷺ ثمانية أعوام وخمسة أشهر، فكانت أحب نسائه إليه. وكانت غزيرة العلم. توفيت في سنة سبع وخمسين، وقيل في سنة ثمان وخمسين. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٢٥-٢٦).

عقيدته غير الله في النفع والضرر. وعلى وهمك كفى الشرع للتحريم بناءً على هذا، والأمر أن حال قلبه لا يعلمها إلا الله! هنا أسألك عن أولئك الذين لا يعتقدون نفعا وضرا لغير الله، بل يصرّحون بملكية النفع والضرر لغير الله، ولِمَن هذه الملكية؟ لذلك الشقي الذي ادعى الألوهية، وقام بعبادته أصحابُ العقول الضعيفة، وهو الفرعون الرجيم - نسأل الله عن حاله الصون - الذي يقول عنه الشاه عبد العزيز في إثبات أن عبادة السامريين[٤] العِجلَ أفظع وأقبح عن عبادة الأقباط الفرعونية، حيث يكتب في تفسيره العزيزي: (تعظيم الملك صاحب الجاه والسلطان، الذي يملك النفع والضرر، قد يعقل إلى حدٍّ مَّا، ولكن عبادة العِجل لا تعقل؛ لأنه حيوان لا يعقل، ويُضرب به المثل في الحمق والبلادة، فلا شيء لتعظيمه!)[٥].

السؤال الرابع والعشرون: سأذكر فيما يأتي أنه ما هي علاقة طلب الدعاء باعتقاد النفع والضرر، هنا أقتصر القول على سبيل الفرض أنه بدأ لك الشرك المعنوي هنا في اعتقاد النفع والضرر بمجرد طلب الدعاء منهم، ولم يطلبوا منهم مباشرةً، ولكن ما حكم:

(١) الذهاب إلى الأضرحة، عظيمة البركات، وطلب السؤال من أصحابها؟

(٢) انتظار الفيوض بقول «يا روح يا روح»؟

(٣) طلب حل المشكلات منهم؟

(٤) التوجه إليهم عند المرض؟ كما ذكرنا في القسم السابق.

(٥) استخدام لفظ «الانتفاع والاستمداد»، ولا يعني ذلك إلا الحصول على النفع، ولا يعقل دون سواه؟

نعم، من الإنصاف أن يقال: إن طلب الحاجة أشد من طلب الدعاء؛ لأن طلب الحاجة لا يفرق فيه بين الحق والشرك، إلا اعتمادا على نية السائل، فلو طلب من

---

(٤) هم الذين اتبعوا السامري الذي صاغ العِجل لأتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذهابه إلى الطور.

(٥) التفسير العزيزي، سورة البقرة، ص: ٢٣٨.

أحد، ونوى سببا ظاهراً ومظهر العون الباري، فهو حق خالص، ولو طلب من أحد، واعتقد أنه العون المستقل بالذات، فهو شرك خالص بخلاف طلب الدعاء؛ فإنه يدل نفس الكلام على عبودية المطلوب منه واحتياجه إلى حضرة الغني- جلَّ جلاله - حتى يستحيل اجتماعه بتوهّم الاستقلال، كما لا يخفى على أولي النهى. مع هذا كله لو كان هذا شركا، فلا أجد لفظا أقبح من لفظ «الشرك» الذي طبَّقتَه، لقد صدق القائل إنه «ضاق عن وصفكم نطاق البيان».

السؤال الخامس والعشرون: لو يُسلَّم أن القَسم بغير الله حرام، بِناءً على هذا، فما علاقة هذه المسألة بما نحن فيه. فهل يترشح مثل هذا الاعتقاد بالنفع والضرر من طلب الدعاء من أحد أيضا، حتى يصبح شركا بالمعنى؟ وإن كان كذا، فقد ثبت عن النبي ﷺ خلافه، وذلك أنه طلب الدعاء، وإليك الأحاديث الآتية:

الحديث الأول: طلب المصطفى ﷺ نفسه دعاءً من أمير المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما كان يقصد مكة المعظّمة، حيث قال: (لا تنسَنا يا أخي من دعائك)[1]. رواه أبو داود عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية أحمد، وابن ماجة، قال ﷺ: (يا أخي أشركنا في شيء من دعائك، ولا تنسنا)[2].

الحديث الثاني: كان من عادته ﷺ الشريفة، أنه كان يخاطب أصحابه بعد الفراغ من دفن الميت، فيقول: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل)[3].

---

(١) رواه أبو داود في سننه عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة... ينظر: سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، مطبوعة المكنز، ١ / ٢٥٥.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه عن سالم عن ابن عمر عن عمر أنه استأذن النبي ﷺ في العمرة، فأذن له وقال:... ونص الحديث ما أثبتناه، وقد طبع في الفتاوى الرضوية «بصالح من دعائك». (ينظر: سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب فضل الدعاء، مطبوعة المكنز الإسلامي، القاهرة، ص: ٤٢٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار، رقم الحديث: (٣٢٢٣)، ٢/ ٥٥٨.

رواه أبو داود، والحاكم[١]، والبيهقي[٢] بسند حسن، عن عثمان الغني[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الثالث: روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر[٤] -رضي الله تعالى عنهما- أنه ﷺ قال: (إذا لقيت الحاج فسلِّم عليه، وصافحه، ومُرْه أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته؛ فإنه مغفور له)[٥].

---

(١) هو الحافظ الكبير إمام المحدثين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري، يعرف بابن البيع صاحب «المستدرك». كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته، صالحا ثقة، توفي سنة ٤٠٥هـ. (ينظر: البداية والنهاية، ١١/ ٤٦٥. وتذكرة الحفاظ، ٣/ ١٦٢).

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٨٤هـ، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الأحاديث. وكان شافعي المذهب، حضر في أواخر عمره من «بيهق» إلى «نيسابور» وحدّث بكتبه، ثم حضره الأجل في ١٠ جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ فنقل في تابوت فدفن ببيهق، هي ناحية من أعمال نيسابور على يومين منها. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ٢١٩ - ٢٢١).

(٣) هو الخليفة الثالث، أبو عمرو الأموي ذو النورين، كان من السابقين الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله، هاجت رؤوس الفتنة والشر وأحاطوا به وحاصروه ليخلع نفسه من الخلافة وقاتلوه - قاتلهم الله - فصبر وكف نفسه وعبيده حتى ذبح صبرا في داره والمصحف بين يديه وزوجته نائلة عنده وتسور عليه أربعة أنفس. وقتله سودان بن حمران يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٣).

(٤) هو ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنهما - أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه، أحد الأعلام في العلم والعمل، شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان، مناقبه جمة أثنى عليه النبي ﷺ ووصفه بالصلاح. توفي ابن عمر في أول سنة أربع وسبعين، وهو شقيق أم المؤمنين حفصة - رضي الله تعالى عنها.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣١-٣٢).

(٥) مسند أحمد بن جنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، رقم الحديث: (٥٣٧٠)، ٢/ ٩٤.

الحديث الرابع: أمر النبي ﷺ أصحابَه بعد أن ذكر الأويس القرني[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: (فمن لقيه منكم فليأمره فليستغفر له)[٢]. أخرجه مسلم، والبيهقي عن عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي رواية أنه ﷺ أمر أمير المؤمنين عمر الفاروق خصوصا، بطلب الدعاء من أويس القرني؛ لأنه عبد مقرّب في جناب الله عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه الخطيب [٣]، وابن عساكر[٤].

الحديث الخامس: ولقد طلب أميرُ المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاء الاستغفار من أويس القرني امتثالا لأمره ﷺ [٥]. أخرجه ابن سعد[٦]، والحاكم، وأبو عوانة [٧]،

---

(١) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن ردمان بن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المعدمين، من القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة. وشهد وقعة صفين مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها سنة ٣٧هـ -٦٥٧م. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٢/ ٣٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، وباب فضائل أويس القرني، رقم الحديث: (٦٦٥٤)، ٢ / ١٠٨٣.

(٣) هو الحافظ الكبير، محدث الشام والعراق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٩٢هـ. رحل إلى الأقاليم، وبرع وصنف، وجمع، وسارت بتصانيفه الركبان. كان من كبار الشافعية، آخر الأعيان معرفةً وحفظا وإتقانا وضبطا للحديث، توفي سنة ٤٦٣هـ. (ينظر: البداية والنهاية، ١٢ / ١٠١. وتذكرة الحفاظ، ٣/ ٢٢١).

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر، ترجمة: أويس القرني، دار الفكر، بيروت، ٥ / ٨٢.

(٥) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب أويس بن عامر القرني، ٣/ ٤٥٦.

(٦) هو الحافظ العلامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعد النيسابوري، الحاجي البزاز أحد الأثبات، ذكره الحاكم وحدث عنه وقال: كتب الكثير وجمع الشيوخ والأبواب والملح ولم يرحل. قال ابن شيروية: ثقة مأمون توفي أبو محمد فجأةً في سنة تسع وأربعين وثلاث مائة، وهو في عشر الثمانين. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ٨١-٨٢).

(٧) هو الحافظ الثقة الكبير يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الاسفراييني النيسابوري الأصل، صاحب الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم، وله فيه زيادات عدة، طوف الدنيا وعني بهذا الشأن، قال الحاكم: وأبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم، توفي سنة ٣١٦هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٣ / ٣).

والروياني[١]، والبيهقي في «الدلائل»، وأبو نعيم[٢] في «الحلية» كلهم من طريق أسير ابن جابر[٣] عن عمر - رضي الله تعالى عنهم.

الحديث السادس: وفي رواية أن أمير المؤمنين الفاروق وأمير المؤمنين المرتضى كليهما أُمِرا بطلب الدعاء من أويس القرني، ولقد طلبا منه الدعاء. أخرجه ابن عساكر[٤].

الحديث السابع: روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة[٥] - أستاذُ الإمام البخاري ومسلم-

---

(١) هو أبو بكر بن هارون صاحب المسند المشهور، حدث عن أبي الربيع الزهري، وإسحاق بن شاهين، وأبي زرعة، وخلائق. وروى عنه أبو بكر الإسماعيلي، وآخرون. وثّقه أبو يعلى الخليلي، وذكر أن له تصانيف في الفقه. توفي سنة ٣٠٧هـ. (تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، ٢/ ٢٢٦).

(٢) هو الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول، ولد سنة ٣٣٦ هـ، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاث مائة، قال الخطيب: لم أر أحدًا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم العبدوي. وقال حمزة بن العباس العلوي: كان أصحاب الحديث يقولون: بقي الحافظ أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير، لا يوجد شرقًا ولا غربًا أعلى إسنادًا منه ولا أحفظ منه، مات أبو نعيم في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربع مائة عن أربع وتسعين سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣ / ١٩٥ - ١٩٨).

(٣) هو ابن جابر الكوفي، ويقال: أسير، أبو الخيار العبدي، ويقال: المَحاربي، ويقال: الكندي، ويقال: القِتباني، ويقال: إنهما اثنان. قال علي بن المديني: أهل البصرة يقولون: أسير بن جابر، وأهل الكوفة يقولون: أسير بن عمرو. وقال بعضهم: يسير بن عمرو، ورجح البخاري إلى أنه أسير بن عمرو، وأشار إلى تثبيت قول من قال فيه ابن جابر. أدرك زمن النبي ﷺ، ويقال: إن له رؤية. قال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث. وذكره ابن حبان في «الثقات»، كذلك ذكره العجلي في «الثقات» من أصحاب عبد الله بن مسعود. توفي سنة ٨٥هـ. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٠٣ - ٢٠٤).

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر، ترجمة: أويس القرني، ٥ / ٨٣ و ٨٤.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، روى عنه شريك وهشيم، وخلق. وعنه البخاري، ومسلم، أبو داود وابن ماجة وخلق، توفي سنة ٢٣٥هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢ / ١٦).

في مصنفه، والإمام البيهقي في «دلائل النبوة» في الجزء الحادي عشر بسند صحيح[١] عن طريق أبي معاوية [٢] عن الأعمش[٣] عن أبي صالح[٤] عن مالك الدار[٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أصابَ الناسَ قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل[٦] إلى قبر

---

(١) نص على صحته الإمام القسطلاني في المواهب (المؤلف).

(٢) هو محمد بن خازم التميمي السعدي، أبو معاوية الضرير الكوفي، يقال: عمي وهو ابن ثمان سنين أو أربع. وثّقه العجلي، والنسائي، وابن سعد، وابن خراش، وغيرهم، إلا أنه اتهم بالإرجاء، والتدليس، وشك في غير حديث الأعمش. والله تعالى أعلم. مات سنة ١٩٥هـ. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٥ / ٥٥٦ - ٥٥٨).

(٣) هو شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أصله من بلاد الري، رأى أنس بن مالك وحفظ عنه. وروى عن: ابن أبي أوفى، وعكرمة، وأبي وائل، وخلق كثير. وعنه: شعبة، وأبو معاوية، ووكيع، وجماعة. قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض. وكان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة، وله سبع وثمانون سنة رَحِمَهُ اللَّهُ.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١١٦).

(٤) هو باذام، مولى أم هاني بنت أبي طالب، ويقال: باذان. روى عن: علي، وابن عباس، وأبي هريرة، ومولاته أم هاني. وعنه: الأعمش، وإسماعيل السدي، وسِماك بن حرب، وأبو قلابة، وغيرهم. كان ضعيفا، اتهم بالكذب، وقال ابن حجر: وثقه العجلي وحده. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. (تهذيب التهذيب، ١ / ٣٩١ - ٣٩٢).

(٥) لم أجد مَن اسمه «مالك الدار»، ولعلّه مالك بن دينار السامي الناجي البصري الزاهد، كان أبوه من سجستان. وقيل: من كابل. روى عن: أنس بن مالك، والأحنف، والحسن البصري، وابن سيرين، وغيرهم. وعنه: أخوه عثمان، وأبان بن يزيد العطار، والحارث بن وجيه، وآخرون. وثقه النسائي، وابن سعد. وذكره ابن حبان في «الثقات». توفي سنة ١٣٠هـ. (تهذيب التهذيب، ٦ / ١٤٨).

(٦) هو بلال بن الحارث المزني، الصحابي، كما عند سيف في كتاب الفتوح، انظر: شرح المواهب للزرقاني. (المؤلف). وهو أبو عبد الرحمن: صحابي، شجاع، من أهل بادية المدينة. أسلم سنة ٥هـ. وكان من حاملي ألوية «مزينة» يوم الفتح. وسكن موضعا وراء المدينة يعرف بالأشعر. ثم شهد غزوة إفريقة مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان حامل لواء مزينة يومئذ، ومعه منهم أربع مائة مقاتل. توفي في آخر خلافة معاوية حوالي سنة ٦٠هـ، عن ٨٠ عاما. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٢/ ٧٢).

النبي ﷺ فقال يا رسول الله! استسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقيل له: ائت عمر! فأقرأه السلام وأخبره أنكم مستقيون)[١].

يقول الشاه ولي الله في «قرة العينين» بعد أن نقل هذا الحديث: (رواه أبو عمر في الاستيعاب)[٢].

الانتباه النبيه: هذه عدة أحاديث في طلب الدعاء من الأحياء الحقيقيين. أما الأحاديث في طلب الدعاء من الأموات، وهو أصل المسألة، فسنذكرها في المقصد الثالث - إن شاء الله تعالى.

ولتُحفظ نكتة مهمة دائما، وهي أن الأمر الذي هو شرك، يعمُّ حكمُه الجميعَ، ويشترك فيه الأحياء، والأموات، والإنس، والجن، والملائكة، وغيرهم، بل الخلق كلهم على حد سواء؛ إذ لا يمكن أن يشارك الله عَزَّوَجَلَّ أحدٌ أيّاً كان، إذن لماذا هذا الفرق في الأمور الشركية بين الحياة والموت؟ كما هي وطيرة هذه الطائفة الحديثة التي خرجت من العقل والشرع كليهما.

فهل يمكن أن يكون الأحياء شركاء لله؟ وليس المنع إلا بشرك الميت فحسب؟ عليك أن تراجع ما قِستَ عليه، أعني القَسم بالغير، الذي إن لم يحل بالميت، فلا يحل بالحي أيضا، وكذلك إذا حكمتَ بالشرك في طلب الدعاء، فلا يخص هذا الحكم بالأموات دون الأحياء، بل يحرم طلب الدعاء من الأحياء أيضا ألبتة؛ لأن الأحياء والأموات سواء في كون الشرك بالله، ولهذا قال المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي[٣]- قدس سره العزيز- في شرح مشكاة الشريفة: (لو كان هذا المعنى،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، فضائل عمر، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ١٢ / ٣٢.

(٢) قرة العينين للشاه ولي الله الدهلوي، النوع الرابع، المكتبة السلفية، لاهور، ص: ١٩.

(٣) هو الشيخ المحدث الإمام عبد الحق بن الشيخ سيف الدين ترك البخاري، جده آغا محمد نزل من بخارى إلى دلهي أيام الملك سلطان علاء الدين الخلجي، واستوطن فيها. وفي هذه المدينة ولد الشيخ سنة ٩٥٧هـ وبها نشأ وسافر إلى الحرمين الشريفين حاجّا عام ٩٩٦هـ وعمره =

الذي ذكرناها في بيان الإمداد وطلبه، موجبا للشرك، وتوجها إلى غير الله، كما يظن المنكِر، لَوجبَ أن يُمنعَ من التوسّل، وطلبِ الدعاء من الصالحين وأولياء الله في حياتهم الدنيوية أيضا، مع أنه ليس ممنوعا، بل مستحب في الدين بالاتفاق)[١].

= سبع وثلاثون سنة، وهناك قرأ صحيح البخاري، ومسلم على علمائها، ثم قصد الشيخ عبد الوهاب المتقي، وأكمل عنده علم الطريقة والسلوك حتى جمع بين العلم والعمل. وأصبح علَماً في الحديث والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى، وبه راج الحديث في الديار الهندية، وإليه ترجع سيادة العلم فيها. من مؤلفاته «أخبار الأخيار»، و«جذب القلوب»، و«أشعة اللمعات شرح المشكاة» بالفارسية، و«لمعات التنقيح» شرح مشكاة المصابيح بالعربية، و«ما ثبت من السنة»، وغيرها من كتب مفيدة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ربيع الأول سنة ١٠٥٢هـ عن عمر يناهض أربعا وتسعين سنة. (تنظر ترجمته في: نزهة الخواطر، ٥/ ٢٠٦-٢١٥).

(١) أشعة اللمعات للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، المكتبة النورية الرضوية، سكهر، باب حكم الإسراء، الفصل الأول، ٣ / ٤٠١.

النوع الثاني

الاختلافات بين الشيخ ورفقائه في الفكر

هنا نثبت أن جواب الشيخ المذكور لا يوافق مذهب المنكرين أيضا؛ فإنه يخالف الطائفة الحديثة بوجوهٍ عديدةٍ، في الأصول والفروع صراحةً، وقد يوافق المذهب المهذّب لأهل الحق في بعض الشيء، ولم يختلف مع نظرائه في الفكر فحسب، وإنما صدرَ منه بعض الشيء من الحق عفويا، ولو بدأ له ذلك، لرأيتَ عليه أمارات العجب والكراهة، لاختلافه مع مذهبه الأصلي وفكره الحقيقي. فيا ليتَه يعترف بما يقول، وما أحسن التسليم والقبول بالحق! وهذه هي المسائل التي اختلف فيها الشيخ مع أربابه في الفكر:

المخالفة الأولى: يقول الشيخ: (إن زيارة قبور المؤمنين مندوبة ومسنونة، وبالأخصّ منهم صلحاء الدين). ولا شكّ أنه قول حق على مذهبنا، ولكنه خلاف لِما ذهب إليه صاحب «مائة مسائل» [(١)]؛ لأن الزيارة التي أجازها شرعا بلا كراهةٍ، لا تخصُّ بعتبات مقدّسة لحضرات الأولياء فقط، بل تساوي فيها قبور الجميع، من

---

(١) هو أبو سليمان إسحاق بن محمد الدهلوي، سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي، ولد في ٨ ذي الحجة سنة ١١٩٦هـ بدهلي، ونشأ في مهد جده لأمه المذكور، تولى تدريس الحديث مكانه، ارتحل إلى مكة في سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م، حيث مات سنة ١٢٦٢هـ. (ينظر: تاريخ دار العلوم ديوبند، ترتيب: سيد محبوب رضوي، طبع باهتمام دار العلوم ديوبند سنة ١٩٩٢م. ونزهة الخواطر، ٧ / ٥١-٥٣).

شارب الخمر، وزان، حيث قال، وهذه ألفاظه: (في هذا النوع من الزيارة يشترك جميع القبور من ولي وغيره، وشهيد وغيره، وصالح وفاسق، وغني وفقير)[(١)].

ولم يستطع الصبر على بيان هذه المساواة، وإنما تقدّم معكوسا، فقال: (بل العبرة في زيارة قبور الأغنياء والملوك أكثر)[(٢)].

وهذا يعني[(٣)] أن الفائدة التي أجاز لأجلها الشرعُ زيارةَ القبور، لا تتحقق في زيارة قبور الأولياء، كما تتحقق في زيارة قبور الأغنياء من أصحاب الفلوس، ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يقصد إلا زيارة قبور الأغنياء، حيث يضاف له فلس وفلسان! إنا لله وإنا إليه راجعون.

المخالفة الثانية: لقد قرَّرتَ أيها الشيخ! أن قراءة الفاتحة، والصلوات، وأداء ثوابها إلى أرواح الأموات عند زيارة القبور مندوب ومسنون. هذا حسن جدا، ولكنه عليك أن تثبت خصوصية هذه الصلوات، وقراءة الفاتحة بالقرآن والحديث، أو تثبت أن هذه الخصوصية كانت رائجةً في القرون الثلاثة الأولى؟ فإن فعلتَ ذلك، فلك الخير، وإلا فلتأخذ موضعك من النار؛ لأنك شرَّعتَ البدعة، و(كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

---

(١) مائة مسائل، تأليف: إسحاق الدهلوي، مكتبة التوحيد والسنة، بشاور، السؤال الثالث عشر، ص: ٢٣ - ٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٣ - ٢٤.

(٣) أقول - وبالله التوفيق: فليسأل أحد هذا الرجل! أنه لو كان الحق، كما يقول، لثبتَ من النبي ﷺ الذهاب إلى قبور الملوك والأغنياء، مضاعفا ما ثبت عنه ﷺ الذهاب إلى قبور أحد والبقيع، ليشير الأمة إلى اختيار الأنفع والأفضل! أو ثبت منه حينا بعد حين، أو على الأقل ثبت منه مرة واحدة، أنه ذهب إلى قبر ملك أو أنه خصص قبر غني لغناه دون سواه، كلا لن تجد أنه ﷺ ذهب إلى قبر ملك أو غني، إذن كيف ساغ له ﷺ أن يترك هذا الأمر المشروع على ظنك، وكذلك لم نجد الصحابة الكرام ولا الصالحين إلا أنهم اهتمّوا بزيارة قبور الصالحين، في كل قرن وفي جميع الطبقات، ولن تجد أحدا اعتنى بزيارة قبر ملك أو ثري. والحق أن العبرة مرجّحة في زيارة قبور الصالحين، وانحصار مشروعية الزيارة في العبرة باطل ومردود، سترى خلاف ذلك عبارته هذا نفسه في «مظاهر الحق ترجمة المشكاة» في المقصد الثالث، ترد ذلك، فينسى ما قدمت يداه. والله تعالى أعلم. (المؤلف).

النار)[١]، كما تستنبط الطائفة الحديثة خطأً دون أن تفرِّق بين البدعة الحسنة والسيئة، فضلا عن كون الزيارة سنةً وندباً!

المخالفة الثالثة: لقد شملَ سؤال السائل «قراءة الفاتحة والصلاة على النبي ﷺ» كلتيهما معا، ولم يكن جواب الشيخ إلا على ما أشير إليه في السؤال، ولنفرض أن قراءتها تجوز فرداً، ولكنه لا تزال قراءتها في هيئة اجتماعية موضع نظر على أصول هذه الطائفة، ولهذا لا يخلو لك، إما أن تحكم على نفسك بالبدعة على أصول الطائفة الحديثة، وإما أن تسلِّم بأنه لا كلام في الحَسن المجموع بعد الإقرار بالحسن المفرد، حتى لا يعتريه فساد.

المخالفة الرابعة: تشهد تصريحات هذه الطائفة أن الفعل الذي يكون حَسنا في نفسه، ولكنه يكون رائجا بين العامة بخلط المفاسد، فهذا الخلط هو الذي يجعل الأصل ممنوعا، على ما زعموا، لا بمنع المفاسد. وعلى هذا إن قلتَ بمنع الأصل فحينئذ يلزم عليك أن تقول بتحريم الزيارة على أصول الطائفة، لا المندوب ولا المسنون؛ وذلك لأن الشرك رائج عند زيارة العتبات المقدسة بالاستمداد المذكور، على زعمك أنت!

المخالفة الخامسة: يكتب إسحق في «مائة مسائل»: (أن الأذان عند القبر بعد التدفين بدعة، ومكروه؛ لأنه لم يعهد به في السنة، والذي لا يعهد به في السنة، يكون مكروها حسب روايات كتب الفقه، وهذه عبارة الكتب: «يكره عند القبر ما لم يعهد من السنة، والمعهود منها ليس إلا زيارته والدعاء عنده قائما». كما في فتح القدير، والبحر الرائق، والنهر الفائق، والفتاوى الهندية)[٢].

فإن مفاهيم هذه العبارات التي أثبتها صاحب «مائة مسائل» وإن كانت مستخرجةً

---

(١) رواه الإمام النسائي في سننه، عن جابر بن عبد الله، ينظر: كتاب صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة، رقم الحديث: ١٥٨٩، ١ / ٢٦٥.

(٢) مائة مسائل، السؤال الثامن والعشرون، ص: ٦٠.

من هذه الكتب، ولكنها مردودة بعبارات أخرى من نفس تلك الكتب. ومن العجب أن الشيخ لم يحكم بالكراهة على أداء ثواب الفاتحة والصلاة على النبي ﷺ عند الزيارة عملا على هذه الضابطة الكلية!

المخالفة السادسة: لقد جعلتَ أيها الشيخ! حيلولة الحجب العديدة سببا لامتناع الرؤية والسماع، فهذا يعني وبكلّ صراحة ووضوح أن للأموات قوةً للسمع والبصر في أنفسهم، إلا أن الحجب تمنع من سمع الصوت وبصر الصورة، وإن لم تكن للأموات قوة للسمع والبصر أصلا، فما الفائدة من جعلك حيلولةَ الحجب سببا لامتناع الرؤية والسماع؟ لأنه لا يقول أحد عن جدران البيت أنها حائلة بينه وبين ما هو خارج عن البيت، إلا لصاحب البصر، أما الأعمى فليست الجدران سببا لامتناع رؤيته لفقد صلاحيته البصرية.

هنا أسأل متكلمي الطائفة أنهم هل يقرّون بهذا التخصيص للأموات، أم ينكرونه رأسا؟ وللجواب انظر لحظةً ما يقوله المعلّم الثاني للمنكرين الهنود، أعني إسحق الدهلوي، فقد سئل: هل يجوز للموتى أن يسمعوا سوى السلام؟ فأجاب: لم يثبت[1].
فهل لا يكون الإنسان ميتا إلا بعد أن يوضع في القبر، وينشر عليه التراب؟!

المخالفة السابعة: إذا كانت حيلولة التراب هي المانع من الإدراك حسب قولك، فما حكم طلب الدعاء من الميت قبل التدفين؟ وما حكم القبر الذي يكون فيه مدخل ولا مانع من وصول الصوت داخل القبر؟ كما يخبر العلامة ابن الحاج[2] في المدخل عن طريقة أهل مصر في إعداد القبور لموتاهم بأنهم لا يحفرون القبور، وإنما يوضعون

---

(١) مائة مسائل، السؤال السادس والعشرون، ص: ٥١ و٥٠.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي، الشهير بابن الحاج، ولد بفاس، وتفقّه بها، وقدم وحج، وكفّ بصره في آخر عمره، توفي بالقاهرة في جمادى الأولى ٧٣٧هـ، وقد عاش بضعا وثمانين سنة. من آثاره: شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علوم الحروف وماهيتها، والمدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات. والأزهار الطيبة النشر، وغيرها من مؤلفات. (معجم المؤلفين، ٣ / ٦٨٢ و ٦٨٣).

أمواتهم في النفق، حيث يمكن لهم الذهاب والخروج متى شاؤوا [١]. فإن نادى أحد في مثل هذا المكان، وطلب من الميت الدعاء، فهل أشرك، أم لا؟ فإن المنكرين لن يسلموا بهذا أبدا، وأما أنت فلتراجع كلامك السابق؟

المخالفة الثامنة: الحمد لله! إن كلام الشيخ يشهد من أوله إلى آخره أنه لا علاقة له بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، بنفي سماع الموتى، ولا يفهم منه ذلك. وإلا كان كلامك متصادما بكلام الله من وجوهٍ:

أوّلاً: إن هذه الآية الكريمة عامة، فلو يستفاد منها نفيُ السماع، لتدلُّ على السلب الكلي ألبتة. في هذه الحالة لا يمكن لك القول بسماع بعض الأموات خلافا لقول الله تعالى في هذه الآية.

ثانياً: على هذا التقدير يستفاد من هذه الآية أن الموت نفسه ينافي السماع، لا أن للأموات قوة للسمع والبصر في الأصل، لكنهم يعتريهم عدم الإدراك للحجب والموانع. في هذه الحالة لا يمكن لك أن تبني قولك في المنع على الحجب، فإنه يخالف مفهوم هذه الآية!

من هنا اتضح جليّاً أنك تدرك جيدا المعنى الصحيح لهذه الآية، وتعرف كلّ المعرفة أنه لا ذكر لنفي السماع في هذه الآية أصلا، كما هو الحق الناصع. وممّا لا يستغرب أنك لم تذكر هذه الآية لهذا السبب، وإلا فأية حاجة لك أن تركض إلى هنا وهناك بوجود هذه الآية! ولهذا تجنّب الفقير أيضا عن هذا البحث، حملا على جواب الجواب في المستقبل، بشرط رجوعك إليها في الجواب. ومع ذلك أشير إلى أجوبةٍ منها لكي لا يبقى له مجال، فأقول - وبالله أستعين:

الجواب الأول: تنطق الآية صريحةً بنفي الإسماع، لا بنفي السّماع، ولهذا لا علاقة لها بما نحن فيه، ونظير هذه الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، ولهذا كما أعقب هناك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ كذلك أعقب

(١) لم نقف عليه.

هنا أيضا بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾. والحاصل هو نفس ما حصل هناك، وهو أن السماع ليس من عندك، وإنما من لدن الله عَزَّوَجَلَّ كما في المرقاة شرح المشكاة: فالآية من قبيل ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦][1].

الجواب الثاني: لو نسلّم بأنه ليس المراد هنا إلا نفي السماع، ولكنه سماع قبول وانتفاع على وجه القطع واليقين، فإن الأب يقول لولده العاق ألف مرةٍ: إنه لا يسمعني، ولا يطيعني، ولا ينتفع بالسماع، فلا يفهم منه عاقل أن الصوت لا يصل إلى أذن الولد حقيقة، وإنما يفهم منه الجميع أنه يسمع ولكنه لا يجيب، فلا يفيده السمع، وعلى هذا فالآية تنصُّ على انتفاء الانتفاع للكفار، لا على انتفاء السماع حقيقة، كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ في تتمة هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].

فقد اتضح فيما سبق أن مدة الانتفاع بالمواعيظ والنصح، هي هذه الدنيا فقط، فلا ينفع أحدا شيء من السماع والتسليم بعد الموت، بل يؤمن جميع الكفار يوم القيامة، ولكنه لا يفيدهم ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١].

فالحاصل أنه كما لا تنتفع الأموات بالوعظ، كذلك هي حال الكفار لا ينتفعون بآلاف النصح والإرشاد، يقول العلامة الحلبي[2] في «سيرة إنسان العيون»: (السماع

---

(١) مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري (ت: ١٠١٤هـ) شرح مشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، باب حكم الأسراء، ٧/ ٤٧٥.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي، فقيه حنفي، فضلا عن كونه عالما بالعلوم العربية، والتفسير، والحديث، والقراءات، وهو من أهل حلب، تفقه بها وبمصر، ثم استقر في القسطنطنية، وتوفي بها سنة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م، عن نيف وتسعين عاما. من أشهر كتبه: «ملتقى الأبحر»، و«غنية المستملي في شرح منية المصلي»، و«تلخيص الجواهر المضية في طبقات الحنفية». (ينظر: الأعلام للزركلي، ١/ ٦٦ – ٦٧. ومعجم المؤلفين، ١ / ٢٢).

المنفى في الآية بمعنى السماع النافع)، وقد أشار إلى ذلك الحافظ الجلال السيوطي[١] بقوله:

«سـماع موتى كلام الخلق حقّ قد جـاءتْ به عندنا الآثـارُ في الكتب
وآيـة النفـي معناها: سـماع هدى لا يقبلون ولا يصغـون للأدب»[٢]

وقال الإمام أبو البركات النسفي[٣] في تفسير «مدارك التنزيل» تحت هذه الآية من سورة فاطر: (شُبِّهَ الكفار بالموتى، حيث لا ينتفعون بمسموعهم)[٤].

وقال مولانا علي القاري[٥] في «شرح المشكاة»: (النفي منصب على نفي النفع،

---

(١) هو صاحب التصانيف الكثيرة، الجامع المحيط، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام، وحافظ، ومؤرخ، ومحدث، ولغوي أديب... نشأ يتيما بعد وفاة أبيه وعمره خمس سنوات، كان ورعا زاهدا، ولما بلغ ٤٠ سنة من عمره تصوّف واعتزل الناس غير أنه اشتغل بالتأليف فألّف نحو (٦٠٠) مصنف بين كتاب كبير ورسالة صغيرة. توفي سنة ٩١١هـ. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٣/ ٣٠١).

(٢) السيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، باب الغزوة الكبرى، ٢ / ١٨٢.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، حافظ الدين، أبو البركات، فقيه، أصولي، مفسر، متكلم. توفي في بلدة أيذج سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م. من تصانيفه: عمدة العقائد في الكلام وشرحها، وسماها الاعتماد، و«مدارك التنزيل وحقائق التأويل» في التفسير، و«الكافي في شرح الوافي»، و«كنز الدقائق»، وكلاهما في فروع الفقه الحنفي، وغيرها من كتب نافعة. (معجم المؤلفين، ٢، ٢٢٨).

(٤) تفسير مداراك التنزيل للنسفي، دار الكتب العربية، بيروت، ٣ / ٣٣٩.

(٥) هو علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ - ١٦٠٦م. وقيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرز من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبا كثيرة، منها: «تفسير القرآن» ثلاثة مجلدات، و«الفصول المهمة»، و«بداية السالك»، و«شرح مشكاة المصابيح»، و«شرح مشكلات الموطأ»، و«شرح الشفاء»، و«شرح الحصن الحصين» في الحديث، و«شرح الشمائل» وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٥/ ١٢).

لا على مطلق السمع)[١].

الجواب الثالث: ولنسلِّمْ أن الآية تنصُّ على نفي السماع أصلا، ولكنه ممن؟ ومَن الموتى؟ الأبدان أم الأرواح؟ إذا كان الموتى عبارة عن الأرواح، فالأرواح لا تموت أبدا، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، نصرح ذلك بعون الله تعالى، في التمهيد، والفصل الأول، والثاني من النوع الأول من المقصد الثالث.

قل لي! عمن ورد النفي؟ فهل ورد النفي عمن كان في القبور، ومَن في القبور؟ الأجسام أو الأرواح؟ والأرواح تكون في العليين، أو الجنة، أو في السماء، أو على بئر زمزم، وغيرها من مقامات العزِّ والكرامة، وأرواح الكفار تكون في السجين، أو في النار، أو على بئر وادي البرهوت، وغيرها من أمكنة الذل والآلام.

يقول الإمام السبكي[٢] في «شفاء السقام»: (لا ندعي أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع، إنما السماع بعد الموت لحي، وهو الروح)[٣].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧ / ٤٧٥.

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الخزرجي الأنصاري السبكي المصري، ثم الدمشقي الشافعي، الشيخ الإمام الحافظ العلامة، قاضي القضاة. ولد سنة ٦٨٣هـ. سمع بمصر من الحافظ شرف الدين الدمياطي، وجماعة. وبالإسكندرية من يحيى بن الصواف وغيره. قدم دمشق عام ٧٠٧هـ وسمع من ابن الموازيني وغيره. عني بالحديث أتم عناية، وكتب بخطه المليح الصحيح المتقن شيئا كثيرا من سائر علوم الإسلام. فكان ممن جمع فنون العلم من الفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد، والورع، والعبادة الكثيرة، والتلاوة، والشجاعة. ولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ. وتخرج به طائفة من العلماء، وحمل عنه أمم. توفي بالقاهرة يوم الإثنين ٣ من جمادى الآخرة سنة ٧٥٦هـ. من تصانيفه: كتاب «التحقيق في مسألة التعليق» وهو الرد الكبير على ابن تيمية، وكذلك كتابه «رفع الشقاق في مسألة الطلاق»، وكتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» رد عليه. وله غير ذلك من المؤلفات. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٥ / ٢٥).

(٣) شفاء السقام للسبكي مطبوعة نورية رضوية، سكهر، باكستان، الباب التاسع، الفصل الخامس، ص: ٢٥٩.

يقول الشاه عبد القادر[١] - أخو الشاه عبد العزيز - في «موضِّح القرآن» تحت آية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]: (إنه لقد ورد في الحديث أن تقولوا للأموات: «السلام عليكم» فإنهم يسمعونه. فقد خاطب الأموات في مواضع عديدة، وحقيقة ذلك الخطاب أن أرواح الأموات هي التي تسمع، وأما الأبدان الملقاة في القبر فلا تسمع)[٢].

هذه الأجوبة الثلاثة كانت قد تواردت في ذهني قبل مطالعة كتب العلماء، ولما قرأت تصريحاتهم، فكانتْ كما سمعتَ، ولله الحمد. وهنالك أجوبة أخرى لأئمة العلماء من مزيد، وفيما ذكرنا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، إن الله يسمع من يشاء، ويهدي إلى الصراط الحميد.

المخالفة التاسعة: كان السائل قد أطلق الكلام في سؤاله بأن قال: إنه ذهب للزيارة إلى ضريح مبارك لصالح، ولا شك أن القول بإطلاقه وعمومه يشمل الذهاب إلى الضريح وقصده بالسفر، كما لا يخفى. وأنت أيضا جعلتَ زيارة القبور أمراً مشروعا مطلقا، وذكرتَ دليلا من الحديث الذي يشرع زيارة القبور على الإطلاق. ولا شكَّ أنّ هذه الإطلاقات توافِق مذهبَ الجمهور من أهل الحقِّ، ولكنَّها على مزاعِم الطائفةِ المحدثة كان عليك أن تقيِّد جوازَ هذه الزيارة بعدم السفر؛ لأنّه لا يجوز عندهم السفر إلا لثلاثة، ولهذا لو فهم السائلُ، أو اطّلع أحدٌ على جوابك هذا، أنّك تُفتي بجواز الزيارة مطلقاً، لتكون فتواكَ هذه مسؤولةً عن كل ذلك، وتُلقَى الآثامُ على كاهلك في نظر المنكرين!

---

(١) هو الشاه عبد القادر ابن الشاه ولي الله المحدّث الدهلوي، وأخو الشاه عبد العزيز، ولد في سنة ١١٦٧هـ درس على أبيه وأخيه، واشتغل كل حياته في خدمة العلم والعلماء، كان عابدا زاهدا، يحب العزلة فيقضي أكثر أوقاته في غرفة المسجد. من مؤلفاته: «موضح القرآن» توفي سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م. (ينظر: نزهة الخواطر، ٧/ ١٠٢٧).

(٢) موضّح القرآن، أردو بازار، لا هور، ص: ٦٩٧.

المقصد الثاني

في الأحاديث الكريمة

يحتوي هذا المقصد على:

النوع الأوّل: في بقاء الروح بعد الموت وصفاتها وأفعالها.

النوع الثاني: في سمع أهل القبور وإدراكهم.

الفصل الأوّل: في الحياء من أصحاب القبور.

الفصل الثاني: في فرح الأموات بزيارة الأحياء.

الفصل الثالث: الأموات تتأذّى بظلم الأحياء.

الفصل الرابع: الموتى يعرفون زوارهم.

الفصل الخامس: سماع الموتى لا يقتصر على السّلام فقط.

المقصد الثاني

في الأحاديث الكريمة

لقد كثرت الأحاديث والآثار في حياة الأرواح، وإدراكها، وسماعها، وبصرها، كثرةً جدا، لا يسع المجال لاستيعابها، ولا يكفي لها مجلد ضخم، وأنّى لنا السبيل إلى إحاطتها، واستقصائها! ولهذا لا نذكر منها هنا إلا ستين حديثا فقط بقدر الحاجة.

وينقسم هذا المقصد أيضا كالأول إلى نوعين:

النوع الأول

في بقاء الروح بعد الموت وصفاتها وأفعالها

سنذكر هنا تلك الأحاديث الكريمة التي تُثبتُ أن الأرواح لا تفنى، ولا تزال أفعالها وصفاتها المدركة كالبصر، والنطق، والسماع، والإدراك، والذهاب، والإياب، والتجول، والاختلاف، باقية، كما هي، بل تزداد قوتها بعد الموت؛ فإن الأفعال التي كانت تستكمل بأعضاء الجسد المادي، كالعين، واليد، والرِّجل، واللسان، فإنها تعمل الآن بدون هذه الآلات، وإن كان الاستذكار بالجسم المثالي باقيا.

وبالتالي، فإن جميع هذه الأحاديث والآثار الكثيرة في هذا المطلب النفيس حجة كافية ودلالة شافية، ومن صِفات الأرواح وخصائصها ما يأتي:

(١) إدراك الأرواح يبقى بعد الموت، كما كان.

(٢) الأرواح تصعد إلى السماء بعد الموت.

(٣) وتخِرُّ في حضرة ربّها ساجدةً.

(٤) وتلتقي بالملائكة.

(٥) وتسمع كلامها.

(٦) وتتحدّث معها.

(٧) وتشاهد منازلَها في الجنة.

(٨) تنتفع بالجيران الصلحاء.

(٩) وتتأذّى بالجيران سيئي الخُلق.

(١٠) الملائكة تقدِّم إليها الهدايا.

(١١) وتأتيها الملائكة لاستطلاع أخبارها.

(١٢) الأرواح تنتظر الصدقات.

(١٣) القبر يتحدث معها بلغة فصيحة.

(١٤) ويتوسّع القبر إلى حيث منتهى بصرها.

(١٥) أعمال الأحياء تعرض عليها.

(١٦) الأرواح تفرح بالحسنات، وتحزن بالسيئات.

(١٧) الأرواح تدعو لمن خلفته من الأحياء.

(١٨) الأرواح تشتاق لملاقاة الأحياء.

(١٩) الأرواح تلتقي مع بعضها.

(٢٠) وتفتح السّجلات لكل أسلوب من الكلام.

(٢١) الأرواح تذهب إلى ملاقاة بعضها على بعد المنازل.

(٢٢) الأرواح السابقة تستقبل الأرواح الجديدة اللاحقة.

(٢٣) وتعرف أقرباءها وتفرح بلقائها.

(٢٤) وتستطلع منها أحوال بقية من الأعزاء والأقرباء.

(٢٥) والأرواح تتفاخر فيما بينها بجودة الكفن.

(٢٦) تستحي الأرواح ذات الأكفان الرديئة فيما بينها.

(٢٧) الأرواح تبصر أعمالها الحسنة أو السيئة.

(٢٨) وتشعر معها بالأنس والفرح أو بالخوف والوحشة (معاذ الله).

(٢٩) يشعر العالِم بالفرح بصحبته علم الشريعة.

(٣٠) يشعر المسلم السني بمذهبه السنة.

(٣١) يرتاح الذي أفرح مسلما لفرحته وسروره.

(٣٢) يفرح تالي القرآن بطلعته المباركة.

(٣٣) أرواح الأعداء لسيدنا عثمان [١] تؤمن بالدجال في قبورها.

(٣٤) الأرواح الصّالحة تحضر في خدمة النبيﷺ والصالحين.

(٣٥) وتؤدّي صلوات في قبورها.

(٣٦) وتحجّ وتلبّي.

(٣٧) تقوم بتلاوة القرآن الكريم.

(٣٨) بل الملائكة تحفِّظها القرآن الكريم بتمام وكمال.

(٣٩) وتُكلِّم ربَّها -عَزَّوَجَلَّ-.

---

(١) رضي الله تعالى عنه.

(٤٠) والربُّ يُكلِّمها.

(٤١) يأتيها الثور والسمك متعاركين لتفريح قلوبها.

(٤٢) الأرواح تغوص في أنهار الجنة.

(٤٣) يُفرِّح القرآن الكريم قلوبَ مَن ماتَ تالياً، ويُخبرها عن أهاليها كل صباح ومساء.

(٤٤) رضيعات من الجنة تُرضع طفلا مات في مدة الرضاعة، وتكمل مدة الرضاعة.

(٤٥) تشتاق الأرواح الصّالحة باستعجال القيامة.

(٤٦) والأرواح الشقية تستوحش من ذكر اسم القيامة.

(٤٧) أرواح الشهداء في سبيل الله تتمنى الحياة من جديد، لِتُقتَل.

(٤٨) الأرواح المسلمة تطير في صورة الطيور الخضراء أو البيضاء حيث تشاء.

(٤٩) وتشرب وتأكل من أثمار الجنة وميائها.

(٥٠) وتبيت تحت العرش في القناديل الذهبية. (اللهم ارزقنا).

وغيرها كثير من الأمور التي ورد ذكرها، تقوم دليلا ساطعا على علم الأرواح، وإدراكها، وسمعها، وبصرها، وكلامها، وسيرها، وغيرها من صفات وأحوال الحياة، بل جميع الآيات والأحاديث التي تتعلق بعذاب القبر ونعيمها حجة قاطعة على هذا المدّعى. فمن أراد الاطلاع تفصليا على هذه الأمور فليراجع مؤلفات أئمة الدين، وبالأخص منها الكتاب المستطاب «شرح الصدور بكشف حال الموتى والقبور» تصنيف لطيف للإمام الأجل خاتمة الحفاظ المحققين، الإمام العلامة جلال الدين السيوطي (قدس سره المكين).

وأمّا أنا فلا أذكر منها في هذا النَّوع إلا عِدّة أحاديث تتعلَّقُ بأفعال الأرواح الدنيوية بعد الموت من بصرٍ، وكلام، وسماع، ومثلها من أمورٍ دنيويةٍ، وأَغُضّ النظرَ عن الأحداث الجزئية، حتى لا يقول أحدٌ إنَّ واقعة حالٍ لا عموم لها، وإن لم يصعب فيها لدقيق النظر، ترتيب الدليل، وإتمام التقريب، فضلا عن الكثرة التي قد تُسبِّب الإطالة،

ولهذا نكتفي بأمور كلّية وردت في أحوال الأرواح على وجه العموم، وأهدِفُ من بيان هذه الأحاديث التي ستُذكَر في النوع الأول إلى هدفين:

أوّلاً: إثبات المسألة المقصودة بهذه الأحاديث؛ وذلك لأن للأرواح إدراكا وسمعا وبصرا بعد انفصالها من الجسد؛ إذ يصدق اسم الميت من حين الانفصال، ولا دخل له بدفنه في القبر وعدمه. وهذه حجة على المنكرين.

ثانياً: لمّا يثبت بهذه الأحاديث أن الروح تبقى على صفاتها وأفعالها بعد الموت، وتستغني عن الأعضاء الجسمانية، حينئذ يحسن بنا القول للشيخ المنكِر أن الذي يحجبه التراب في نظرك هو الجسم الفاني، لا الروح الطيب الذي من أوصافها السمع والبصر والعلم والخبر. فهذه هي الروح ليس الجسد الترابي. حسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الحديث الأول: روى الإمام الأجل عبد الله بن المبارك [١]، وأبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله [٢] بن عمرو بن العاص - رضى الله تعالى عنهما - موقوفا، وروى الإمام الأجل أحمد بن حنبل في مسنده، والطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «صحيح المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية» بسند صحيح عن النبي ﷺ مرفوعا،

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجّا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بـ «هيت» (على الفرات) منصرفا من غزو الروم سنة: ١١٨-١٨١هـ/ ٧٣٦ - ٧٩٧م. له كتاب في «الجهاد»، وهو أول من صنف فيه، و«الرقائق» في مجلد. (الأعلام للزركلي، ٤/ ١١٥).

(٢) هو أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي السهمي، أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وأبوه أسن منه بأحد عشر عاما فقط، وكان النبي ﷺ يفضّله على والده، وقد كان من أيام النبي ﷺ صوّاما قوّاما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم، حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا. توفي بمصر سنة خمس وستين ليالي حصار الفسطاط، فلما توفي لم يقدروا أن يخرجوا بجنازته لمكان الحرب بين مروان بن الحكم، وعسكر ابن الزبير، فدفن بداره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. حدَّث عنه ابن المسيب، وعكرمة، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وجماعة. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٤-٣٥).

والموقوف أبسط لفظا، وأتمّ معنىً، وأنت تعلم أنه في الباب كمثل المرفوع، وهذا لفظ الإمام ابن المبارك، قال: (إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه، كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها)[١].

ولفظ أبي بكر هكذا: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا مات المؤمن يخلى سربه، يسرح حيث شاء)[٢].

الحديث الثاني: روى سيدي محمد علي الترمذي[٣] عن أنس بن مالك[٤]، قال: قال النبي ﷺ: (ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا)[٥].

ولهذا يقول العلماء إن علاقة البرزخ بالدنيا كعلاقة رحم الأم بالدنيا، ثم علاقة البرزخ بالآخرة نفس علاقة الدنيا بالبرزخ، فافهم الفرق بين علوم البرزخ والدنيا

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك، رقم الحديث: (٥٩٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٢١١.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة، حديث: (١٦٥٧١)، ١٣ / ٣٥٥.

(٣) هو محمد بن علي الحسين بن بشر أبو عبد الله الحكيم الترمذي من أهل ترمذ، وهو باحث صوفي كبير، عالم بالحديث وأصول الدين، اختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة ٢٥٥هـ، وقيل ٢٨٥هـ. من مؤلفاته «نوادر الأصول في أحاديث الرسول»، و«الفروق»، و«غرس الموحدين»، و«المناهي»، وغيرها. عدّه الذهبي في الطبقة العاشرة. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٦/ ٢٧٢. وتذكرة الحفاظ، ١/ ١٦١).

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، الإمام أبو حمزة الأنصاري النجاري المدني: خادم رسول الله ﷺ وله صحبة طويلة، وحديث كثير، وملازمة للنبي ﷺ منذ هاجر إلى أن توفي، ثم أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان دهرا، وكان آخر الصحابة وفاةً، روى عنه الحسن والزهري وقتادة وغيرهم. وخرج له البخاري دون مسلم ثمانين حديثا، وانفرد له مسلم بسبعين حديثا، واتفقا له على إخراج مائة وثمانية وعشرين حديثا. توفي بالبصرة سنة ٩٣هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٧. والإصابة، ١/ ٢٧٥-٢٧٧).

(٥) نوادر الأصول لعلي الترمذي، الأصل الثالث والخمسون، دار صادر، بيروت، ص: ٧٥.

وإدراكاتهما! ولينبغي أن تكون نفس علاقة علم الجنين بأهل الدنيا؛ فإن الروح طائر، والجسم قفص، فكيف يُعرفُ مدى علم الطيران في القفص؟ ولكنه إذا تسرّح من الشباك فعِلمُ طيرانِه يليق بالمشاهدة!

الحديث الثالث: لقد روي في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (إذا وُضِعت الجنازةُ واحتملَها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحةً، قالت: قدّموني. وإنْ كانتْ غيرَ صالحةٍ، قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق)[٢].

أقول: كان علينا أن لا نحمل كلام الجنازة هذا إلا على الحقيقة، لِما ذهب إليه أهل السنة أن النصوص تحمل على الظاهر دائما حتى لا يكون فيه محذور، ولكنه فوق ذلك – بحمد الله – لقد فسَّر المصطفى ﷺ النص بأن قال: كل شيءٍ يسمع صوتها، ولهذا لم يبق بعد هذا مجال للتأويل والتشكيك.

الحديث الرابع: روى أبو داود الطيالسي[٣] عن أبي هريرة[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: (إذا وضع

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الخدري، الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة، روى حديثا كثيرًا وأفتى مدةً، وأبوه من شهداء أحد، عاش أبو سعيد ستا وثمانين سنة، توفي في أول سنة ٧٤ هـ. ويروى أن أبا سعيد كان من أهل الصفة، وحديثه كثير، فمنه في الصحيحين ثلاثة وأربعون حديثا، وانفرد البخاري بستة عشر حديثا له، وانفرد مسلم له باثنين وخمسين حديثا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة، رقم الحديث: (١٣٢٨)، ١/ ٢٤٧. وينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٦.

(٣) هو الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل، مولى آل الزبير البصري، سمع ابن عون وهشام بن أبي عبد الله وشعبة وطبقتهم، وعنه أحمد وابن الفرات وعباس الدوري وخلائق. قال الفلاس: ما رأيت أحفظ منه. وقال عمر بن شعبة: كتبوا عن أبي داود من حفظه أربعين ألف حديث. توفي سنة ٢٠٤هـ، وكان من أبناء الثمانين رَحِمَهُ اللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٥٧).

(٤) هو الحافظ الفقيه صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن صخر، على الأشهر، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقال: كناني أبي بـ«أبي هريرة»؛ لأني كنت أرعى غنما فوجدت أولاد هرة وحشية، فلما أبصرهن وسمع أصواتهن، فقال: أنت أبو هرةٍ، وكان اسمي عبد شمس. قدم =

الميت على سريره...إلى آخر الحديث)[١]. هذا مثل حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الخامس: روى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا [٢]، والطبراني، والمروزي[٣]، وابن مندة [٤] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (إن الميت يعرف من يغسِله، ويحمله، ومن يكفنه، ومن يدليه في حفرته)[٥].

الحديث السادس: روى أبو الحسن ابن البراء في كتاب «الروضة» بسنده عن عبد الله بن عباس[٦] – رضي الله تعالى عنهما – أن النبي ﷺ قال: (ما من ميّت يموت إلا

= أبو هريرة مهاجرا ليالي فتح خيبر، حفظ عن النبي ﷺ الكثير، وعن أبي بكر، وعمر، وأبي ابن كعب، وعنه: الأغر أبو مسلم، وسعيد بن المسيب، وغيرهم جماعة. وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع. قال البخاري: روى عنه ثمان مائة نفس أو أكثر. توفي أبو هريرة سنة ٥٨هـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٢٨-٣١).

(١) مسند أبي داود الطيالسي، حديث: (٢٣٣٦)، دار الفكر، بيروت، ص: ٣٠٧.

(٢) هو المحدث العالم الصدوق، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٠٨هـ، وسمع سعيد بن سليمان وغيره، وحدث عنه: الحارث بن أبي أسامة، وغيره. قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق. توفي في جمادى الأولى سنة ٢٨١هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي،٣/ ١٨١-١٨٢).

(٣) هو الحافظ الحجة القاضي أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي، مولى بني أمية، سمع علي بن الجعد، وأبا نصر التمار، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل وطبقتهم. وعنه: أبو عبد الرحمان النسائي، وأبو عوانة، وغيرهم. وكان من أوعية العلم وثقات المحدثين. له تصانيف مفيدة، ومسانيد ناب في القضاء بدمشق، وولي قضاء حمص، وعاش نحوا من تسعين سنة. توفي سنة ٢٩٢هـ.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢ / ١٧٢).

(٤) هو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يعقوب إسحاق ابن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده. توفي ابن منده في ٣٩٥هـ. (تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣ / ١٥٧ – ١٦١).

(٥) مسند أحمد بن حنبل (مرويات أبي سعيد الخدري)، ٣ / ٣. وينظر:شرح الصدور، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٤.

(٦) هو ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – الإمام البحر عالم العصر، وقد دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل. قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. (تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٣-٣٤).

وهو يعرف غاسلَه، ويناشد حاملَه إن كان بُشِّرَ برَوح وريحان وجنة نعيم أن يعجله، وإن كان بُشِّرَ بنزل من حميم وتصلية جحيم، أن يحبسه)[١].

الحديث السابع: روى ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» عن سيدنا أمير المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (ما من ميّتٍ يوضع على سريره فيُخطَى به ثلاث خطوات، إلا تكلّم بكلام يسمعه مَن شاء الله إلا الثقلين: الجن والإنس. يقول يا إخوتاه! ويا حملة نعشاه: لا تغرنّكم الدنيا، كما غرَّتْني، ولا يلعبنّ بكم الزمان، كما لعب بي، خلفت ما تركت لورثتي، والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبني وأنتم تشيّعوني وتدعوني)[٢].

الحديث الثامن: روى ابن مندة أن حبان بن أبي جبلة [٣] قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: (إنّ الشهيد إذا استشهد أنزل الله تعالى جسداً كأحسن جسدٍ، ثم يقال لروحه: ادخلي فيه، فينظر إلى جسده الأول ما يفعل به ويتكلم، فيظن أنهم يسمعون كلامه، فينظر إليهم، فيظن أنهم يرونه حتى يأتيه أزواجه يعني من الحور العين، فيذهبن به)[٤].

الحديث التاسع: روى ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن سعيد بن المسيّب[٥] أن سلمان

---

(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٤.

(٢) ينظر:شرح الصدور، ص: ٩٦.

(٣) هو حبان بن أبي جبلة القرشي مولاهم المصري. روى عن: عمرو بن العاص، والعبادلة إلا ابن الزبير. وعنه: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وعبيد الله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح. وثقه أبو العرب الصقلي في طبقات أهل القيروان. وذكره ابن حبان في «الثقات». توفي بإفريقيا سنة ١٢٢هـ، وقال أحمد بن يحيى بن الوزير: توفي بإفريقيا سنة ١٢٥هـ. (تهذيب التهذيب، ١ / ٦٣٦).

(٤) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: مقر الأرواح)، ص: ٢٤٧.

(٥) هو أبو محمد المخزومي، فقيه المدينة، من أجلّ التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وسمع من عمر شيئا وهو يخطب، وسمع من عثمان، وزيد بن ثابت وخلق، وكان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة. اختلف في تاريخ وفاته، فقيل على الأرجح ١٠٥هـ، وقيل غير ذلك. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٤٤-٤٥).

الفارسي[١]، وعبد لله بن سلام[٢] التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيتَ ربّك قبلي فأخبرني ماذا لقيت، فقال: أو تلقى الأحياء الأموات! قال نعم. أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة، وهي تذهب حيث شاءت)[٣].

وصرِّح في رواية مغيرة [٤] بن عبد الرحمن أن قائله هو سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما أخرج سعيد بن منصور [٥] في سننه، وابن جرير الطبري[٦] في كتاب الأدب له عن

(١) هو الصحابي الحكيم، أصله من مجوس أصبهان. عاش عمرا طويلا، واختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده. وقالوا: نشأ في قرية جبان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، حيث تشرف بالإسلام. وكان قوي الجسم، صحيح الرأي، عالما بالشرائع وغيرها. وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق، في غزوة الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت. وجعل أميرا على المدائن، فأقام فيها إلى أن توفي سنة ٣٦هـ - ٦٥٦م. (الأعلام للزركلي، ٣/ ١١١).

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي جليل، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن توفي سنة: ٤٣هـ - ٦٦٣م رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: أسد الغابة، ٣/ ٢٦٤. والإصابة، ٢/ ٣١٢. وتذكرة الحفاظ، ١/ ٢٦. والأعلام للزركلي، ٤/ ٩٠).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، حديث: (١٣٥٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢ / ١٢١. وينظر: شرح الصدور للسيوطي، ص: ٢٣٣.

(٤) هو مغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومي، أبو هاشم: فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. عرض عليه الرشيد القضاء بها، فامتنع. وكان مدار الفتوى فيها عليه وعلى محمد ابن إبراهيم بن دينار. توفي سنة: ١٢٤ - ١٨٤هـ - ٧٤٢ - ٨٠٢م. (الأعلام للزركلي، ٧/ ٢٧٧).

(٥) هو الحافظ الإمام الحجة، أبو عثمان المروزي، ويقال الطالقاني، ثم البلخي المجاور، صاحب السنن، سمع مالكا، وفليح بن سليمان، والليث بن سعد، وغيرهم. وعنه: أحمد، وأبو بكر الأثرم، ومسلم، وأبو داود، وخلق. قال أبو حاتم: ثقة من المتقنين الأثبات ممن جمع وصنف. توفي بمكة في رمضان سنة ٢٢٧ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ. (تذكرة الحفاظ، ٢ / ٥).

(٦) هو محمد جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، مفسر، لغوي، محدث، مؤرخ، فقيه، أصولي، ولد بآمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤هـ. طوف الأقاليم، واستوطن بغداد، واختار لنفسه مذهبا في =

المغيرة بن عبد الرحمن، قال: لقي سلمان الفارسي عبدَ الله بن سلام، فقال له: إن متَّ قبلي فأخبرني بما تلقى، وإن متُّ قبلك أخبرتك بما ألقى..)[١].

الحديث العاشر: روى ابن أبي شيبة - أستاذ البخاري ومسلم- في مصنفه عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا يقبض المؤمن حتى يرى البشرى، فإذا قبض، نادى، فليس في الدار دابة صغيرة ولا كبيرة إلا وهي تسمع صوته إلا الثقلين: الجن والإنس: تعجلوا بي إلى أرحم الراحمين، فإذا وضع على سريره، قال: ما أبطأ ما تمشون)[٢].

الحديث الحادي عشر: روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن أم الدرداء[٣] - رضي الله تعالى عنها- أنها تقول: (إن الميت إذا وضع على سريره، فإنه ينادي يا أهلاه! ويا جيراناه! ويا حملة سريراه! لا تغرّنكم الدنيا، كما غرَّتْني)[٤].

الحديث الثاني عشر: روى ابن أبي الدنيا عن الإمام مجاهد [٥] رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (إذا

= الفقه، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ. من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ١٩٠).

(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: مقرّ الأرواح)، ص: ٢٣٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، ١٣ / ٣٤٨.

(٣) قال المؤلف العلام: «أم الدرداء» كنية لمرأتين كانتا تحت سيدنا أبي الدرداء الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أولاهما: كبرى، وهي صحابية، اسمها «خيرة». وأخراهما: تابعية، ثقة فقيهة مجتهدة، من رواة الصحاح الستة، اسمها «هجيمة». انتهى قوله. ولعلّها هي الأخيرة التي كانت من النساء التي حظيت بواسعة العلم، ووافرة العقل، روت الكثير عن أبي الدرداء وعن سلمان الفارسي، وعائشة الصديقة. وعنها: مكحول، وسالم بن أبي الجعد، وزيد بن أسلم، وعدة. حجت في سنة ٨١. (تذكرة الحفاظ، ١ / ٤٤).

(٤) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٧.

(٥) هو ابن جبر الإمام أبو الحجاج المقري المفسّر الحافظ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، قال قتادة: أعلم ممن بقي بالتفسير مجاهد. توفي في سنة ١٠٣هـ عن عمر يناهض ثلاثا وثمانين سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٧١). وعلّق عليه الإمام المؤلف قائلا: (هو تابعي جليل الشأن، إمام مجتهد، مفسّر، ثقة، من علماء مكة المعظمة، ومن أجلة تلامذة سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما-، ومروياته في الصحاح الستة كلها).

مات الميت فملك قابض نفسه، فما من شيءٍ إلا وهو يراه عند غسله، وعند حمله حتى يوصله إلى قبره)[١].

الحديث الثالث عشر: وروى ابن أبي الدنيا المذكور عن عمرو بن دينار[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسلونه، وليكفنونه، وإنه لينظر إليهم)[٣].

الحديث الرابع عشر: وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما من ميّت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشى به، ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك)[٤].

الحديث الخامس عشر: روى الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا - أستاذ ابن ماجة، صاحب السنن- عن الإمام الأجل بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]. أنه قال: (بلغني أنه ما من ميّتٍ يموت إلا وروحه في يد ملك الموت،

---

(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٤.

(٢) هو الحافظ الإمام عالم الحرم أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، ولد سنة ست وأربعين أو نحوها وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم. حدث عنه: شعبة، وابن جريج، والحمادان، وورقاء، وخلق سواهم. قال شعبة: ما رأيت أحدا أثبت في الحديث من عمرو. وكان فقيها وكان يحدث على المعنى. وذكره ابن عيينة فقال: ثقة ثقة ثقة.عاش ثمانين سنة، وتوفي ١٢٦هـ.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٨٦).

(٣) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٥.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٣٤٩. وينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٤.

(٥) هو بكر بن عبد الله بن عمرو المُزَني، أبو عبد الله البصري، روى عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وابن عمر، والمغيرة بن أبي شعبة، والحسن البصري، وغيرهم. وعنه: ثابت البناني، وقتادة، وسعيد بن عبد الله بن جبير. وهو ثقة ثبت مأمون حجة، وكان فقيها، توفي سنة ١٠٨ هـ. (تهذيب التهذيب، ١/ ٤٥٤). وقال الإمام أحمد رضا: تابعي جليل، ثقة، ثبت من رواة الصحاح الستة.

فهم يغسلونه ويكفنونه، وهو يرى ما يصنع أهله، فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل)[١].

أقول: سنحقق هذه المسألة: «عدم قدرة الميت على الكلام» تحت حديث الرقم (٣٥) إن شاء الله تعالى.

الحديث السادس عشر: وروى ابن أبي الدنيا المذكور عن الإمام سفيان – عليه رحمة المنان– (أن الميت ليعرف كل شيءٍ حتى أنه ليناشد غاسلَه: بالله أَلا خففتَ عليَّ. قال: ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك)[٢].

الحديث السابع عشر: وهو الذي روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٣] – رحمه الله تعالى وسبحانه–: (الروح بيد ملك يمشي به مع الجنازة، يقول له: اسمع ما يقال لك)[٤].

الحديث الثامن عشر: وأخرج عن ابن أبي نجيح رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]. قال: (ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشى به

---

(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٥.

(٢) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٥.

(٣) هو مفتي الكوفة وقاضيها أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه المقرئ، حدث عن أخيه عيسى، والشعبي، وعطاء، والحكم، ونافع، وعمرو بن مرة، وطائفة. وكان أبوه من كبار التابعين فلم يدرك الأخذ عنه. حدث عنه: شعبة، والسفيانان، وزائدة، وأبو نعيم، وخلائق. قال أحمد بن يونس: كان ابن أبي ليلى أفقه أهل الدنيا. وقال العجلي: كان فقيها صدوقا صاحب سنة جائز الحديث قارئا عالما بالقرآن قرأ عليه حمزة. توفي سنة ١٤٨هـ من رمضان. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١ / ١٢٩).

(٤) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٤.

(٥) هو عبد الله بن أبي نجيح، يسار الثقفي، أبو يسار المكي، روى عن أبيه، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجماعة. وعنه: شعبة، وأبو إسحاق، والسفيانان، وجماعة. وثّقَه ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي. توفي سنة ١٣١هـ. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٣ / ٦٨٤).

إلى قبره)[١].

الحديث التاسع عشر: وهو الذي روى عن أبي عبد الله بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (حدثت أن الميت ليستبشر بتعجليه إلى المقابر)[٢].

جعلنا الله بمنه وكرمه من المسرورين المستبشرين برحمته المسرَّحين بالموت بجوده وسابغ نعمته - آمين بجاه النبي الكريم الرؤوف الرحيم - عليه وآله وصحبه وأولياء أمته أفضل الصلاة والتسليم.



(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، للسيوطي، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٦.

النوع الثاني

في سمع أهل القبور وإدراكاتهم

وفيه فصول:

الفصل الأول: في الحياء من أصحاب القبور:

الحديث العشرون: نُقِلَ في المشكاة قولُ أمِّ المؤمنين الصديقة بنت الصديق - رضي الله تعالى عنهما- برواية الإمام أحمد، ورواه الحاكم أيضا في المستدرك، وصحَّحه بشرط البخاري ومسلم، قالت: (كنت أدخل البيت الذي فيه رسول الله ﷺ، وأني أضع ثوبي، وأقول إنما هو زوجي وأبي. فلما دفن عمر معهما، فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر)[1].

قل لي! إن كان أصحاب القبور لا يرون شيئا، فما معنى هذا الحياء؟ وماذا كانت تعني عبارة «وقبل أن يُدفن الفاروق»؟ أليست تعني هي أنه ليس هناك سوى زوجي رسول الله ﷺ إلا أبي، ولكنه لما دفن عمر لزم عليها الحياء!

---

(١) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، مطبوعة «فاروقية بك دبو»، دلهي، باب زيارة القبور، الفصل الثالث، ص: ١٥٤.

الحديث الحادي والعشرون: روى ابن أبي شيبة، والحاكم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] أنه قال: (ما أبالي أفي القبور قضيت حاجتي، أم في السوق بين ظهرانيه، والناس ينظرون)[٢].

سيُذكر في المقصد الثالث عن سليم بن عمير أنه لم يَبُلْ حياءً من أموات المقابر مع أن الحاجة إليه كانت شديدةً.

الفصل الثاني: في فرح الأموات بزيارة الأحياء:

من الظاهر البيِّن أن الأموات لو كانوا لا يبصرون، ولا يسمعون، ولا يفهمون، فكيف كانوا يفرحون بلقائهم؟

الحديث الثاني والعشرون: في «شفاء السقام» للسبكي، و«الأربعين الطائية»، ثم في «شرح الصدور» أنه روي عن النبي ﷺ: (آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا)[٣].

الحديث الثالث والعشرون: روى الإمام ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والإمام عبد الحق[٤] في كتاب العاقبة عن أم المؤمنين الصديقة – رضي الله تعالى عنها – أن النبي ﷺ

---

(١) هو عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله ﷺ، كان فقيها علامة، قارئا لكتاب الله، بصيرا بالفرائض، فصيحا مفوّها، شاعرا كبير القدر، ولي إمرة مصر لمعاوية، ثم عزله، وأغزاه البحر سنة سبع وأربعين، وفي حديثه كثرة. وحدث عنه: جبير بن نفير وجماعة. توفي سنة ثمان وخمسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣٥).

(٢) شرح الصدور (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم)، ص: ٣٠٠.

(٤) هو الإمام عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد، الحافظ العلامة الحجة، أبو محمد الأزدي الإشبيلي، ويعرف أيضا بابن الخراط. كان فقيها، حافظا عالما بالأحاديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة، والتقلل من الدنيا، مشاركا في الأدب وقول الشعر. له كتاب «المعتل من الحديث» وغيره. ولد في ٥١٠ هـ وتوفي ببجاية بعد منحة نالها من قبل الدولة في ربيع الآخر سنة ٥٨١هـ. (تذكرة الحفاظ، ٤ / ٩٧).

يقول: (ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس وردَّ عليه حتى يقوم)[١].

الحديث الرابع والعشرون: في صحيح مسلم أن عمرو بن العاص[٢] قال لابنه عبد الله الصحابي عند الموت: (إذا دفنتموني فشنوا علي الترابَ شنا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي)[٣].

الفصل الثالث: الأموات تتأذى بظلم الأحياء:

من الظاهر البيِّن أن الأموات تتطلع على أحوال الأحياء وأفعالهم؛ لأنها لو لم تكن مطلعةً، فالتأذي لا يعني شيئا.

الحديث الخامس والعشرون: روى الإمام أحمد عن عمارة بن حزم[٤] بسند حسن، قال: إن النبي ﷺ رآني مُسنِدا إلى قبر، فقال لي: (لا تُوذ صاحب هذا القبر. أو قال: لا تؤذه)[٥].

---

(١) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم)، ص: ٢٠٢.

(٢) هو أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، ذكر ابن حجر العسقلاني أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح. كان أحد أمراء الأجناد في فتوح الشام، وافتتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، وعمل عليها له، ولعثمان ثم عمل عليها زمن معاوية منذ غلب عليها معاوية إلى أن توفي سنة ٤٣هـ، وفي تاريخ وفاته أقوال، والأصح هذا ما أثبته الإمام العسقلاني.(ينظر: تهذيب التهذيب، ٥ / ٤٩ – ٥٠).

(٣) صحيح مسلم، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، كتاب الإيمان، رقم الحديث: (٣٣٦)، ١/ ٦٤.

(٤) هو عمارة بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري النجاري المدني. روى عن: أبي ابن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعنه: أبو حازم سلمة بن دينار، وعمر بن كثير، ويحيى بن عبد الله. قال العجلي: مدني تابعي ثقة. ذكره حبان في «الثقات». قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ هـ، وقيل غير ذلك. ولعلّه اختلف في كونه صحابيا أيضا؛ إذ إن الحديث المذكور يخبر أنه صحابيّ، رأى النبي ﷺ. وإني بحثت في كتب التراجم فلم أجد عمارة بن حزم، بل وجدت: عمارة بن عمرو بن حزم. ولعله هو المشار إليه في السند المذكور في المتن. والله تعالى أعلم. (تهذيب التهذيب، ٤ / ٦٨٦ – ٦٨٧).

(٥) مشكاة المصابيح، كتاب الجنائز، باب دفن الميت، ص: ١٤٩.

وفي رواية الحاكم والطبراني أن النبي ﷺ رآني جالسا على قبر، فقال: (يا صاحب القبر! انزل من على القبر، لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك)[١].

سننقل شرح هذا الحديث في المقصد الثالث عن الإمام الأجل الحاكم الترمذي.

الرواية المناسبة الأولى: أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي قلابة[٢]، قال: (أقبلتُ من الشام إلى البصرة، فنزلت الخندق، فتطهّرت، وصلّيت ركعتين بالليل، ثم وضعت رأسي على قبر، فنمتُ، ثم انتبهت، فإذا بصاحب القبر يشتكي، ويقول: لقد آذيتني منذ الليلة)[٣].

الرواية المناسبة الثانية: روى الإمام البيهقي في «دلائل النبوة»، وابن أبي الدنيا، عن أبي عثمان النهدي[٤] عن ابن ميناء التابعي[٥]، قال: (دخلت الجبانة، فصليت ركعتين خفيفتين، ثم اضطجعت إلى قبر، فوالله إني لنبهان، إذ سمعت قائلا في القبر

---

(١) شرح الصدور، (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠٠.

(٢) هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري، أحد الأعلام، روى عن سمرة بن جندب، وثابت ابن الضحاك، وأنس بن مالك النجاري، وأنس بن مالك الكعبي، وخلق. وحدث عنه: أيوب، وحميد، ويحيى بن أبي كثير وغيرهم. طلب للقضاء فتغيب وتغرب عن وطنه، فقدم الشام، ونزل داريا، وكان عظيم القدر. توفي سنة ١٠٤هـ بالشام. وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٧٢-٧٣).

(٣) شرح الصدور، (باب: ما ينفع الميت في قبره)، ص: ٣٠٥.

(٤) هو عبد الرحمن بن مل البصري، أدرك من زمن النبي ﷺ وارتحل زمن عمر فسمع منه ومن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وجماعة. وعنه: قتادة وخالد وخلق. شهد يوم اليرموك، وكان عالما صواما قواما يصلي حتى يغشى عليه. توفي سنة مائة أو بعدها بقليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٥٣).

(٥) هو ميناء بن أبي ميناء الزهري الخزار، مولى عبد الرحمن بن عوف. روى عن: مولاه، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وعنه: همام والد عبد الرزاق. قال ابن معين، والنسائي، وأبو زرعة، وغيرهم أنه ليس بقوي، لا يعبأ بحديثه. وذكره ابن حبان في «الثقات». (ينظر: تهذيب التهذيب، ٦/ ٥٠٥ - ٥٠٦).

يقول: قم! فقد آذيتني)[١].

الرواية المناسبة الثالثة: روى الحافظ ابن مندة عن الإمام القاسم بن مخيمرة[٢]، قال: (لأن أطأ على سنان رمحي، حتى ينفذ من قدمي أحب إليَّ من أن أطأ على قبر، وإن رجلا وطىء على قبر، وأن قلبه ليقظان، إذ سمع صوتا من القبر: إليك عني، يا رجل! لا تؤذني)[٣].

الحديث السادس والعشرون: روى الإمام مالك[٤]، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجة، وعبد الرزاق[٥]، وسعيد بن منصور، وابن حبان[٦]، والدارقطني[٧] عن أم

---

(١) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم)، ص: ٢١٤.

(٢) هو أبو عروة الهمداني الكوفي نزيل دمشق، حدث عن: أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلقمة ابن قيس، وثَّقه ابن معين وغيره، ولم يخرج له البخاري، وكان يؤذن، وكان من العلماء العاملين يقتنع بالقليل. توفي سنة ١١١هـ رَحِمَهُ اللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي،١/ ٩٢).

(٣) شرح الصدور، (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠١.

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري، أبو عبد الله المدني، شيخ الأئمة، وإمام دار الهجرة، صاحب المذهب. توفي سنة ١٧٩هـ. (تذكرة الحفاظ، ١ / ١٥٤ - ١٥٧).

(٥) هو ابن همام بن نافع الحميري الصنعاني، صاحب «المصنف». قال الإمام أحمد: كان يحفظ حديث معمر. وقال الذهبي: وثقه غير واحد، وحديثه مخرج في الصحاح، وله ما ينفرد به، ونقموا عليه التشيع، وما كان يغلو فيه، بل كان يحب عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويبغض من قاتله. قال ابن سعد: توفي في نصف شوال سنة ٢١١ هـ وعمره خمس وثمانون سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ١ / ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٦) هو الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي صاحب التصانيف، صنف المسند، والصحيح، والتاريخ، وكتاب الضعفاء، وفقه الناس بسمرقند. كان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم. قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال. توفي سنة (٣٥٤هـ). (ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٩-٩٠).

(٧) هو الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الشهير، صاحب =

المؤمنين الصديقة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: - واللفظ لأحمد - (كسر عظم الميت وأذاه ككسره حيا)[١].

وأضيفَ في بعض روايات الدَّارقُطني لفظ: «في الإثم»[٢]. ذكره السخاوي[٣] في المقاصد الحسنة[٤]، وسيأتي فيه قول الإمام أبي عمر في المقصد الثالث.

= السنن، مولده سنة ٣٠٦هـ. قال القاضي أبو الطيب الطبري: الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث. توفي في ثامن ذي القعدة سنة ٣٨٥هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ١٣٢- ١٣٤).

(١) مسند أحمد بن حنبل، مرويات سيدتنا عائشة الصديقة -رضي الله تعالى عنها - ٦ / ١٠٥.

(٢) كما أضيف في بعض روايات الدارقطني: «يعني في الإثم» أيضا، ينظر: سنن الدارقطني، تأليف: الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (المتوفى سنة ٣٨٥هـ)، تعليق وتخريج: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، كتاب الحدود والديات وغيره، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص: ١٣٢ . أما في الفتاوى الرضوية المطبوعة من مركز أهل السنة بركات رضا، فوربندر، تلك النسخة التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الرسالة، فقد ثُبِّتَ فيه «في الألم»، ينظر: الفتاوى الرضوية، ٩/ ٧١٦. وللأسف أوعز فيها إلى المقاصد الحسنة أنه ورد فيه «في الألم» مع أنني راجعت المقاصد الحسنة للسخاوي فلم أجد فيها مثبَّتاً إلا «في الإثم»، كما سنذكره فيما يأتي في الهامش، بل راجعت جميع المتون التي ورد فيها هذا الحديث، فلم أجدْ أحداً من أصحاب المتون يضيف «في الألم». وأما «في الإثم» فقد أضافها الدارقطني في سننه - كما أشرنا إليه - وابن ماجة في سننه، ينظر: كتاب الجنائز، باب ٦٣، رقم الحديث (١٦٥٨)، ص: ٢٣٥ . والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل، القاهري المولد، الشافعي المذهب، ولد بالقاهرة في ربيع الأول سنة ٨٣١هـ، وتوفي بالمدينة ٩٠٢هـ. من تآليفه الكثيرة: «الضوء اللامع»، و«المقاصد الحسنة»، و«الأصل الأصيل». (ينظر: معجم المؤلفين، ٣/ ٣٩٩/ ٣٩٩٦. والأعلام للزركلي، ٦/ ١٩٤).

(٤) أوعِزَ إلى المقاصد الحسنة أنه ورد فيه: «في الألم»، ولا شك أن العبارة مستقيمة، والمعنى صحيح، إلا أن الصحيحَ المُثَبَّتَ في المقاصد الحسنة كلمة «في الإثم»، وليس «في الألم». ينظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عبد الله محمد الصديق، خرّج آياته وأحاديثه: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، نشره: مركز أهل السنة، بركات رضا، فوربندر، غجرات (الهند) رقم الحديث: ٨٠٠، ص: ٣٦٥.

الحديث السابع والعشرون: روى الديلمي، وابن منده عن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال: (أحسنوا الكفن، ولا تؤذوا موتاكم بعويل، ولا بتأخير وصية، ولا بقطيعة، وعجّلوا قضاء دينه، واعدلوا عن جيران السوء)[١].

الحديث الثامن والعشرون: روى الإمام أحمد عن أبي الربيع[٢]، قال: (كنتُ مع ابن عمر في جنازةٍ، فسمع صوت إنسان يصيح، فبعث إليه فأسكته، فقلت: لم أسكتَّه يا أبا عبد الرحمن! قال: إنه يتأذى به الميّت حتى يدخل في قبره)[٣].

الحديث التاسع والعشرون: روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن عبد الله بن مسعود[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى نسوة في جنازةٍ، فقال: (ارجعن مأزورات غير مأجورات إنكن لتفتنَّ الأحياء وتؤذين الأموات)[٥].

الملاحظة! إن ما قاله النبي ﷺ في حديث مشهور: (الميت يعذّب ببكاء الحي عليه)[٦]. رواه الإمام أحمد، والشيخان عن عمر الفاروق، وعبد الله بن عمر، ومغيرة

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم الحديث: (٣١٨)، ١/ ٩٨.

(٢) هو أبو الربيع، مدني، روى عن: أبي هريرة. وعنه: سماك بن حرب، وعلقمة بن مرثد، ويزيد ابن أبي زياد. قال أبو حاتم: صالح الحديث. ذكره ابن حبان في «الثقات». (ينظر: تهذيب التهذيب، ٧ / ٣٦٤).

(٣) مسند أحمد بن حنبل، مرويات عبد الله بن عبد الرحمن، ٢ / ١٣٥.

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن أمّ عبد الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين، أسلم قبل عمر - رضي الله تعالى عنهما - وحفظ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة. توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وله نحو من ستين سنة.(ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ١٦-١٨).

(٥) بحثت في سنن سعيد بن منصور فلم أجد.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنائز، الباب التاسع، رقم الحديث: (٢١٨٤)، ١ / ٣٦٤. ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، الباب ٣٢، رقم الحديث: (١٣٠٢)، ١ / ٢٤٢. ورواه النسائي في سننه عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنائز، الباب ١٤، رقم الحديث: (١٨٦٠)، ١ / ٣٠٦.

ابن شعبة[١]. ورواه أبو يعلى[٢] عن أبي بكر الصديق، وأبي هريرة. ورواه ابن حبان عن أنس بن مالك، وعمران بن حصين[٣]. ورواه الطبراني عن سمرة بن جندب[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند جماعة من الأئمة معناه: أن الميت يتأذى بصياح الأحياء. كما أيّد هذا المعنى الإمام الأجل السيوطي في «شرح الصدور» بحديث مرفوع، وقال: هذا هو قول الإمام ابن جرير، وهذا الذي اختاره جماعة من الأئمة. ثم ذكر هذين الحديثين، الذين ذكرناهما، عن ابن مسعود وابن عمر – رضي الله تعالى عنهما.

فعلى هذا التقدير كان ينبغي أن نذكر هنا الروايات الثمانية أيضا لحديث «الميت يعذب»، ولكننا تركناها لِما في معناها من اختلاف كثير للعلماء، وعلاوة على هذا ليس قصدنا الحصر والاستيعاب. والله تعالى أعلم.

الحديث الثلاثون: روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) هو أبو محمد، المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي. شهد الحديبية، واليمامة، وفتوح الشام، والقادسية. ولاه معاوية الكوفة. وكان أول من سلم عليه بالإمرة، وأوّل من وضع ديوان البصرة، توفي سنة تسع وأربعين بالكوفة، وهو أميرها. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٦ / ٣٧٩ – ٣٨٠).

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، أبو يعلى الموصلي، الحافظ الثقة، محدّث الجزيرة، صاحب المسند الكبير. وثّقه ابن حبان والحاكم. وقال يزيد ابن محمد الأزدي: كان أبو يعلى من أهل الصدق والأمانة والدين والحلم. وكان مولده في شوال سنة ٢١٠هـ، ووفاته في سنة ٣٠٧هـ. (تذكرة الحفاظ للذهبي، ٢/ ١٩٩ – ٢٠٠).

(٣) هو ابن عبيد بن خلف، أبو نجيد الخزاعي، صاحب رسول الله ﷺ، إسلامه وقت إسلام أبي هريرة، وكان ممن يسلم عليه الملائكة. وكان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم. وقد ولي عمران قضاء البصرة، وكان الحسن يحلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين. توفي سنة ٥٢هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٢٦).

(٤) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي من الشجعان القادة. نشأ في المدينة ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، ولمّا مات زياد أقرّه معاوية عاما أو نحوه ثم عزله. وكان شديداً على الحروبة. توفي بالكوفة، وقيل: بالبصرة سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م. (الأعلام للزركلي، ٣ / ١٣٩).

قال: (أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته)[١].

الحديث الحادي والثلاثون: أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن مسعود أنه سئل عن الوطء على القبر، فقال: (كما أكره أذى المؤمن في حياته، فإني أكره أذاه بعد موته)[٢].

الحديث الثاني والثلاثون: أخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن العلاء بن لجلاج[٣]، قال: «قال لي أبي: يا بني! إذا وضعتني في لحدي، فقل: بسم الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ. ثم شنَّ عليَّ الترابَ شنا، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول ذلك»[٤].

ولقد مرَّ بك آنفا قولُ عمرو بن العاص في صحيح مسلم أنه قال: (لا تشنوا التراب عليَّ إلا بالرفق). فقد كتب الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة المشكاة تحت هذا الحديث «إذا دفنتموني فألقوا علي التراب مهلا»: (فيه إشارة إلى أن الميت يشعر، والشيء الذي يؤذي الحي يؤذي الميت أيضا)[٥].

الفصل الرابع: الموتى يعرفون زوارهم:

سيذكر في هذا الفصل الأحاديث التي تصرّح بأن الأموات يعرفون زوّارهم ويسمعون كلامهم ويردّون عليهم.

---

(١) شرح الصدور، (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠١.

(٢) شرح الصدور، (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠٠.

(٣) علّق المؤلف عليه قائلا: «عبد الرحمن بن العلاء لجلاج تابعي ثقة، وابنه عبد الرحمن من تبع التابعين، وكلاهما من رجال الجامع الترمذي -رحمهما الله». وفي تهذيب التهذيب: لجلاج العامري صحابي، روى عن النبي ﷺ. وعنه: ابناه: خالد، والعلاء. (تهذيب التهذيب، ٥/ ٤٢٥).

(٤) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ١٠٤.

(٥) أشعة اللمعات شرح المشكاة للشيخ عبد الحق الدهلوي، كتاب الجنائز، باب دفن الميت، ١/ ٦٩٧.

الحديث الثالث والثلاثون: روى الإمام أبو عمر ابن عبد البر[١] في كتاب «الاستذكار»، و«التمهيد» عن عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال: (ما من أحدٍ يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فيسلّم عليه إلا عرفه، وردَّ عليه السلام)[٢].

صحّح هذا الحديث الإمام أبو محمد عبد الحق، وهو من أجلّة علماء الحديث، ذكره الإمام السيوطي في «شرح الصدور»[٣]، والفاضل الزرقاني في «شرح المواهب». وكذلك صحّحَه الإمام أبو عمر، والسيد العلامة السمهودي[٤]، وذكره الشيخ المحقق في «جامع البركات»، و«جذب القلوب».

قال الإمام السبكي في «شفاء السقام» بعد أن ذكر هذا الحديث: (ذكره جماعة. وقال القرطبي في التذكرة: إن عبد الحق صحّحه، ورويناه في الخلعيات من حديث أبي هريرة أيضا)[٥].

قلت: وستسمع ذلك.

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، شيخ الإسلام، وحافظ المغرب. ولد سنة ٣٦٨هـ في ربيع الآخر، قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث. من تصانيفه: «الاستيعاب»، و«الاستذكار»، و«التمهيد»، وغيرها من مؤلفات قيمة. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٤٦٣هـ. (تذكرة الحفاظ، ٣/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢٠٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

(٤) هو علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى الحسني، الشافعي، المعروف بالسمهودي (نور الدين، أبو الحسن)، مؤرخ، فقيه، ولد بسمهود في مصر سنة ٨٤٤هـ، ونشأ بها وتوفي بالمدينة سنة ٩١١هـ. من تصانيفه: «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»، و«الغرر البهية في شرح المناسك النووية»، و«أمنية المعتنين بروضة الطالبين للنووي»، وغيرها من مؤلفات. (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٤٦٣).

(٥) شفاء السقام للسبكي، الباب الخامس، ص: ٨٨.

الحديث الرابع والثلاثون: روى ابن أبي الدنيا، والبيهقي، والصابوني[١]، وابن عساكر، والخطيب البغدادي وغيرهم من المحدثين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (إذا مرَّ الرجل بقبر يعرفه، فسلَّم عليه، ردَّ عليه السلام، وعرفه، وإذا مرَّ بقبر لايعرفه، فسلَّم عليه، ردّ عليه السلام)[٢].

الحديث الخامس والثلاثون: روى الإمام العقيلي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو زرين: يا رسول الله! إن طريقي على الموتى، فهل من كلام أتكلّم به، إذا مررت عليهم؟ قال: قل: (السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين، أنتم لنا سلفا، ونحن لكم تبع تبعا، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون). قال أبو زرين: يارسول الله! يسمعون؟ قال: يسمعون، ولكن لايستطيعون أن يجيبوا[٣].

الانتباه النبيه: يقول الإمام جلال الدين السيوطي تحت هذا الحديث: (أي: جوابا يسمعه الجن والإنس، وإلا فهم يردون حيث لا يسمع)[٤].

أقول: إن هذا المعنى قد ثبت من حديثين سابقين في هذا الفصل حيث صرِّحَ فيهما أن الأموات يردّون على السلام. ونظيره ما سبق في الحديث الخامس عشر عن بكر بن عبد الله المزني بأن الروح تبصر كل شيء، ولكنها لا تستطيع الكلام لتمنع من الصياح والعويل. ولا يعني هذا سوى أن الأموات لا تستطيع أن تُسمعَ الأحياء كلامَها، وإلا فقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنها تنطق، كما مرَّ بنا في الحديث الثالث، وغيرها.

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر النيسابوري، الصابوني، توفي بنيسابور في سنة ٤٤٩هـ. من مصنفاته: «ذم الكلام»، و«الفاروق في الصفات»، و«الأربعين في الحديث»، و«الفصول في الأصول». (ينظر: معجم المؤلفين، ١/ ٣٦٨).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، حديث: (٩٢٩٦)، ٧/ ١٧.

(٣) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)،ص: ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢٠٣.

الانتباه الثاني: يقول الفقير (المؤلف) إن عدم سماعنا ليس دائميا مطردا، ففي بعض الأحيان لقد سمع عباد الله كلامَ الأموات، كما روي عن ذلك في شرح الصدور وغيرها بروايات كثيرةٍ، ومنها نقل الفقير أيضا في هذا المقصد، ولا عجب أن يضاف عليها في محلها- إن شاء الله تعالى.

الانتباه الثالث: النافع والأهم. أقول - وبالله التوفيق: من عجب العجاب أن هذا الحديث قد نقله صاحب «مائة مسائل» أيضا في جواب السؤال التاسع عشر، عن القاري عن السيوطي عن العقيلي[1]، حيث اعترف بأن الأموات تسمع سلامَ الأحياء. مما تحتَّمَ عليه أن يسلِّم ببطلان تصريحاته كلها التي أدلى بها في جواب السادس عشر لأن النفي مطلق في العبارات الخمسة التي استند إليها[2].

وهكذا لو كانت الآية نافيةَ السماع على سبيل فرض الغلط، فلا تخصيص هناك لسلام وكلام. وقد ذكر في العبارة الثانية منافاة الموت والإفهام حيث يجمع المتنافيان في موضع واحد. وفي العبارة الخامسة ذكر لفظ «الجمادات»، وهكذا تساوى السلام والكلام أمامَ الأحجار.

وبالتالي لو كانت الآية والعبارات تعني هذا لتذهب جميع هذه الأدلة ضحيةً للتسليم بسماع السلام للأموات، دفعةً واحدةً. إذن ما فائدة حديث العقيلي؟ وأما كلمات القاري والسيوطي فلو أصغتَ إليها ليلزم عليك التسليم بأشياء كثيرة سنذكر تحقيقاتهم القاهرة وتصريحاتهم الباهرة قريبا في المقصد الثالث - إن شاء الله - مما تكشف به غيوم الكبر والعناد، فإنك لو أصغت إلى أحاديث المصطفى ﷺ من ناحية لذهب القول بتشبيه أرواح السابقين بالجماد عبثا.

لله قل لي! لقد اعترفت بسماع السلام للأموات اعتمادا على حديث واحد للعقيلي،

---

(١) مائة مسائل، ص: ٤٠.

(٢) يشير الإمام إلى ما تورّط فيه إسحاق الدهلوي صاحب «مائة مسائل» من تعارض مع نفسه، وأخطأ في فهم النصوص، فقد اعترف بسماع الموتى في موضع، وأنكرها في موضع آخر.

فبأي قلب ترفض ما ثبت بالأحاديث الصحيحة للبخاري، ومسلم، وغيرهما، التي صرّحت عن سماع الموتى خفقَ نعالهم، ونفضَ أيديهم، والسلام، وغيرها من أنواع الكلام الأخرى، ومعرفة هذه الأحجار[١] بزوارهم، ثم الرد على سلامهم، والأنس بهم، وغيرها من مئات الأمور المذكورة الثابتة. فهل تؤمن بالبعض وتكفر بالبعض الآخر؟ أو تأخذ «ألفا» من بعض الحديث وتأخذ «كافا» من بعض آخر؟

علاوة على هذا أليس حديث العقيلي هذا كافيا للرد على مزاعمك؟ ألم ترَ أن النبي ﷺ لم يكتف بقول «السلام عليكم» للأموات، وإنما أضاف على هذا خطابا وكلاما آخر إلى هذه الأحجار، افتح عينيك وانظر! ألم يقل: «أنتم لنا سلفا ونحن لكم تبع تبعا، إنا إن شاء الله بكم لاحقون»؟! وعلى كل هذا الكلام سألَه أبو رزين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يا رسول الله! يسمعون؟ فأجاب: نعم يسمعون.

وممّا يستغرب عليه (يعني: صاحب «مائة مسائل») أنه نقل قول الإمام السيوطي بعد ذكر هذا الحديث أنه هذا هو المراد في الحديث بعدم السماع، وإلا فإن الأموات يجيبون في الواقع.

سبحان الله! يسمع الأموات سلاما، ويسمعون كلاما، ويردّون عليه، ومع ذلك كله تزعم أنهم أحجار لا يسمعون! إنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد صدق صاحب المثنوي المعنوي[٢] (قدس سره العزيز) حينما قال [بالفارسية]:

---

(١) أي: الموتى، استخدمها الإمام تعريضا للمنكرين الذين يشبّهون الموتى بالأحجار، والأحاديث تقول إن الموتى تسمع، وتدرك.

(٢) هو المفكّر الإسلامي الكبير، الداعي إلى الحب والعاطفة الإيمانية الصادقة، المعروف بـ «مولانا الرومي»، اسمه محمد، وكذلك اسم أبيه وجده أيضا محمد، وجلال الدين لقبه، ولد في بلخ سنة ٦٠٤هـ في أسرة العلم والتقوى، تلقى العلوم الابتدائية على الشيخ بهاء الدين، وبعد وفاة أبيه سافر إلى حلب سنة ٦٢٩هـ، حيث تلمذ على الشيخ كمال الدين مصنف «تاريخ الحلبي». كان من أكابر علماء الفقه والمذاهب في عصره. اشتغل بالإفتاء والتدريس مدةً من الزمن، ثم التقى برجل متصوف الشيخ شمس تبريز الذي وصل به إلى مدارج عالية من التصوف بصفاء القلب، ومجاهدة النفس، وقوة الإيمان. وهي التي انعكست =

مـا سـميعيم وبصيريم وخوشـيم با شـما نا محرمان ما خامشـيم[١]

نحن نسمع، ونبصر، ونفرح، ولكننا ساكتون أمامكم غير المحارم».

الحديث السادس والثلاثون: روى الطبراني في المعجم الأوسط عن عبد الله بن عمر الفاروق - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ وقف على قبور مصعب بن عمير[٢] وأصحابه، فقال: (والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحد، إلا ردّوا عليه إلى يوم القيامة)[٣].

الحديث السابع والثلاثون: هكذا روى الحاكم في «صحيح المستدرك» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم صحّحه[٤].

الحديث الثامن والثلاثون: وهكذا أخرج الحاكم في «صحيح المستدرك» وصحّحه،

= آثارها بأشكال أبيات فارسية رائعة خلّدت ذكرى مولانا الرومي إلى الأبد، ومجموعة أبياته هذه معروفة بـ «المثنوي». وهو ديوانه الشعري الذي قدم منها الإمام المؤلف البيت المذكور في النص. ويطلق «المثنوي» على ضرب من الشعر تتردد فيه القافية في الشطرين من البيت. وهذا المثنوي لمولانا الرومي قد يقال «المثنوي المعنوي» أيضا؛ وذلك لأنه يحتوي على عالم المعنى وأحوال الباطن. وتلك هي أحوال وصل إليها جلال الدين الرومي بصحبة شيخه شمس تبريز، قلّما يصل إليها صاحب حالٍ. توفي الشيخ الرومي في ٥ من جمادى الآخر سنة ٦٧٢هـ بـ «قونية». أفاض الله تعالى علينا بركاته. (تنظر ترجمته في: مقدمة ديوانه «مثنوي مولوي معنوي»، ترجمه إلى الأردية: القاضي سجاد حسين، نشره: سب رنك كتاب كهر، دلهي، ١٩٧٦م، ص: ٢ - ٢٩. ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن علي الندوي، دار القلم، كويت. ١٩٧٧م، ص: ٣٥٨ - ٣٧٠).

(١) ينظر: مثنوي معنوي، نوراني كتب خانه، بشاور، ص: ٢٧.

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله، كان من فضلاء الصّحابة، ومن السّابقين إلى الإسلام، شهد بدراً وشهد أحدا ومعه لواء رسول الله ﷺ، وقتل بأحدٍ شهيداً، وكان عمره يوم قتل أربعين سنة، رضي الله تعالى عنه. (ينظر: أسد الغابة لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤/ ٣٦٨ - ٣٦٠).

(٣) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢٠٣.

(٤) صحيح المستدرك، دار الفكر، بيروت، كتاب المغازي، ٣ / ٢٩.

والبيهقي في «دلائل النبوة» عن طريق عطاف بن خالد المخزومي[١] عن عبد الأعلى بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن أبي فروة[٢] أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأحد، فقال: (اللّهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، وأن من زارهم أو سلَّم عليهم إلى يوم القيامة، ردّوا عليه)[٣].

الرواية المناسبة الأولى: وفي تتمة الحديث قال العطاف: وحدثتني خالتي أنها زارت قبور الشهداء، وقالت: (وليس معي إلا غلامان يحفظان عليَّ الدابة، فسلَّمتُ عليهم، فسمعتُ ردَّ السلام، وقالوا: والله إنا نعرفكم، كما يعرف بعضنا بعضا، قالت: فاقشعررت. وقلت: يا غلام! أدني بغلي، فركبتُ)[٤].

الرواية المناسبة الثانية: روى الإمام البيهقي عن هاشم بن محمد العمري[٥]، يقول: (أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم الجمعة بين طلوع الفجر والشمس، فكنت أمشي خلفه، فلما انتهى إلى المقابر، رفع صوتَه، فقال: «سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار». قال: وأجيبَ: «وعليك السلام. يا أبا عبد الله».

---

(١) هو أبو صفوان، عطاف بن خالد بن عبد الله المدني. ولد في سنة ٩١هـ، روى عن: أبيه، وأخويه عبد الله والمسور، وزيد بن أسلم، وغيرهم. وعنه: أبو اليمان، سعيد بن أبي مريم، وأبو قتيبة، وشيبان، وآخرون. قال ابن معين وحاتم وأبو زرعة: ليس به بأس، ثقة، صالح الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال مرة: ليس به بأس. (تهذيب التهذيب، ٤ / ٥٠٧ - ٥٠٨).

(٢) هو أبو محمد، عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة المدني، مولى آل عثمان. روى عن: المطلب بن عبد الله بن حنطب، وزيد بن أسلم، وابن المنكدر. وعنه: سليمان بن بلال، والدراوردي، والوليد بن مسلم، وآخرون. ذكره ابن حبان في «الثقات». وذكره ابن سعد أنه كان يفتي. وقال ابن معين: أولاد عبد الله بن أبي فروة كلهم ثقات إلا إسحاق. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٣ / ٧٢٢ - ٧٢٣).

(٣) المستدرك للحاكم، ٣ / ٢٩. وينظر: شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢١٠.

(٤) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢١٠.

(٥) هاشم بن محمد العمري، محدّث راوية.

فالتفت أبي إليَّ، وقال: أنت المجيب، يا بنيَّ؟ فقلت: لا. فأخذ بيدي، فجعلني عن يمينه، ثم أعاد السلام عليهم، ثم جعل كلما سلَّم عليهم، يردُّ عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فخرَّ أبي ساجداً شكراً لله تعالى)[١].

الرواية المناسبة الثالثة: روى ابن أبي الدنيا، والبيهقي في «الدلائل» عن العطاف بن خالد المذكور، قال: حدثتني خالتي، قالت: ركبتُ يوما إلى قبور الشهداء، وكانت لا تزال تأتيهم، قالت: فنزلت عند قبر حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصليتُ عنده، وما في الوادي داع ولا مجيب، فلما فرغت من صلاتي، قلت: «السلام عليكم»، فسمعت ردَّ السلام عليَّ يخرج من تحت الأرض، أعرفه، كما أعرف أن الله خلقني، وكما أعرف الليل والنهار، فاقشعرت كل شعرة مني)[٢].

الحديث التاسع والثلاثون: أخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن واسع[٣]، قال: (بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوما قبله، ويوما بعده)[٤].

الانتباه: معنى هذا الحديث أنه يضاف في وسعة علمهم، وتزداد قوة إدراكهم ومعرفتهم في هذه الأيام الثلاثة ببركة الجمعة نسبة إلى بقية الأيام، ولا يعني هذا أن هذه الأيام الثلاثة هي أيام العلم والإدراك فحسب، فلقد سمعتَ آنفا أحاديث النبي ﷺ

---

(١) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢١١.

(٢) شرح الصدور، (باب: زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم)، ص: ٢١٠.

(٣) هو أبو بكر، محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن عائذ بن خارجة بن زياد بن شمس الأزدي البصري. روى عن: أنس بن مالك، وغيره، قال العجلي: عابد، ثقة، رجل صالح. وقال مالك بن دينار: محمد بن واسع من قراء الرحمن، ومناقبه كثيرة. وقال موسى ابن هارون: كان ناسكا، عابدا، ورعا، رفيعا، جليلا، ثقة، عالما، جمع الخير. وقال ابن حبان في «الثقات»: كان من العباد المتقشّفة، والزهاد المتجردين للعبادة، وكان قد خرج إلى خراسان غازيا. وفضائله كثيرة جدا. توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل غير ذلك. (تهذيب التهذيب، ٦ / ٩٦ - ٩٧).

(٤) ينظر: شعب الإيمان للبيهقي، حديث: (٩٣٠١)، ٧ / ١٨.

الكثيرة، وهي مطلقة تخبر بعلمهم وإدراكهم بلا تخصيص أيام. وسنصرّح هذا المعنى في المقصد الثالث، إن شاء الله.

الفصل الخامس: سماع الموتى لا يقتصر على السلام فقط:

سنذكر الأحاديث الجليلة التي تثبت أن سماع أهل القبور لا يقتصر على السلام فقط، وإنما الأموات يسمعون كلاما وأصواتا أخرى أيضا.

الحديث الأربعون: روى البخاري[١]، ومسلم، وأبو داود[٢]، والترمذي، والنسائي[٣] في صحاحهم، وروى الإمام أحمد في المسند عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال، واللفظ لمسلم: (إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا)[٤].

الحديث الحادي والأربعون: روى أحمد، وأبو داود عن براء بن عازب بسند جيد أن النبي ﷺ قال: (إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين)[٥].

الحديث الثاني والأربعون: روى البيهقي، والطبراني عن عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال: (إن الميت إذا دفن يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه منصرفين)[٦].

وصف الإمام السيوطي حديث البيهقي هذا في «شرح الصدور»، فقال: سنده

---

(١) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنائز، الباب ٦٧، رقم الحديث: ١٣٥١، ١ / ٢٥٠.

(٢) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب السنة، الباب ٢٧، رقم الحديث: ٤٧٥٣، ٢ / ٧٩٩.

(٣) رواه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الجنائز، الباب ١٠٩، رقم الحديث: ٢٠٦٢، ١/ ٣٣٦.

(٤) رواه مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنة وصفة نعيمها، الباب ١٨، رقم الحديث: ٧٣٩٦، ٢/ ١٢٠٨.

(٥) سنن أبي داود، كتاب السنة، الباب ٢٧، رقم الحديث: ٤٧٥٥، ٢ / ٧٩٩. ومسند أحمد بن حنبل، مرويات البراء بن العازب، ٤ / ٢٩٦.

(٦) كنز العمال نقلا عن الطبراني، ١٥ / ٦٠٠.

حسن[١]. ووصف العلامة المناوي سند الطبراني، فقال: رجاله ثقات [٢].

الحديث الثالث والأربعون: روى ابن أبي شيبة في المصنف، وابن حبان في صحيحه المسمّى بـ «التقاسيم والأنواع»، والحاكم النيسابوري في صحيحه «المستدرك» على البخاري ومسلم، والبغويُّ[٣] في «شرح السُّنة»، والطبراني في «المعجم الأوسط»، والهناد[٤] في «كتاب الزهد»، وسعيد بن السكن في «سننه»، وابن جرير، وابن المنذر[٥]، وابن مردويه[٦]، والبيهقي، في تصانيفهم، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده إن الميّت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق

---

(١) شرح الصدور، (باب: فتنة القبر)، ص: ١٢٢.

(٢) التيسير شرح الجامع الصغير، ١ /٣٠٣.

(٣) هو الإمام الحافظ الفقيه المجتهد محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، صاحب «معالم التنزيل»، و«شرح السنة»، و«المصابيح»، وغير ذلك. تفقّه على القاضي حسين صاحب التعليقة. وبورك له في تصانيفه لقصده الصالح فإنه كان من العلماء الرّبانيين، وكان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير. وتوفي بمدينة مرو الروذ في شوال سنة ٥١٦هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٤ / ٣٧ – ٣٨).

(٤) هو هناد بن السري بن مصعب، أبو السري التميمي الدارمي، الحافظ المحدث القدوة الزاهد، شيخ الكوفة. حدث عن: أبي الأحوص سلام، وشريك بن عبد الله، وإسماعيل بن عياش، وطبقتهم. وعنه: الجماعة سوى البخاري، وأبو زرعة، وعبدان، وأبو العباس السراج، وخلق كثير. سئل الإمام أحمد بن حنبل: عمن نكتب بالكوفة؟ قال: عليكم بالهناد. وقال النسائي: ثقة. وكان من الزّهاد، له مصنف كبير في الزهد.توفي رَحِمَهُٱللَّهُ سنة ٢٤٣هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠).

(٥) هو الحافظ العلامة الفقيه الأوحد أبو بكر محمّد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري: شيخ الحرم وصاحب الكتب التي لم يصنف مثلها ككتاب «المبسوط في الفقه»، وكتاب «الأشراف في اختلاف العلماء»، وكتاب «الإجماع»، وغير ذلك؛ وكان غاية في معرفة الاختلاف والدليل وكان مجتهدا لا يقلّد أحداً، عدَّه الشيخ أبو اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء الشافعية. توفي – واختلف في وفاته – سنة ٣٠٩ هـ أو ٣١٠ هـ بمكة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ٦).

(٦) هو الحافظ الثبت العلامة، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك. وكان قيمّاً بمعرفة هذا الشّأن، بصيرًا بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف. ولد سنة ٣٢٣هـ، وتوفي لست بقين من رمضان سنة ٤١٠هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/ ١٦٩).

نعالهم حين يولّون عنه)[١].

الحديث الرابع والأربعون: روى جويبر[٢] في تفسيره عن عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما- حديثا طويلا، جاء فيه أن النبي ﷺ قال: (فإنه يسمع خفق نعالهم ونفض أيديكم إذا ولّيتم عنه مدبرين)[٣].

الحديث الخامس والأربعون: روى الطبراني، وابن مردويه حديثا طويلا عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه-بسند حسن، أنه قال: شهدنا جنازة مع رسول الله ﷺ فلما فرغ من دفنها، وانصرف الناس، قال: (إنه الآن يسمع خفق نعالكم)[٤].

فائدة عظيمة: إنّ الأحاديث الستة المذكورة من الرقم (٤٠) إلى (٤٥) لم يستطع المخالفون الجواب عنها، ولن يستطيعوا، وإنما كل مسعاهم أن يخصّصوا السّماع المذكور في هذه الأحاديث بأوّل الوضع في القبر، أي: أن الميت يُعطى قوة سامعة عند وضعه في القبر، وشن التراب عليه، إذ إنه حان الآن وقت سؤال المنكر والنكير، ولهذا يعطى الميت مثل هذه الحواس، ثم تسلب هذه القوة بعد السّؤال، والحقّ أنه ادّعاء محض بلا دليل، ولا طائل فيه عند أهل الإنصاف.

---

(١) المستدرك للحاكم، ١ / ٣٨٠.

(٢) جويبر بن سعيد الأزدي، أبو القاسِم البلخي، عداده في الكوفيين، ويقال: اسمه جابر، وجويبر لقب. روى عن: أنس بن مَالك، والضّحاك بن مزاحم، وأكثر عنه، وأبي صالح السمان، ومحمد بن واسع، وغيرهم. وعنه: ابن المبارك، والثوري، وحمّاد بن زيد، ومعمر، وغيرهم. قال النسائي وغيره: إنه متروك، ليس بثقة. وقال ابن عدي: والضعف على حديثه ورواياته بيِّن. ونقل ابن حجر العسقلاني عن أحمد بن سيار المروزي: جويبر بن سعيد كان من أهل بلخ، وهو صاحب الضحاك، وله رواية ومعرفة بأيام الناس، وحاله حسن في التفسير، وهو لين في الرواية. وقال ابن حبان: يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وذكره البخاري في «التاريخ الأوسط» في فصل من مات بين الأربعين إلى الخمسين ومائة. (ينظر: تهذيب التهذيب، ١ / ٥٩٣ - ٥٩٤).

(٣) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: فتنة القبر)، ص:١٢٣ - ١٢٤.

(٤) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، (باب: فتنة القبر)، ص: ١٣٢.

أقول: أوّلاً: إن هذا التخصيص خلاف لظاهر الحديث لا دليل عليه؛ فإن الأحاديث تصرِّح وبكل الوضوح أن قوة الميت السامعة فعالة إلى هذه الغاية. فمن أين عرفتَ أن هذه القوة خاصة بهذا الوقت فقط، ثم تسلب؟

ثانياً: ما معنى إعطاء القوة مقدَّما قبل السؤال؟ أفلم يكن من الممكن أن تمنح هذه القوة حين السؤال فوراً، أو العطاء الإلهي يستغرق وقتا، حتى يهتمّ بها قبل الأوان؟ معاذ الله!

لقد أفاد الشيخ المحقق مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذين الاعتراضين في «مدارج النبوة»، حيث قال: (إن هذا التخصيص خلاف للظاهر، لا دليل عليه، وظاهر الحديث أنه هذه حال الميت داخل القبر. ولو كان إحياء الميت وقت السؤال، فما معنى إحيائه قبل السؤال مقدّما؟)[1].

ثالثاً: كذلك أقول: سلَّمنا بأن قوة الحواس كانت ضرورية قبل السؤال، ولكن الحاجة لم تكن إلا قدر فهم سؤال النكيرين، فما الذي دعا إلى هذه القدرة العظيمة بأن يسمع الميت صوت خارج القبر مع الحجب بلا تكلّفٍ؟ [2] والمنكرون هم الذين يأوّلون مسألة اليمين في الضرب أن الميت لا يتأذى بضربنا، بل يكون إدراكه للعذاب الإلهي، كذلك كان ينبغي أن يكون سماع الميت هذا لسؤال النكيرين فقط، لا لأصوات خارجية!

رابعاً: كذلك أقول أيضا: لو كانت مسألة اليمين في الكلام مبنيا على عدم السماع، كما زعموا، وأنت أيضا قد سلَّمتَ السماع بهذا القدر بقوة الأحاديث القاهرة، لَوجبَ أن يحنث المتكلم مع الميت؛ لأن البناء انتفى وجودُه بإقرارك، والأمر أن المسألة مطلقة ألبتة، لا تخصيص فيها. فلا جرم أن يسلم أن الأيمان تكون مبنية على العُرف، وهذا النوع من كلام الميت لا يعدُّ كلاما في العرف العام، ولهذا يبقى القَسم بالكلام مقيّداً بحالة الحياة.

---

(١) مدارج النبوة للشيخ عبد الحق الدهلوي، المكتبة النورية الرضوية، سكهر، ٢ / ٩٥.

(٢) كما ثبت بالأحاديث الصحيحة.

نحن نقول: الآن قد رجعت إلى الحق. والواقع أن بناء هذه المسألة عليه، ولم يبق له صلة بإنكار سماع الموتى، كما لا يخفى.

وهكذا يسأل أصحاب الهوى من علماء النجد أن يبينوا حكم العبد المسلم الذي يطلب الاستمداد والدعاء من عبد صالح حين الدفن، إن كانوا يسلمون بسماع الميت مؤمنين بأحاديث صحيحة للمصطفى ﷺ. وإن خصّ ذلك بالوقت المحدد؟

خامساً: كذلك أقول أيضا: إن للموت صلةً بجميع الحواس والإدراكات وصفات الحياة الأخرى على السواء، فلو ثبت أن الموتى أحجار، كما يقولون، لثبت بطلان هذه الصفات جميعها من سمعٍ، وبصرٍ، وكلامٍ، وإدراكٍ - معاذ الله -، وقد قال المنكرون إن الموت ينافي الفهم. إذن ما جوابهم عن الأحاديث التي مرت في الفصل الأول، والثاني، والثالث، والتي ثبت بها أن الموتى يعرفون زوّارهم دائما، ويستأنسون بهم، ويجيبون على سلامهم، ويتأذون بظلمهم،إلى غير ذلك من الأمور المذكورة؟ فبماذا يؤوّلون هنا، كما كانوا قد أوّلوا في المقدّمات السّابقة بتخصيص السؤال؟!

الانتباه: كلُّ ما قلتُه موجَّهٌ إلى المنكرين الذين يفهمون هذا المعنى الخاطىء من عبارات العلماء، وإلا ليس هذا محل كلامه عند الفقير، بل يمكن أن يوضع في موضع لا يتصادم ومذهب الحق.

وإذا تذكر الشيخ تلك العبارات حينما يحاول الردّ علينا، فسنقدّم حينها تحقيقا دقيقا أنيقا، ولا عجب أن أعود إلى شيءٍ مّنها، في المقصد الثالث، والعود أحمد، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق.

الحديث السادس والأربعون: روي في صحيح البخاري الشريف، وغيره، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: اطّلع النبي ﷺ على أهل القليب، فقال: (وجدتم ما وعدَ ربُّكم حقا، فقيل له: أتدعو أمواتا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون)[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في عذاب القبر»، رقم الحديث: (١٣٨٥)، ١/ ٢٥٧.

الحديث السابع والأربعون: روي في صحيح مسلم عن أمير المؤمنين عمر الفاروق الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارعَ أهل بدر. وساق الحديث إلى أن قال: فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: (يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! هل وجدتم ما وعدَكم الله ورسولُه حقا، فإني قد وجدت ما وعدني الله حقا). قال عمر: يا رسول الله! كيف تكلّم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: (ما أنتم بأسمع لِما أقول منهم، غيرَ أنهم لا يستطيعون أن يردّوا عليَّ شيئا)[١].

الحديث الثامن والأربعون: كذلك روي في صحيح مسلم، وغيره، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لِما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)[٢].

الحديث التاسع والأربعون: وكذلك حديث في صحيح البخاري، وصحيح مسلم عن أبي طلحة الأنصاري[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أما البخاري فساقه بطوله، وأما مسلم فأحاله على حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الخمسون: روى الطبراني بسند صحيح، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (يسمعون، كما تسمعون، ولكن لا يجيبون)[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب «الجنة وصفة نعيمها»، باب «مقعد الميت»، رقم الحديث: (٧٤٠٣)، ٢/ ١٢٠٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب «الجنة وصفة نعيمها»، باب «مقعد الميت»، رقم الحديث: (٧٤٠٣)، ٢/ ١٢٠٩.

(٣) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد الأنصاري، أبو طلحة المدني. شهد العقبة، وبدرا والمشاهد كلها، وهو أحد النقباء. قال شعبة عن ثابت عن أنس: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فصام أربعين سنة لا يفطر إلا يوم أضحى أو فطر. وقال ثابت عن أنس: إن أبا طلحة غزا البحر فمات فيه فما وجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، ولم يتغير. واختلف في تاريخ وفاته، فقيل توفي سنة ٣٤هـ أو ٤٠هـ، وغير ذلك. (تهذيب التهذيب، ٢ / ٥٤٩ - ٥٥٠).

(٤) ينظر: صحيح البخاري، باب: ما جاء في عذاب القبر، ١ / ١٨٣ - ١٨٤.

الحديث الواحد والخمسون: كذلك روى الإمام سليمان بن أحمد[١] المذكور حديثا عن عبد الله بن سيدان[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الانتباه النبيه: إنَّ كل ما قيل في جواب هذه الأحاديث الستة، فهو تخصيص بلا مخصّص، ودعوىً بلا دليل، فعلى سبيل المثال يقال بأنه كان من معجزات النبي ﷺ، أو يقال: إن هذا الأمر يخصّ الكفار فقط، كان لازدياد حسرتهم وندامتهم. فالحقُّ أنه لا دليل أصلا على هذا التخصيص؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لأمكن لنا أن نخصص كل نصٍّ شرعي حسب ما نشاء! ومما زاد الطين بلةً في التأويل الواهن هو قولُهم أن خطاب النبي ﷺ هذا، لم يكن خطاباً للأموات على وجه الحقيقة، وإنما كان عبرة للأحياء. والواقع أن الحديث نفسه يكفي للرد على هذا الوهم؛ لأنه ﷺ صرَّح بكل الوضوح عن سماع الموتى مجيبا على ما سأله أمير المؤمنين الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يصرّح أن كلامنا هذا لتنبيه الأحياء فقط، كما ورد في رثاء سيدنا الإمام حسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأحد الشعراء، حيث قال:

«أيها السماء! تحوَّل ترابا؛ لأنه لم يبق فيك ماء الحياة»

والبقية من الأبحاث المتعلّقة بالموضوع فقد ذكِرتْ في فتح الباري، وإرشاد الساري، وعمدة القاري: شروح صحيح البخاري، والمرقاة، واللّمعات، وأشعّة اللّمعات: شروح المشكاة، ومدارج النبوة، وغيرها مئات من مؤلفات العلماء، لا يخلو تفصيلها من التطويل. فإن أراد الشيخ الرجوع إلى الأمور المقرّرة، فعليه أن يلقي نظرةً على هذه الكتب، ثم يخبرني بأنه كيف يمكن له أن يتبرّأ من هذه الأبحاث الجليلة المنقحّة، وحينئذ يقدّم الفقير أيضا تلك الشوارق الساطعة والبواريق اللامعة

---

(١) هو ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وفارس، والجزيرة، وتوفي بأصبهان سنة ٢٦٠ – ٣٦٠هـ – ٨٧٣ – ٩٧١م. له ثلاثة معاجم في الحديث، منها: «المعجم الصغير» رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف. وله كتب في التفسير، والأوائل، ودلائل النبوة، وغير ذلك. (الأعلام للزركلي، ٣/ ١٢١).

(٢) هو عبد الله بن سيدان المطرودي، قال البخاري: لا يتابع على حديثه. وقال اللالكائي: مجهول لا حجة فيه. (ميزان الاعتدال للذهبي، ٤ / ١١٧).

التي في نظرنا الآن، ولعلنا سنذكر منها استطراداً في المقصد الثالث، وبالله التوفيق.

الحديث الثاني والخمسون: أخرج أبو الشيخ[١] عن عبيد بن مرزوق[٢]، أنه قال: (كانت امرأة تقم المسجد، فماتت، فلم يعلم بها النبيﷺ فمرَّ على قبرها، فقال: ما هذا القبر؟ قالوا: أم محجن، قال: التي كانت تقم المسجد؟ قالوا نعم. فصفَّ الناسَ، فصلّى عليها، ثم قال: أي العمل وجدتِ أفضلَ؟ قالوا: يا رسول الله! أتسمع؟ قال: ما أنتم بأسمع منها، فذكر أنها أجابتْه أن أقم لمسجد)[٣].

الحديث الثالث والخمسون: أخرج الطبراني في «المعجم الكبير»، و«كتاب الدعاء»، وابن مندة، والإمام الضياء المقدسي[٤] في كتاب «الأحكام»، وإبراهيم الحربي[٥] في كتاب «أتباع الأموات»، وأبو بكر غلام الخلال[٦] في كتاب «الشافي»،

---

(١) هو حيوان بن خالد الهنائي الهمداني. روى عن: ابن عمر، ومعاوية. وقيل عن أخيه عن معاوية. وعنه: مولاه (عبيد وقتادة، ومطر الوراق وغيرهم). ذكره خليفة في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة، وقال: توفي بعد المائة. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال ابن سعد: أبو الشيخ الهنائي من الأزد، كان ثقة، وله أحاديث، مات قبل الحسن. وقال العجلي: مصري، تابعي، ثقة. (تهذيب التهذيب، ٧ / ٣٩٦ - ٣٩٧).

(٢) لم نطلع عليه.

(٣) شرح الصدور، (باب: معرفة الميت من يغسله)، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٤) هو ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي الحنبلي المقدسي. الإمام العالم الحافظ، محدّث الشام، صاحب التصانيف النافعة. ولد سنة ٥٦٩هـ. رحل وصنف، وصحح ولين، وجرح وعدل، وكان المرجوع إليه في هذا الشأن جبلا، ثقة، دينا، زاهدا، ورعا. توفي سنة ٦٤٣هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٣٣ - ١٣٤).

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام. ولد سنة ١٩٨هـ، وقال الخطيب: كان إماما في العلم، رأسا في الزهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، مميزا لعلله، قيما بالأدب، جماعا للغة، صنف «غريب الحديث»، وكتبا كثيرة، أصله من مرو. وقال الدارقطني: هو إمام بارع في كل علم صدوق. توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٥هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٢ / ١٢٣).

(٦) لم نطلع عليه.

وابـن زهيرة[١] في «وصايـا العلمـاء عنـد المـوت»، وابن شاهين[٢] في كتاب «ذكر الموت»، والعلماء المحدثون الآخرون في كتبهم الحديثية، عن أبي أمامة الباهلي[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ يقول: (إذا مات أحد من إخوانكم، فسوّيتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة! فإنه يستوي قاعدا. ثم يقول: يا فلان بن فلانة! فإنه يقول: أرشدنا -رحمك الله - ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من قد لُقِّنَ حجته)[٤].

الفائدة: يقول الإمام ابن الصلاح[٥] وغيره من المحدثين عن هذا الحديث:

---

(١) لم نطلع عليه.

(٢) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي، الإمام المفيد المكثر، محدث العراق، الواعظ المعروف بابن شاهين، صاحب التصانيف. كان مولده سنة ٢٩٧هـ. قال ابن ماكولا: ثقة مأمون سمع بالشام، وفارس، والبصرة، جمع الأبواب والتراجم، وصنف شيئا كثيرا. حوالي ٣٣٠ مصنفا. منها المسند، ١٣٠٠ جزء، والتاريخ ١٥٠ جزءا، والزهد مائة جزء. توفي سنة ٣٨٥هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٣ / ١٢٩ - ١٣١).

(٣) هو صُدَيُّ بن عَجلان بن وَهْب، ويقال: ابن عمرو، أبو أمامة الباهلي، الصحابي. قال ابن سعد إنه سكن الشام. وكان ابن ثلاثين سنة يوم حجة الوداع. وقال ابن عيينة: هو آخر من مات من الصحابة بالشام. (تهذيب التهذيب، ٣ / ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٤) المعجم الكبير للطبراني، وينظر: شرح الصدور، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ١٠٥.

(٥) هو تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي، المعروف بابن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث». ولد سنة ٥٧٧هـ وتفقه على والده بشهزور، ثم اشتغل بالموصل مدة. درس، وصنف، وأفتى، وتخرّج به الأصحاب، وكان من أعلام الدين. انتقل إلى رحمة الله في ٢٥ من ربيع الآخر ٦٤٣ هـ ودفن بمقابر الصوفية بدمشق، وقبره يزار. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٥١).

(اعتضد بشواهد، وبعمل أهل الشام قديما)[١]. نقله العلامة ابن أمير الحاج في الحلية.

كذلك اعتضده إمام نقاد الحديث، الضياء المقدسي، والإمام خاتم الحفاظ، حافظ الشأن، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني[٢]، وقرّره الإمام شمس الدين السخاوي، وألف رسالة خاصة في هذا الباب. ونقل الإمام أحمد: العمل به من علماء الشام، كما نقل الإمام أبو بكر ابن العربي العملَ به من أهل المدينة، والعلماء الآخرون من أهل قرطبة وغيرها. وأنا أقول: إن العمل به منذ زمن الصحابة والتابعين، كما وصى أبو أمامة الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التلقين لنفسه، كما أخرجه ابن مندة من وجه آخر، وكما ذكره الإمام السيوطي في شرح الصدور، قلت: بل والطبراني أيضا، على ما ساق لفظه البدر المحمود في البناية شرح الهداية.

وسينقل عن ثلاثة من التابعين أنه كان مستحبا، ومن الظاهر أن هذا المنقول لم يكن من أنفسهم، وإنما من الصحابة أو من أكابر التابعين من سبقهم - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. جاء في شرح المشكاة للعلامة ابن حجر المكي: (اعتضد بشواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن). وهكذا صرّح في الذيل لمجمع بحار الأنوار أنه اعتضد بالشّواهد. والله تعالى أعلم.

الحديث الرابع والخمسون: أخرج الإمام سعيد بن منصور، وهو تلميذ الإمام

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، مطبوعة كراتشي، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ٣٣٨.

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ولد في مصر في سنة ٧٧٣ هـ، وبها توفي سنة ٨٥٢ هـ. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ. ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة منها: «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، و«تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث»، و«الإصابة في تمييز أسماء الصحابة»، و«تهذيب التهذيب»، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ١/ ١٧٨. وينظر: ذيل طبقات الحفاظ لأبي الفضل المكي، المطبوع مع تذكرة الحفاظ للذهبي، ٥/ ٢١١).

مالك، وأستاذ الإمام محمد، في سننه، عن راشد بن سعد [١]، قال: (إذا سوِّيَ على الميت قبره، وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره: يا فلان! قل: لا إله إلا الله، ثلاث مرات، يا فلان! قل: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، ثم ينصرف)[٢].

الحديث الخامس والخمسون: أخرج الإمام سعيد بن منصور عن ضمرة بن حبيب[٣]. ونص الحديث نفس ما سبق[٤].

الحديث السادس والخمسون: أخرج الإمام سعيد بن منصور عن حكيم بن عمير[٥]. ونص الحديث نفس ما سبق[٦].

وصلٌ آخر من هذا الفصل:

فكما صرَّحتْ - وبحمد الله - أحاديثُ الفصل الخامس بسماع الموتى، كذلك أثْبَتَتْ أن سيد العالم ﷺ وأصحابَه لم يكلّموا أصحاب القبور بالسلام فقط،

---

(١) هو راشد بن سعد المقرائي، ويقال: الحُبراني، الحمصي. وَثَّقه ابن معين، وأبو حاتم، والعِجلي، والنسائي، وغيرهم. وقال ابن سعد: كان ثقة، توفي سنة ١٨٠هـ وقد ذكر البخاري أنه شهد صفين مع معاوية. (تهذيب التهذيب، ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠). وعلّق عليه الإمام المؤلف: أنه تابعي ثقة من رجال السنن الأربعة.

(٢) ينظر: شرح الصدور، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ١٠٦.

(٣) هو أبو عتبة، ضمرة بن حبيب بن صهيب الزُّبَيْدي الحمصي، وثّقه ابن معين وابن سعد. وقال أبو حاتم: لا بأس به. ذكره ابن حبان في «الثقات». وقال العجلي: شامي تابعي ثقة. وكان مؤذن المسجد الجامع بدمشق. توفي سنة ١٣٠هـ. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٣ / ٢٧٦). وقال المؤلف العلام فيه: تابعي، ثقة، من رجال الصحاح الستة.

(٤) ينظر: شرح الصدور، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ١٠٦.

(٥) هو أبو الأحوص، حكيم بن عمير بن الأحوص العنسي، ويقال: الهمداني الحمصي. قال أبو حاتم: لا بأس به. وقال ابن سعد: كان معروفا، قليل الحديث. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ١٨٥). وقال المؤلف: إنه تابعي صدوق من رجال أبي داود وابن ماجة.

(٦) ينظر: شرح الصدور، (باب: ما يقال عند الدفن والتلقين)، ص: ١٠٦.

وإنما كلّموهم بأنواع أخرى من الكلام، ومن البديهي أنه لا يعقل التحدث والتكلم من الجماد المحض. ولهذا سنختم هذا الفصل الأخير بالأحاديث التي تصرّح بأن أجلةً من الصحابة قد كلَّموا أهلَ القبور بأنواع أخرى من الكلام سوى السلام، لننتقل إلى المقصد الثالث. إن شاء الله، وبالله التوفيق.

الحديث السابع والخمسون: روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمر، الفاروق الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند حسن، فقال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فذكر الحديث إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: حيثما مررت بقبر مشرك فبشّره بالنار. قال: فأسلم الأعرابي بعد، وقال: لقد كلّفني رسول الله ﷺ تَعَباً ما مررت بقبر كافر إلا بشّرته بالنار[1].

وكل عاقل يعلم جيدا أنه يستحيل التبشير بدون السماع والفهم، وإضافة إلى ذلك فقد حمل الصحابي المخاطب قوله ﷺ على المعنى الحقيقي، ولهذا واظب على هذا العمل طول حياته. فتبصر!

الحديث الثامن والخمسون: أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مرَّ بالبقيع، فقال: السلام عليكم، يا أهل القبور! أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوّجن، ودياركم قد سكنت، وأموالكم قد فرّقت، فأجابه هاتف: يا عمر بن الخطاب! أخبار ما عندنا أن ما قدَّمناه، فقد وجدناه، وما أنفقناه، فقد ربحناه، وما خلّفناه، فقد خسرناه[2].

الحديث التاسع والخمسون: أخرج الإمام أحمد في «تاريخ نيسابور»، والبيهقي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن سعيد بن المسيب، قال: دخلنا مقابر المدينة مع علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - فنادى: يا أهل القبور! السلام عليكم ورحمة الله، تخبرونا بأخباركم، أم تريدون أن نخبركم؟ قال: فسمعنا صوتا من داخل

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب: (ما جاء في زيارة قبور المشركين)، رقم الحديث: (١٦٤٠)، ٢٢٨/١.

(٢) ينظر: شرح الصدور، (باب: زيارة القبور)، ص: ٢٠٩.

القبر، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، يا أمير المؤمنين! أخبرنا عمّا كان بعدنا، فقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أمّا أزواجكم فقد تزوّجن، وأما أموالكم فقد اقتسمت، والأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى، والبناء الذي شيّدتم، فقد سكن أعداؤكم. فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه ميت: قد تخرّقت الأكفان، وانتثرت الشعور، وتقطعت الجلود، وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدّمناه، وجدناه، وما خلّفناه خسرناه، ونحن مرتهنون بالأعمال [١].

وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. سبحان من تفرّد بالبقاء، وقهر عباده بالموت، سبحان الحي الذي لا يموت أبداً، وهو الغفور الرحيم.

الانتباه: إن الذين تكلّفوا بجواب الحديث الأربعين، فقالوا إن خطاب علي – كرّم الله وجهه الكريم – كان لمجرد الوعظ وتنبيه الأحياء، كما نقله في «مائة مسائل»، فلعلهم لم يلاحظوا تمام الحديث، وإلا فجميع ألفاظه من أوّله إلى آخره تنطق أن الخطاب هنا للأموات حقيقةً، انظر إلى هذا القدر فقط أنه – كرّم الله وجهه الكريم – قال بهذه الألفاظ بل سألهم أولا: هل تخبرونا أم نخبركم؟ قل لي! إذن ما معنى هذا السؤال؟ وإعطائهم الاختيار فيه دون إرادة الخطاب الحقيقي؟ ثم على طلبهم بدأ بالإخبار، ثم أمرَهم به بأن تخبرونا الآن عن أحوالكم؟ فأجابوا عليها. مع هذا كله ما الشك في الخطاب الحقيقي؟! والله الموفق.

الحديث الستون: أخرج ابن عساكر حديثا طويلا[٢]، حاصله أنه كان في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شاب متعبد قد لزم المسجد، وكان عمر به معجبا، وكان له أب شيخ كبير، فكان إذا صلى العتمة[٣] انصرف إلى أبيه، وكان طريقه على باب امرأة،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، (باب: زيارة القبور)، ص: ٢٠٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن يحيى ابن أبي أيوب الخزاعي، قال: سمعت من يذكر أنه...

(٣) صلاة العشاء.

فافتتنت به، فكانت تنصب نفسها له على طريقه، فمرَّ بها ذات ليلةٍ، فما زالت تغويه حتى تبِعَها، فلما أتى الباب دخلتْ، وذهب يدخل، فذكر الله وخلى عنه، ومثلت هذه الآية على لسانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فخرَّ الفتى مغشيا عليه، فدعت المرأة جاريةً لها فتعاونتا عليه، فحملتاه إلى بابه، واحتبس على أبيه، فخرج أبوه يطلبه، فإذا به على الباب، مغشيّا عليه، فدعا بعض أهله، فحملوه، فأدخلوه، فما أفاق حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فقال له أبوه: يا بني! ما لك؟ قال: خير. قال: فإني أسألك بالله، فأخبره بالأمر. قال: أي بني! وأي آيةٍ قرأتَ؟ فقرأ الآية التي كان قرأها، فخرَّ مغشيا عليه، فحرّكوه، فإذا هو ميت، فغسلوه، وأخرجوه ودفنوه ليلا، فلمّا أصبحوا رفع ذلك إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فجاء عمر إلى أبيه، فعزاه به، وقال: ألا آذنتني؟ قال: يا أمير المؤمنين كان ليلا. قال عمر: فاذهبوا بنا إلى قبره، فأتى عمر، ومن معه القبرَ، فقال: يا فلان! ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. فأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمر! قد أعطانيهما ربي في الجنة مرتين[1].

نسأل الله الجنة. له الفضل والمنة. وصلى الله تعالى على نبي الإنس والجنة، وآله وصحبه، وأصحاب السنة. آمين آمين آمين!

---

(١) شرح الصدور للسيوطي، (باب: زيارة القبور)، ص: ٢١٣.

المقصد الثالث

في أقوال العلماء

النوع الأول: في أقوال علماء السلف والخلف

ويحتوي هذا النوع على فصول:

الفصل الأول: الموت انتقال من مكانٍ إلى آخر، لا غير.

الفصل الثاني: الموت لا يُغيِّر من الروح شيئًا.

الفصل الثالث: إدراكات الموتى تشمل الدنيا وأهلها.

الفصل الرابع: الاستحياء من الأموات.

الفصل الخامس: الأموات تتأذّى بأفعال الأحياء.

الفصل السادس: الأموات تستأنس بلقاء الأحياء وذكر الله.

الفصل السابع: الأموات تعرف زوارها.

الفصل الثامن: الميّت يكلّم الزّائر ويرد على سلامه.

الفصل التاسع: كرامات الأولياء وتصرفاتهم تبقى على حالها بعد الموت.

الفصل العاشر: بركات الأولياء وفيوضهم باقية في حياتهم البرزخية.

الفصل الحادي عشر: سلام القبور دليل قطعي على سماع الموتى.

الفصل الثاني عشر: أنواع الكلام الأخرى مع أهل القبور سوى السلام.

الفصل الثالث عشر: تلقين الميّت بعد التدفين وتذكيره العقائد الإسلامية.

الفصل الرابع عشر: التوَسّل بالأرواح وطلب الدعاء منها.

الفصل الخامس عشر: في تصريحات العلماء عن سماع الموتى.

النوع الثاني: في ذكر أقوال الأكابر من الأسرة العزيزية وعمائدها:

ويحتوي هذا النوع على:

الوصل الأول: الموت لا يغير من الروح شيئا[1].

الوصل الثاني: في بقاء تصرفات الأولياء وكراماتهم بعد الوفاة.

الوصل الثالث: في فيوض الأولياء وإمدادهم بعد انتقالهم من الدنيا.

الوصل الرابع: في الاستمداد بالأولياء.

الخاتمة: في فتوى لعلماء العرب عن سماع الموتى.

---

(١) لم يعنون المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الوصل، وإنما هذا من عملنا، وضعنا نظرا لِما يحتوي عليه هذا الوصل.

المقصد الثالث

في أقوال العلماء

قال الفقير محرِّرُ السّطور- غفر له المولى الغفور- إنه هناك أقوالٌ كثيرةٌ في تأييد مذهبنا وتصريحه وترجيحه، لو أردت حصرَ، واستقصاء أقوال الصحابة الكرام، والتابعين الفخام، وأتباعهم الأعلام، ومجتهدي الإسلام، والعلماء العظام سلفاً وخلفاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحشرنا في زمراتهم يوم الدين. آمين - لتجاوزت هذه الرّسالة إلى مجلّد ضخم، ولهذا أقتصر هنا على ذكر مائة قولٍ لأئمة الدِّين، والعلماء الكاملين في هذه الرسالة، وفضل الله تعالى سبحانه أوسع وأكثر. ثمّ أعدُّ عشرة أسماء للعلماء الذين يعتمد عليهم المخالفون طوعا وكرها. وهذا لديهم أدهى وأمر، والحمد لله العلي الأكبر.

فمن الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -:

(١) أمير المؤمنين عمر الفاروق الأعظم.

(٢) أمير المؤمنين علي المرتضى.

(٣) عبد الله بن مسعود.

(٤) سلمان الفارسي.

(٥) عمرو بن العاص.

(٦) عبد الله بن عمر.

(٧) أبو هريرة.

(٨) عبد الله بن عمرو.

(٩) عقبة بن عامر.

(١٠) أبو أمامة الباهلي.

(١١) صحابي أعرابي صاحب حديث «حيثما مررت». وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

هنا أكتفي بهؤلاء المذكورين فقط، دون أن أتطرق لأولئك الصحابة الكرام الذين رووا سماع الموتى وإدراكهم عن النبي ﷺ، أو سمعوه من لسانه الشريفة، من أمثال عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي زرين، وبراء بن عازب، وأبي طلحة، وعمارة بن حزام، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن سيدان، وأم سلمة، وقيلة بنت مخرمة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ومن المعروف أنه لم يعقل الاختلاف من قبل الصحابة على أمرٍ سمعوه عن النبي ﷺ، وكذلك ليس هذا مما فيه احتمال النسخ، مع ذلك لا أعدّ هذه الأسماء؛ لأننا لا نقصد الاستيعاب، بل نكتفي بذكر أولئك الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تعدُّ أقوالهم وأفعالهم أدلةً بذاتها في هذه المسألة.

ومن التابعين - رحمة الله تعالى عليهم أجمعين -:

(١٢) مجاهد المكي.

(١٣) عمرو بن دينار.

(١٤) بكر المزني.

(١٥) ابن أبي ليلى.

(١٦) القاسم بن مخيمرة.

(١٧) راشد بن سعد.

(١٨) ضمرة بن حبيب.

---

(١) هي قيلة بنت مَخرمة العنبرية، هاجرتْ إلى النبي ﷺ مع حُريث بن حسان وافد بني بكر بن وائل. روى حديثها: عبد الله بن حسان العنبري وغيره. (ينظر: تهذيب التهذيب، ٧ / ٦٩٧ - ٦٩٨).

(١٩) حكيم بن عمير.

(٢٠) علاء بن لجلاج.

(٢١) بلال بن سعد.

(٢٢) محمد بن واسع.

(٢٣) أمّ الدرداء. وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ومن أتباع التابعين – لطف الله بهم يوم الدين –:

(٢٤) عالم من قريش سيدنا أبو محمد بن إدريس الشافعي [١].

(٢٥) عالم من الكوفة الفقيه المجتهد سفيان.

(٢٦) عبد الرحمن بن العلاء، وغيرهم. (روَّح الله تعالى أرواحهم).

ومن أعاظم السلف وأكارم الخلف – نوَّر الله تعالى مراقدهم:

(٢٧) عالم من أهل بيت الرسالة حضرة الإمام علي [٢] بن موسى بن جعفر بن محمد بن

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي (١٥٠هـ – ٢٠٤هـ)، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين)، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب «الأم» في الفقه، سبعة مجلدات. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٢٦٥/ ٣٥٤. والأعلام للزركلي، ٦/ ٢٦).

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٥٣هـ، وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوَّجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغيَّر الزي العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان شعار أهل البيت، فثار عليه عمُّه إبراهيم بن المهدي وهو بطوس، فقصده المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم، ثم استسلم، فعفا عنه المأمون، وتوفي علي الرضى في حياة المأمون بطوس سنة ٢٠٣هـ فدفنه المأمون إلى جانب أبيه الرشيد. من آثاره: مسند في فضل أهل البيت، والرسالة الذهبية في حفظ صحة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية، ألّفها للمأمون العباسي. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٥ / ١٧٨. ومعجم المؤلفين، ٢ / ٥٣٦ – ٥٣٧).

علي بن حسين بن علي، وبتول بنت رسول الله ﷺ.

(٢٨) الإمام الأجل العارف بالله محمد بن علي الحكيم الترمذي.

(٢٩) الإمام المحدث الجليل الكبير الإسماعيلي.

(٣٠) الإمام الفقيه العابد الزاهد أحمد بن عصمة أبو القاسم صفار الحنفي[١]، تلميذ الإمام أبي يوسف [٢] والإمام محمد [٣]- رحمهم الله تعالى.

(٣١) الإمام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي الشافعي.

(٣٢) الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر المالكي.

(٣٣) الإمام أبو الفضل محمد بن أحمد الحاكم الشهيد الحنفي صاحب «الكافي».

(٣٤) الإمام أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي المالكي [٤].

---

(١) هو أبو القاسم الصفار الحنفي، متكلم. من آثاره: أصول التوحيد، توفي سنة ٣٣٦هـ (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٦٤٣).

(٢) هو الإمام العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة - رضي الله تعالى عنهما-. نشأ في طلب العلم، وكان أبوه فقيرا فكان الإمام الأعظم أبو حنيفة يتعاهد يعقوب بمائة بعد مائة. عن ابن معين قال: أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة. وقال أحمد: كان مصنفا في الحديث. توفي في ربيع الآخر سنة ١٨٢هـ عن تسع وستين سنة. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣١٤).

(٣) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء، الحنفي، فقيه، مجتهد، محدث، أصله من «حرستا» بغوطة دمشق، ولد بواسط سنة ١٣٥هـ ونشأ بالكوفة، فطلب الحديث، فسمع معمر بن كدام، ومالك بن مسعود، والأوزاعي، والثوري، وجالس الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان سنين، ثم تفقّه على أبي يوسف، صاحب أبي حنيفة. توفي بالري سنة ١٨٩هـ. من تصانيفه: الجامع الكبير، والجامع الصغير، كلاهما في الفقه الحنفي، والاكتساب في الرزق المستطاب، والشروط، والسير الكبير، وكتاب الآثار، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣/ ٢٢٩).

(٤) هو عياض بن موسى السبتي، عالم المغرب، ولد بسبته في سنة ٤٧٦هـ، وأصله من أندلس، تحوّل جدُّه إلى فاس، ثم سكن سبته، ولي القضاء فأحسن وأجاد، وأكثر من التأليف فكان نادرة في زمانه، قال ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم. وقال ابن خلكان: هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه. من تصانيفه: «الإكمال شرح مسلم»، و«مشارق الأنوار»، توفي سنة ٥٤٤هـ ودفن بمراكش رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي).

(٣٥) الإمام حجة الإسلام مرشد الأنام أبو حامد محمد محمد الغزالي[١].

(٣٦) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي[٢]، صاحب «التذكرة».

(٣٧) الإمام شمس الأئمة الحلوائي[٣] الحنفي.

(٣٨) الإمام العارف بالله الفقيه الزاهد[٤].

(٣٩) الإمام المحدث محيي الدين الطبري الشافعي.

(٤٠) الإمام الرباني سيدنا علاء الدين السمناني.

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد) حكيم، متكلم فقيه، أصولي، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى الشام فمصر، وعاد إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته ولزم الانقطاع. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. توفي بالطابران سنة ٥٠٥هـ. من تصانيفه الكثيرة المفيدة: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والمستصفى في أصول الفقه، والمنقذ من الضلال، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٧/ ٢٢. ومعجم المؤلفين، ٣ / ٦٧١).

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي القرطبي، المالكي. توفي بمصر في شوال سنة ٦٧١هـ. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، في ١٥ مجلدا، وقمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكف والشفاعة، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٥٢).

(٣) هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلواني البخاري، أبو محمد الملقّب بشمس الأئمة الحلواني: فقيه حنفي. نسبته إلى عمل الحلواء، وربما قيل له: «الحلوائي»، كان إمام أهل الرأي في وقته ببخارى. من كتبه «المبسوط» في الفقه، و«النوادر» في الفروع، و«الفتاوى»، وغيرها. توفي في بخارى سنة ٤٥٦هـ. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٤/ ١٣. ومعجم المؤلفين، ٢/ ١٥٨/ ٧٣٠٩).

(٤) هو أحمد بن محمد بن سليمان المعروف بالزاهد، صوفي شافعي من أهل القاهرة، بنى جامعا يعظ فيه الناس توفي سنة ٨١٩هـ له كتب صنفها للمريدين، منها: رسالة النور، وهداية المتعلم وعمدة المعلم في الفقه والتصوف، والفيض القدوسي. (ينظر: الأعلام، ١/ ٢٢٦- ٢٢٧. ومعجم المؤلفين، ٢/ ١٠٩).

(٤١) الإمام أبو المحاسن حسن بن علي ظهير الدين كبير المرغيناني[١] الحنفي، أستاذ الإمام القاضيخان، صاحب «الخلاصة».

(٤٢) بعض أساتذة الإمام شيخ الإسلام علي بن أبي بكر برهان الدين الفرغاني[٢] الحنفي صاحب «التجنيس والمزيد».

(٤٣) الإمام فقيه النفس القاضي حسن بن منصور الفرغاني الأوزجندي[٣] الحنفي.

(٤٤) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي[٤] الشافعي شارح «صحيح مسلم».

(٤٥) الإمام فخر الدين محمد الرازي[٥] الشافعي.

---

(١) هو علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق المرغيناني (ظهير الدين)، فقيه. توفي سنة ٥٠٦هـ. من آثاره: فتاوى، وفوائد، ومناقب الإمام الأعظم. (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٤٥٩).

(٢) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين، من أكابر فقهاء الحنفية. نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) كان حافظا مفسّرا محققا أديبا، من تصانيفه: «بداية المبتدي» في الفقه، وشرحه «الهداية في شرح البداية» مجلدان، و«منتقى الفروع»، و«مختارات النوازل». توفي سنة ٥٩٣هـ. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٤/ ٢٦٦. معجم المؤلفين، ٢/ ٤١١/ ٩٢٥٦).

(٣) هو حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز، فخر الدين، المعروف بقاضي خان الفرغاني الأوزجندي (نسبة إلى «أوزجند» بنواحي أصبهان، قرب فرغانة). فقيه حنفي، من كبارهم. توفي سنة ٥٩٢هـ. من آثاره: «الفتاوى» ثلاثة أجزاء، و«الأمالي»، وشرح الجامع الصغير، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٢ / ٢٢٤).

(٤) هو الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام، يحيى بن شرف النووي الدمشقي، الشافعي، الفقيه، المحدث، صاحب التصانيف المفيدة، ولد سنة ٦٣١هـ، وقدم دمشق وتفقه على علمائها حتى صار علما يشار إليه. وتوفي سنة ٦٧٧هـ. من مؤلفاته: «الأذكار»، و«الأربعين»، وشرح «صحيح مسلم». (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٧٧).

(٥) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، من ذرية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صاحب المصنفات المشهورة توفي سنة ٦٠٦هـ. (ينظر: ميزان الاعتدال، ٣/ ٣٤٠. والبداية والنهاية، ١٣/ ٥٥).

(٤٦) الإمام سعد الدين التفتازاني[١]، مصنف وشارح «المقاصد».

(٤٧) الإمام أبو سليمان أحمد بن إبراهيم الخطابي[٢].

(٤٨) الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي[٣] صاحب «الروض الأنف».

(٤٩) الإمام عمر بن محمد بن عمر جلال الدين الخبازي[٤] الحنفي، صاحب «الفتاوى الخبازية».

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) عالم مشارك في النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والفقه، والأصلين، والمنطق، وغير ذلك. ولد بتفتازان - إحدى قرى نواحي نسا - سنة ٧١٢هـ، وأخذ عن القطب، والعضد، وانتفع الناس بتصانيفه، وتوفي بسمرقند سنة ٧٩١هـ. من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وحاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير، وشرح العقائد النسفية، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٨٤٩).

(٢) هو الإمام العلامة المفيد والمحدّث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. أقام مدة بنيسابور يصنف، فعمل «غريب الحديث»، وكتاب «معالم السنن»، وغير ذلك. كان ثقةً متثبتا من أوعية العلم. توفي الخطابي بـ «بست» في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٣ / ١٤٩ - ١٥٠).

(٣) هو الحافظ العلامة البارع، أبو القاسم، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حسين بن سعدون، ويكنى أيضا أبا الحسن، ولد بإشبيلية ٥٠٨هـ، عمي وهو ابن سبع عشرة سنة حمل الناس عنه، وصنف كتاب «الروض الأنف» كالشرح للسيرة النبوية فأجاد وأفاد وذكر أنه استخرجه من مائة وعشرين مصنفا، وله كتاب «الإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام»، وله كتاب «الفرائض»، وغير ذلك. توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ. (ينظر: تذكرة الحفاظ، ٤ / ٩٦).

(٤) هو عمر محمد بن عمر الخبازي، الخجندي، الحنفي (جلال الدين أبو محمد) أصولي، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال له: خجندة. ولد في سنة ٦٢٩هـ، درس بخوارزم وببغداد، وحج وجاور، وقدم دمشق فدرس، وتوفي بها لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٦٩١هـ، وله من العمر ٦٢ سنة، ودفن بمقابر الصوفية. من تصانيفه: المغني في أصول الفقه، وحواش على الهداية، في فروع الفقه الحنفي. (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٥٧٦ - ٥٧٧).

(٥٠) صاحب «العباب» الحنفي تلميذ الإمام الأجل القاضي خان.

(٥١) العلامة محمود بن محمد اللؤلؤي[1] البخاري الحنفي، صاحب «الحقائق» شرح «المنظومة النسفية» تلميذ التلميذ للإمام شمس الأئمة الكردي.

(٥٢) سيدي يوسف بن عمر الصوفي[2] الحنفي صاحب «المضمرات».

(٥٣) الإمام العارف بالله صدر الدين القونوي[3].

(٥٤) الإمام شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي[4] الحنفي.

(٥٥) الإمام ملك العلماء عز الدين بن عبد السلام[5] الشافعي.

---

(١) هو محمود بن محمد بن داود اللؤلؤي البخاري، الإفسنجي (أبو المحامد) فقيه، أصولي، محدث، حافظ، مفسر، متكلم، أديب، ولد ببخارى سنة ٦٢٧هـ، وقتل في وقعة التتار ببخارى سنة ٦٧١هـ. من آثاره: شرح على منظومة النسفي، سماه «حقائق المنظومة»، وحصول المأمول في الخلاف للنسفي. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٨٢٨).

(٢) هو يوسف بن عمر بن يوسف الصوفي الكادوري البزار المعروف عند الترك بنبيرة شيخ عمر، فقيه حنفي. توفي سنة ٨٣٢هـ. من مصنفاته: «جامع المضمرات والمشكلات» في شرح مختصر القدوري، في فروع الحنفية. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٨ / ٢٤٤).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي (صدر الدين)، صوفي مشارك في بعض العلوم. أخذ عن محيي الدين بن عربي. توفي بقونية سنة ٦٧٢هـ عن نيف وستين سنة. من تصانيفه: «إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن»، و«الفكوك في مستندات حكم الفصوص» لابن عربي، و«مفتاح أقفال القلوب لمفاتيح علام الغيوب»، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ١٢٣).

(٤) هو فضل الله التوربشتي، الحنفي (شهاب الدين، أبو عبد الله) محدث، فقيه من أهل شيراز، توفي في حدود سنة ٦٠٠هـ. من آثاره: شرح مصباح السنة للبغوي، وسماه «الميسر المعتمد في المعتقد»، و«مطلب الناسك في علم المناسك»، و«تحفة المرشدين في اختصار تحفة السالكين». (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٦٢٥).

(٥) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (عز الدين) الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي. ولد في دمشق سنة ٥٧٧هـ، ونشأ بها، وسافر إلى بغداد سنة ٥٩٩هـ فأقام شهرا، وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة «صفد» للفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام، ولم يدعُ له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه، فخرج إلى مصر، فولاه =

(٥٦) الإمام المحدث زين الدين المراغي[١].

(٥٧) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي[٢].

(٥٨) القاضي ناصر الدين البيضاوي[٣] الشافعي، صاحب التفسير.

(٥٩) الإمام أبو عبد الله ابن النعمان، صاحب «سفينة النجاة لأهل الالتجاء في كرامات الشيخ أبي النجاء».

(٦٠) الإمام العارف بالله، عبد الله بن أسعد اليافعي[٤] الشافعي، صاحب «روض الرياحين».

= صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة، ومكّنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته إلى أن توفّاه الله تعالى بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. من كتبه: «التفسير الكبير»،و «الإلمام في أدلة الأحكام»، و«الغاية في اختصار النهاية»، وغير ذلك. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٤ / ٢١).

(١) اسمه أبو بكر، ويقال: هو عبد الله بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن أبي الفخر بن محمد بن عبد الرحمن القرشي العبشمي، الأموي، العثماني، المراغي، المصري، الشافعي، نزيل المدينة، ويعرف بابن الحسين المراغي (زين الدين) فقيه مؤرخ. ولِد بالقاهرة سنة ٧٢٧ هـ، ونشأ بها، وأخذ عن التقي السبكي، والأسنوي، وغيرهما. وتحوّل من القاهرة إلى الحجاز، فاستوطن المدينة نحو خمسين سنة، وتوفي بها في ذي الحجة سنة ٨١٦ هـ. من آثاره: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، والوافي بتكملة الكافي لشرح الأسنوي على منهاج الطالبين في فروع الفقه الشافعي. (ينظر: معجم المؤلفين، ١ / ٤٣٧).

(٢) هو محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي. توفي في العشرة الثانية من القرن العاشر الهجري. من آثاره: النجم الثاقب على حروف المعجم. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٥٠).

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير، والعربية والمنطق، نظارا صالحا، متعبدا زاهدا، شافعيا، ولي قضاء القضاة بشيراز. توفي سنة ٦٨٥هـ. (ينظر: البداية والنهاية، ١٣/ ٣٠٩. وطبقات المفسرين للداوودي، ١ / ٢٤٢).

(٤) هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، اليمني، ثم المكي، الشافعي (عفيف الدين) مؤرخ، وشاعر، وفقيه، ولغوي، ومتصوف من شافعية اليمن نسبته إلى يافع من حمير. ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، ورحل إلى عدن، وجاور بمكة، وتوفي بها سنة ٧٦٨هـ، ودفن بمقبرة باب المعلى. من مؤلفاته: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» أربعة مجلّدات، و«روض الرياحين في حكايات الصالحين»، ويسمى: «نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر»، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٦١) الإمام العلامة، سيد الحفاظ، أبو علي، وأبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي، صاحب «فتح الباري» شرح صحيح البخاري.

(٦٢) الإمام شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني [(١)] الحنفي، صاحب «كواكب الدراري» شرح صحيح البخاري.

(٦٣) الإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، صاحب «شفاء السقام».

(٦٤) الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي، صاحب «ارتياح الأكباد بفقد الأولياء».

(٦٥) الإمام خاتم الحفاظ مجدد المائة التاسعة، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، صاحب «شرح الصدور»، و«بدور سافرة»، و«أنيس الغريب»، و«زهر الرُّبى» شرح سنن النسائي، وغيرها.

(٦٦) الإمام العلامة محمد بن أحمد الخطيب القسطلاني [(٢)] الشافعي، صاحب «المواهب اللدنية» و«إرشاد الساري» شرح صحيح البخاري.

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني، ثم البغدادي (شمس الدين) فقيه، أصولي، محدث، مفسر، متكلم، نحوي، بياني، ولد في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٧١٧هـ، وتوفي بطريق الحج في ١٦ المحرم سنة ٧٨٦ هـ، فنقل إلى بغداد. من تصانيفه: شرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان، وسماه «تحقيق الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري»، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي في التفسير في أربعة مجلدات، ورسالة في مسألة الكحل، وشرح المواقف للأيجي في علم الكلام. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٧٨٤).

(٢) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المعروف بالقسطلاني، الأصل المصري، الشافعي، محدث، ومؤرخ، وفقيه، ومقرىء. ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٨٥١هـ وتوفي بها سنة ٩٢٣هـ.له «إرشاد الساري شرح صحيح البخاري» عشرة أجزاء. و«المواهب اللدنية في المنح المحمدية» في السيرة النبوية، و«لطائف الإشارات في علم القراءات»، و«الكنز» في التجويد، و«الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر»، و«شرح البردة» سماه: «مشارق الأنوار المضية»، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ١/ ٢٣٢. ومعجم المؤلفين، ١/ ٢٥٤).

(٦٧) الإمام شهاب الدين الرملي[1] الأنصاري الشافعي.

(٦٨) سيدي ولي الله أحمد زروق[2].

(٦٩) السيد العارف بالله أبو العباس الحضرمي.

(٧٠) الإمام أحمد بن محمد ابن حجر المكي[3] الشافعي، شارح المشكاة.

(٧١) المحقق العلامة محمد محمد محمد ابن أمير الحاج الحنفي، صاحب «الحلية» شرح المنية.

(٧٢) الإمام محمد العبدري المكي المالكي.

(٧٣) الإمام الصدر الكبير حسام الدين الشهيد، عمر بن عبد العزيز، صاحب الفتاوى الكبرى، الحنفي.

---

(١) هو أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي، الأنصاري، الشافعي، تلميذ القاضي زكريا الأنصاري. توفي في بضع وسبعين وتسع مائة. من مؤلفاته: شرح الزبد لابن أرسلان، وشرح منظومة البيضاوي في النكاح، ورسالة في شروط الإمام، وشرح شروط الوضوء، وله فتاوى وتعليق على الأجرومية. (معجم المؤلفين، ١/ ٩٤).

(٢) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب المراكشي الفاسي البُرنُسي قبيلة من البربر بين فاس وتازا، المالكي المعروف بزرُّوق؛ لأن جده كان بعينه زُرقة، وهو عالم زاهد شيخ صوفي من أهل المغرب ولد بفاس سنة (٨٤٦هـ) فنشأ يتيما، وحفظ القرآن وعدة كتب، أخذ الحديث عن السخاوي، والفقه عن النور السنهوري، غلب عليه التصوف، فكتب على «الحكم» نيفا وثلاثين شرحا، وعلى القرطبية في فقه المالكية وعلى رسالة أبي زيد القيرواني عدة شروح كلها مفيدة، وشرح «حزب البحر» للشاذلي، «والأسماء الحسنى»، جمع فيه بين طريقة علماء الظاهر والباطن، وله كتب أخرى مفيدة، كان يزور الأولياء، ويلازم أضرحتهم، وتوفي بطرابلس الغرب سنة ٨٩٩هـ. (ينظر:الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ٣/ ١٦٦ - ١٧٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر)، وإليها نسبته، سنة ٩٠٩هـ. تلقى العلوم في الأزهر، وتوفي بمكة سنة ٩٧٤هـ. له تصانيف كثيرة كلها نافعة مفيدة، منها: «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة»، و«الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، و«الفتاوى الهيثمية» أربعة مجلدات، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي، و«خلاصة الأئمة الأربعة»، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ١/ ٢٣٤).

(٧٤) الإمام محمد بن محمد شهاب الدين البزازي[١] الحنفي، صاحب البزازية.

(٧٥) العلامة نور الدين السمهودي الشافعي، صاحب «خلاصة الوفاء في أخبار دار المصطفى ﷺ».

(٧٦) العلامة رحمة الله السندي[٢] الحنفي، صاحب «المناسك الثلاثة».

(٧٧) العلامة نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي[٣] الشافعي، صاحب «سيرة إنسان العيون».

(٧٨) الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني[٤] الشافعي، صاحب «ميزان الشريعة الكبرى».

(٧٩) العلامة محمد بن يوسف الشامي[٥]، صاحب «سبل الهدى والرشاد في سيرة

---

(١) هو الفقيه محمد بن محمد البزازي الكردي، توفي سنة ٨٢٧هـ. من آثاره: «الحق المبين في دحض المبطلين»، والفتاوى البزازية على المذهب الحنفي. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣/ ٦٤٠).

(٢) هو رحمة الله بن عبد الله بن إبراهيم السندي الحنفي، نزيل مكة. توفي سنة ٩٧٨هـ. من تصانيفه: «لباب المناسك وعباب المسالك»، والمناسك، وغاية التحقيق ونهاية التدقيق في مسائل ابتلي بها أهل الحرمين الشريفين، ومجمع المناسك ونفع الناسك. (ينظر: معجم المؤلفين، ١/ ٧١٢).

(٣) هو علي بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر الحلبي، القاهري، الشافعي، مولده بمصر سنة ٩٧٥هـ، وتوفي بها في آخر يوم من شعبان سنة ١٠٤٤هـ. كان مؤرخا، وفقيها، وأصوليا، ونحويا، ولغويا، وصوفيا. من آثاره: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، عليه الصلاة والتسليم، في ثلاثة مجلدات، و«خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر»، و«خير الكلام على البسملة والحمدلة»، وغيرها. (ينظر: معجم المرلفين، ٢ / ٣٨٦).

(٤) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري (أبو المواهب، أبو عبد الرحمن) فقيه، أصولي، محدث، صوفي، ولد في قلقشندة بمصر في ٢٧ رمضان سنة ٨٩٨ هـ، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ. من تصانيفه الكثيرة: «ميزان الشريعة الكبرى»، و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، و«درة الغواص على فتاوى علي الخواص»، وغيرها. (ينظر: الأعلام، ٤/ ١٨٠-١٨١. ومعجم المؤلفين، ٢ / ٣٣٩).

(٥) هو محمد بن علي بن يوسف الشامي الشافعي، توفي سنة ٦٠٠ هـ، من آثاره: سيرة النبي ﷺ. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٥٥٥).

خير العباد ﷺ».

(٨٠) العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، صاحب «شرح المواهب».

(٨١) العلامة عبد الرؤوف محمد المناوي، صاحب «التيسير» شرح الجامع الصغير.

(٨٢) الإمام أبو بكر بن محمد بن علي الحدادي الحنفي، صاحب «الجوهرة النيرة» شرح القدوري.

(٨٣) العلامة إبراهيم بن محمد إبراهيم الحلبي الحنفي، صاحب «الغنية» شرح المنية.

(٨٤) الفاضل علي بن سلطان محمد القاري المكي الحنفي، صاحب «المرقاة شرح المشكاة».

(٨٥) العلامة محمد بن أحمد الجمودي الحنفي، أستاذ المحقق الشرنبلالي.

(٨٦) أبو الإخلاص حسن بن عمار المصري الشرنبلالي[1] الحنفي، صاحب «نور الإيضاح»، و«إمداد الفتاح»، و«مراقي الفلاح».

(٨٧) العلامة خير الدين الرملي[2] الحنفي، صاحب «الفتاوى الخيرية» أستاذ صاحب «الدر المختار».

---

(١) هو حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي، الوفائي، الحنفي (أبو الإخلاص) تفقّه على عبد الله النحريري، ومحمد المحبي، وعلي بن غانم المقدسي، ودرَّس بالأزهر، وتقدّم عند أرباب الدولة، أخذ عنه خلق كثير من المصريين والشاميين. توفي بالقاهرة في رمضان سنة ١٠٦٩هـ. من تصانيفه الكثيرة: «نور الإيضاح»، و«فتح الألطاف بجدول طبقات مستحقي الأوقاف»، و«العقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جواز التقليد»، و«سعادة أهل الإسلام بالمصافحة عقب الصلاة والسلام»، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ١ / ٥٧٥).

(٢) هو خير الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين بن عبد الوهاب الأيوبي، العليمي، الفاروقي، الرملي، الحنفي. مفسر، ومحدث، وفقيه، ولغوي، ونحوي، وصرفي، وبياني، وعروضي. ولد في أوائل رمضان برملة فلسطين سنة ٩٩٣هـ. وتوفي في ٢٧ رمضان سنة ١٠٨١هـ. من تصانيفه: «الفتاوى الخيرية لنفع البرية»، و«مطلب الأدب وغاية الأرب»، وغيرهما. (ينظر: معجم المؤلفين، ١ / ٦٩٤).

(٨٨) الفاضل المدقق محمد بن علي الدمشقي الحصكفي[١]، شارح «التنوير».

(٨٩) سيدي العارف بالله عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي[٢] الحنفي، صاحب «الحديقة الندية» شرح «الطريقة المحمدية».

(٩٠) السيد العلامة أبو السعود محمد الحنفي.

(٩١) مولانا العارف بالله نور الدين الجامي[٣] الحنفي، صاحب «النفحات».

(٩٢) الشيخ المحقق بركة رسول الله ﷺ في الهند، مولانا عبد الحق بن سيف الدين، المحدث الدهلوي الحنفي، صاحب «اللمعات» و«أشعة اللمعات»، و«جامع البركات»، و«جذب القلوب»، و«مدارج النبوة».

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الحصني الأصل، الدمشقي، الحنفي، المعروف بالحصكفي. ولد بدمشق سنة ١٠٢٥هـ، وقرأ على محمد المحاسني، وارتحل إلى الرملة، وولي إفتاء دمشق، ثم قضاء قارة، فقضاء عجلون، وحماة، وصيدا. توفي بدمشق في ١٠ شوال سنة ١٠٨٨هـ، ودفن بمقبرة الباب الصغير. وكان عالما فقيها محدثا نحويا متحريا بأمور الفتوى، كثير الحفظ للمرويات، طلق اللسان، فصيح العبارة. من آثاره: شرح ملتقى الأبحر بالفقه، سماه: «الدر المنتقى»، و«شرح تنوير الأبصار»، وسماه «الدر المختار»، وشرحه وسماه: «خزائن الأسرار»، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٥٤٣ – ٥٤٤).

(٢) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي. شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصانيف، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقّل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها سنة ١١٤٣هـ. له مصنفات كثيرة جدا، منها: «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«تعطير الأنام في تعبير المنام»، و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث»، وغيرها. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٢ / ٢٥٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الشيرازي المشهور بالجامي. ولد بجام (قرية بخراسان) في ٢٣ شعبان سنة ٨١٧هـ. نشأ بهراة، وبها عاش معظم حياته، وتوفي بها في ١٨ محرم الحرام سنة ٨٩٨هـ. عالم من علماء النحو والأدب، له مؤلفات قيمة، منها: شرحه للكافية لابن الحاجب المعروف بـ «شرح الجامي»، و«تاريخ هراة»، وغيرهما. (ينظر: معجم المؤلفين، ٢/ ٧٧).

(٩٣) الفاضل المحدث مولانا محمد طاهر الفتني[١] أحمد آبادي الحنفي، صاحب «مجمع بحار الأنوار».

(٩٤) الفاضل شيخ الإسلام الدهلوي الحنفي، صاحب «كشف الغطاء».

(٩٥) مولانا الشيخ الجليل نظام الدين، وغيره جامعو «الفتاوى الهندية» الأحناف.

(٩٦) بحر العلوم ملك العلماء مولانا أبو العياش محمد بن عبد العلي اللكنوي[٢] الحنفي.

(٩٧) خاتمة المحققين العلامة الغنيمي الحنفي.

(٩٨) الفاضل السيد أحمد المصري الطحطاوي الحنفي[٣].

(٩٩) سيدي أمين الدين محمد الشامي الحنفي.

---

(١) هو محمد طاهر الفتني، الكجراتي، الهندي، الصديقي (ملك المحدثين) محدث، مفسر، لغوي، صرفي، عارف بالرجال، ولد في «فتن» من بلاد كجرات بالهند، سنة ٩٣١هـ. شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٤٤هـ، وهو ابن إحدى وثلاثين، وأخذ العلم عن الشهاب أحمد بن حجر المكي، وعلي المتقي، وغيرهما. ورجع إلى الهند واشتغل بتدريس الحديث والتصنيف والتأليف، فضلا عن التصدي لأهواء الباطل، فكان قد دعا إلى مناواة البواهير، وأنكر عليهم بدعتهم، فقتلوه بالقرب من «أجنين»، وكان ذلك سنة ٩٨٦هـ، ودفن في «فتن». من آثاره: «مجمع بحار الأنوار»، وهو شرح واف على أحاديث الكتب الصحيحة الستة، و«لطائف الأخبار في غريب الحديث»، و«تذكرة الموضوعات»، و«المغني في أسماء الرجال»، و«كفاية المفرطين في شرح الشافية». (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٣٦٥).

(٢) هو محمد بن محمد اللكنوي الهندي، بحر العلوم (عبد العلي، أبو العياش) فقيه، أصولي، حكيم، منطقي. كانت وفاته سنة ١٢٢٥هـ. من آثاره: حاشية على شرح رسالة التصور والتصديق للقطب، وحاشية على شرح الصدر للشيرازي لهداية الحكمة، وشرح منار الأنوار لحافظ الدين التقي، سماه «تنوير المنار»، وشرح «سلم العلوم» في المنطق، و«فواتح الرحموت» في شرح مسلم الثبوت، في أصول الفقه. (ينظر: معجم المؤلفين، ٣ / ٦٦٩).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، ولد بطهطا (بالقرب من أسيوط، بمصر) وتعلم بالأزهر، ثم تقلد مشيخة الحنفية، وخلعه بعض المشايخ، وأعيد إليها، فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. ومن كتبه: «حاشية على شرح مراقي الفلاح». (الأعلام للزركلي، ٣/ ٢٢٤).

(١٠٠) سيدي جمال بن عبد الله بن عمر المكي[1] الحنفي. وغيرهم (برَّد الله تعالى مضاجعهم).

الملاحظة: لم يعدَّ الفقير- غفر الله تعالى له - من أئمة السلف، وعلماء الخلف، إلا أولئك الأكابر الذين في كلامهم دلائل ساطعة على سماع أهل القبور، وإدراكهم، وعلمهم، وشعورهم، ولم اقصد الاستيعاب والاستقصاء؛ إذ تحولُ في طريقه بلاد شاسعة، وجبال شاهقة، وبحار زاخرة، وبل لم استقص أقوالهم الهادية بكاملها، التي تحضر في خاطري الآن [2]. فتلك مائة كاملة، فيهم وفاء لقلوب

---

(١) هو جمال بن عمر المكي الحنفي المفتي، رئيس المدرسين بمكة، توفي بها سنة ١٢٨٤هـ، من آثاره: «الفرج بعد الشدة في تاريخ جدة»، و«فضائل النصف من شعبان»، و«نور الجمال على جواب السؤال في الفتاوى». (ينظر: معجم المؤلفين، ١ / ٥٠١).

(٢) أقول: إن هذه الرسالة خير شاهد على ما نقول، فإن القارىء لو قرأ هذه الرسالة من أوّلها إلى آخرها لوجدَ أسماء كثيرة للعلماء والمشايخ سوى الذين ذكروا. وإتماما للكلام إليكم المزيد من الأسماء، التي ستصل إلى ١٧٥ اسما، فقد عدّدنا منهم مائة وعشرة، والبقية هم: من الصحابة والتابعين وأتباعهم: (١١١) عبد الله بن سلام. (١١٢) أم المؤمنين الصديقة. (١١٣) والإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي المرتضى.(١١٤) والإمام الحسن المثنى ابن الحسن المجتبى ابن المولى حل المشكلات - صلى الله تعالى على سيدهم، وبارك وسلم دائما أبدا -. (١١٥) أفضل التابعين الإمام سعيد بن المسيب. (١١٦) حبان بن أبي جبلة. (١١٧) وابن مينا. (١١٨) وأبو قلابة البصري. (١١٩) وسليم بن عمير. (١٢٠) وعبد الله بن ابن نجيح المكي من العلماء والأولياء، من كلا النوعين المذكورين في المتن. (١٢١) والإمام المحدث المفسر المجتهد ابن جرير الطبري. (١٢٢) والإمام المحدث الأجل أبو محمد عبد الحق صاحب «الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى». (١٢٣) والإمام أبو عمرو بن الصلاح المحدث. (١٢٤) والإمام القاضي مجدد الشريعة الكرماني. (١٢٥) والإمام الأجل أبو البركات عبد الله النسفي، صاحب التصانيف المشهورة. (١٢٦) والإمام العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي، صاحب «عمدة القاري» شرح صحيح البخاري. (١٢٧) والعلامة ابن مالك شارح «مشارق الأنوار». (١٢٨) والعلامة فضل الله بن الغوري الحنفي. (١٢٩) والإمام فخر الدين أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي، صاحب «تبيين الحقائق» شرح كنز الدقائق. (١٣٠) ومحمد بن حافظ البخاري صاحب «فصل الخطاب». (١٣١) والإمام شهاب الدين شارح المنهاج، أستاذ الأستاذ لابن حجر المكي. (١٣٢) وسيدي علي القرشي - قدس سره العرشي. (١٣٣) والإمام الجليل نور الدين أبو الحسن علي مصنف «بهجة الأسرار». (١٣٤) =

عاقلة. وهؤلاء كما قال الشاعر:

= الإمام مجد الدين عبد الله بن محمود الموصلي الحنفي، صاحب المختار والاختيار. (١٣٥) وصاحب مطالب المؤمنين. (١٣٦) وصاحب خزانة الروايات. (١٣٧) وصاحب كنز العباد (والثلاثة منهم من متكلمي الطائفة). (١٣٨) والعلامة الجمهوري صاحب التصانيف الكثيرة. (١٣٩) والعلامة زيادي. (١٤٠) والعلامة داودي شارح المنهاج. (١٤١) والعلامة الحلبي المحشي، صاحب «الدر المختار». (١٤٢) والشيخ أحمد النخلي. (١٤٣) والشيخ أحمد الشناوي. (١٤٤) والشيخ أحمد القشاشي. (١٤٥) ومولانا إبراهيم الكردي، أستاذ الأستاذ للشاه ولي الله. (١٤٦) ومولانا أبو طاهر المدني، أستاذ الشاه ولي الله. (١٤٧) ومولانا محمد ابن حسين الكبتي الحنفي المكي. (١٤٨) ومولانا حسين بن إبراهيم المالكي المكي. (١٤٩) وحضرة مولانا شيخ الحرم أحمد زين دحلان الشافعي المكي مصنف «السيرة النبوية»، و«رد الوهابية»، وغيرهما من تصانيف علية. (١٥٠) ومولانا محمد بن محمد غرب الشافعي المدني. (١٥١) ومولانا عبد الجبار الحنبلي البصري المدني. (١٥٢) ومولانا إبراهيم بن خيار الشافعي المدني. (١٥٣) وعبد الصالح هاشم بن محمد. (١٥٤) ووالده محمد العمري المدني. (١٥٥) وحضرة سيدي أبو يزيد البسطامي. (١٥٦) وحضرة سيدي أبو الحسن الخرقاني. (١٥٧) وحضرة سيدي أبو علي الفارمدي. (١٥٨) وحضرة سيدي أبو سعيد الخراز. (١٥٩) حضرة الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري. (١٦٠) حضرة العارف بالله سيدي أبو علي. (١٦١) وحضرة سيدي إبراهيم بن شيبان. (١٦٢) وحضرة سيدي أبو يعقوب. (١٦٣) وحضرة سيدي علي الخواص، شيخ الإمام الشعراني. (١٦٤) وحضرة مير أبو العلي أكبر آبادي قائد السلسلة النقشبندية أبوالعلائي. (١٦٥) والشاه محمد غوث الغواليارى صاحب «الجواهر الخمسة». (١٦٦) ومولانا وجيه الدين العلوي شيخ الشيخ مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي. (١٦٧) وحضرة السيد صبغة الله البروجي. (١٦٨) والشيخ بايزيد الثاني. (١٦٩) ومولانا عبد الملك. (١٧٠) والشيخ أشرف اللاهوري. (١٧١) والشيخ محمد سعيد اللاهوري. وهؤلاء السبع من مشايخ الشاه ولي الله. (١٧٢) والشيخ مجدد الألف الثاني. (١٧٣) والشيخ عبد الأحد مرشد السلسلة النقشبندية. (١٧٤) والشيخ أبو الرضا محمد، جد الشاه ولي الله. (١٧٥) وسيد أحمد البريلوي شيخ إسماعيل الدلوي، صاحب «الصراط المستقيم». هذه مجموعة من الأسماء، عددها مائة وخمسة وسبعون، من بعضهم صريح البيان، ومن بعضهم إفادة البرهان، ومن بعضهم التقرير والإذغان، ولبعضهم ليس الخبر كالعيان، والحمد لله في كل حين وآن. وهناك آخرون في هذا الكتاب تركناهم لأننا لم نقصد الاستيعاب والحصر. وإنك لترى في النوع الأول من المقصد الثالث أن لأهل السنة والجماعة إجماعا على سماع الموتى وعلمهم وإدراكهم. فكل واحد من أهل السنة والجماعة يدخل في هذه القائمة. وفي هذه القائمة ربما تجد أسماء عدد الأصابع تخالفنا ظواهر كلامهم في بادي النظر، وهي التي تأخذها المبتدعة جهالةً، دون النظر إلى الظواهر الأخرى لتوافق بينها بالتحري والدقة، وبالتطبيق والتوفيق والتحقيق، قاصدين تفريق العامة وإغواءهم، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم. (المؤلف).

أولئك ســادتي فجئنــي بمثلهم إذا أجمعتْنــا يا جريــرُ المجامعُ

الحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا تمام الكلام بمسلك الإلزام. وإليك الآن أسماء أولئك الأعلام الذين يعتمد عليهم المخالف، وهم:

(١) الشاه ولي الله.

(٢) ووالده الماجد، الشاه عبد الرحيم.

(٣) وابنه مولانا الشاه عبد العزيز.

(٤) وأخوه مولانا الشاه عبد القادر.

(٥) وممدوحه الميرزا مظهر جان جانان.

(٦) ومريده الرشيد القاضي ثناء الله الباني بتي.

(٧) ومحمد إسحاق الدهلوي.

(٨) وتلميذه نواب قطب الدين خان الدهلوي.

(٩) وخرم علي البلهوري. (تجاوزَ اللهُ عنَّا، وعن كلٍّ مَنْ صحَّ إيمانُه في النشأتين، ورحِمَ كلَّ مَن يشهد صدقاً بالشهادتين).

(١٠) وأقواهم مجتهدا حديثا إسماعيل الدهلوي. (والله الهادي إلى المنهج السوي، وهو المستعان على كل غوي، ولا حول ولا قوة إلا بالله الغالب العلي).

وليتضح أن الحديث في اصطلاح المحدثين[١] يشمل أقوال الصحابة والتابعين التي ذكرت في مقصد الأحاديث، لكنه مع ذلك لا تدخل فيها آراؤهم عن أمور القبور وأحوال الأرواح المفارقة، وقد يدخل هنا الموقوف في المرفوع[٢]. كما ذكرت بعض

---

(١) يقول العلامة السيد الشريف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة مصطلحات الحديث: (الحديث أعم من أن يكون قول الرسول ﷺ والصحابي، والتابعي، وفعلهم، وتقريرهم). (المؤلف).

(٢) يقول العلامة السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أرجوزته المسمى «التثبيت عند التثبيت»:

يـــــكرر الســـؤال لـــلأنـــام فـي مـا رووا فـي سـبعة أيـام

كـذا رواه أحمـد بـن حنبـل في الزهـد عن طاووس البحر العلي

وحكمــه الرفــع، كمــا قـد قالـوا إذ ليـس للـرأي فيـه مجـال

=

أقوال التابعين، مثل بلال بن سعد في المقصد الثالث؛ وذلك لمناسبته بأقوال هذا الباب، وكما نقل مثلا قول الإمام سفيان مع أقوال التابعين لمناسبة نفسها.

فلو تعرّضنا الآن لأقوال البقية لضاقت بها الدفاتر، ولهذا اكتفينا بذكر ثلاث مائة قول، مائتان منها لعلماء القسم الأول، ومائة لعلماء القسم الثاني. ولا شك أنه كفاية لمن اعتبر، فالعاقل تكفيه الإشارة.

الانتباه: لا يعدُّ قولٌ إلا لكون المقول جديدا، أو لكونه متعددا، سواء كان ابتداءً أو تقريراً. وفي الصورة الأخيرة تطول الكتابة عن كل ما جاء به العالم على حدةٍ، ولهذا ستذكر تحت عنوان واحد، ثم ترقم بأسامي العلماء. وهذا المقصد أيضا ينقسم إلى نوعين كالمقصدين السابقين، والله سبحانه هو الموفِّق للحق والصواب في كل مهم.

= وليـــس للقيـاس فـي ذا البـاب   مـن مدخـل عنـد ذوي الألبـاب
وإنمـــا التســـليم فـي اللائق   والانقيـاد حيـث أنبـأ الصـادق

(المؤلف).

النوع الأول

في أقوال علماء السلف والخلف

ويحتوي هذا النوع على تمهيد، وخمسة عشر فصلا:

تمهيد:

إن الأرواح لا تموت بالموت، كما يقول العلماء:

القول (١): أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» بسنده إلى الإمام محمد بن الوضاح، أحد أئمة المالكية، قال: سمعت الإمام الأجل سحنون بن سعيد -قدس سره- أنه ذكر له عن رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد، فقال: **معاذ الله! هذا قول أهل البدع** [١].

القول (٢): **يقول الإمام ابن الأمير الحاج في خاتمة الحلية تتعلق بغسل الميت: (إذا اعتنى المولى بتطهير جسد يلقى في التراب تنبه العبد إلى تطهير ما هو باق وهو النفس، فإنه لا يفنى عند أهل السنة والجماعة)** [٢].

---

(١) شرح الصدور (خاتمة في فوائد تتعلق بالروح)، ص: ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) لم نقف عليه.

القول (٣): يقول الإمام عز الدين بن عبد السلام: (لا تموت أرواح الحياة، بل ترفع إلى السماء حية)[١].

القول (٤): يقول الإمام جلال الحق والدين، السيوطي في «شرح الصدور» ناقلا: (بل الأرواح باقية بعد خلقها بالإجماع)[٢].

القول (٥): يقول الإمام السيوطي مؤيدا هذا الأمر بأن حياة الشهداء ليست بالروح فقط، وإنما بالروح والبدن: (لو كان المراد حياة الروح فقط، لم يحصل له تميز عن غيره، لمشاركة سائر الأموات له في ذلك، ولعلم المؤمنين بأسرهم حياة كل الأرواح، فلم يكن لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] معنى)[٣].

الفصل الأول: الموت انتقال من مكان إلى آخر:

إن الموت هو عبارة عن الانتقال من مكان إلى آخر، ولا يعني الموت تحوّلا إلى الجماد، معاذ الله! [وإليك أقوال العلماء في ذلك]:

القول (١): أخرج أبو نعيم في «الحلية» عن بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في وعظه: (يا أهل الخلود! ويا أهل البقاء! إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار)[٤].

القول (٢): في شرح الصدور: (قال العلماء: الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار)[٥].

---

(١) شرح الصدور (خاتمة في فوائد تتعلق بالروح)، ص: ٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه (خاتمة في فوائد تتعلق بالروح)، ص: ٣٢٤.

(٣) المصدر السابق (باب: زيارة القبور)، ص: ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق (باب: فضل الموت)، ص: ١٢.

(٥) شرح الصدور (باب: فضل الموت)، ص: ١٢.

الملاحظة: إنما المراد بـ «انقطاع التعلق» هذا أن العلاقة المعهودة، التي كانت بالجسد في عالم الحياة، قد انقضت. وكذلك المراد بالحجاب والمفارقة أن الاتصال التام قد انتهى. أمّا الاتصال المطلق، والتعلق العام بين الروح والبدن، فيبقى بعد الموت أيضا، حسب مذهب أهل السنة، كما ستأتي عنه في الفصول القادمة أقوالٌ كثيرة. إن شاء الله تعالى.

القول (٣): قال الشيخ المحقّق في «جامع البركات»: (إن الموت لا يعني فناءً محضا، كما يقول الطبيعيون والدهريون، وإنما الموت هو انتقال من حال إلى حال، ومن دار إلى دار)[١].

القول (٤): قال الشيخ المحقّق في «أشعّة اللّمعات شرح المشكاة»: (إن الأولياء يُنقَلون من الدار الفانية إلى الدار الباقية، وهم أحياء عند ربِّهم يرزقون ويعيشون حياةً سعيدةً، ولكن الناس لا يشعرون)[٢].

القول (٥): جاء في المرقاة شرح المشكاة: (لا فرق لهم في الحالين، ولذا قيل: أولياء الله لا يموتون، ولكن ينتقلون من دار إلى دار)[٣].

الروايـة المنـاسبة الأولى: روى الإمام العارف بالله، الأستاذ أبو القاسم القشيري - قدّس سره - في رسالته، بسنده، عن سيدنا أبي سعيد الخراز - قدِّس سره الممتاز- أنه يقول: كنت بمكة - حرسها الله تعالى - فجزعت يوما بباب بني شيبة، فرأيت شابّاً حسن الوجه ميتا، فنظرت في وجهه، فتبسّم في وجهي، وقال لي: يا أبا سعيد! أما علمت أن الأحباء أحياء، وإن ماتوا، وإنما يُنقلون من دار إلى دار[٤].

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب.

(٢) أشعة اللمعات، باب حكم الإسراء، الفصل الأول، ٣ / ٤٠٢.

(٣) مرقاة شرح المشكاة، كتاب الصلاة، باب الجمعة، ٣ / ٤١٤ - ٤١٥.

(٤) الرسالة القشيرة في علم التصوف للإمام أبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، دار التربية، بغداد، باب: أحوالهم عند الخروج من الدنيا، ص: ٢٤١. وينظر: شرح الصدور للسيوطي، باب: «زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم..»، ص: ٢٠٧ و٢٠٨.

الرواية المناسبة الثانية: وهو الذي روى عن أبي علي الروذباري أنه حكى قائلا: قدم علينا فقير فمات، فدفنته، وكشفت عن وجهه لأضعه ليرحم الله عَزَّوَجَلَّ غربتَه، ففتح عينيه، وقال: يا أبا علي! أتذللني بين يدي من دللني. فقلت: يا سيدي أحياة بعد موت؟ فقال: بل أنا حي، وكل محب لله عَزَّوَجَلَّ حي لأنصرنك بجاهي غدا يا باروذباري[١].

الرواية المناسبة الثالثة: وهو الذي روى بسنده، عن إبراهيم بن شيبان قال: صحبني شاب حسن الإرادة، فمات فاشتعل قلبي به، وتوليت غسله، فبدأت بشماله من الدهشة، فأخذها مني، ثم ناولني يمينه، فقلت: صدقت يا بنيّ وأنا غلطت[٢].

الرواية المناسبة الرابعة: وروى بسنده، عن أبي يعقوب السوسي قال: غسلت مريدا فأمسك إبهامي وهو على المغتسل، فقلت: يا بني خلِّ يدي، فإني أدري أنك لست بميت، وإنما هي نقلة، فخلى عن يدي [٣].

وإنك لتجد مثل هذه مئات من الرويات لأقوال الأئمة الكرام، إلا أن الوهابية، فكما قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

الفصل الثاني: الموتُ لا يُغيّر من الروح شيئاً:

إنّ الروح لا تتغير بالموت أصلا، وتبقى علومها، وأفعالها على حالها، بل تزداد[٤]. إذن أية جمادية هذه! وأما إثبات تخصيص الإدراك ففي ذمة المُخصِّص.

القول (٦): يقول الإمام السبكي في «شفاء السقام»: (النفس باقية بعد موت

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٤٠. وينظر: شرح الصدور للسيوطي، ص: ٢٠٨.

(٢) ينظر: شرح الصدور للسيوطي، ص: ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، للسيوطي، ص: ٢٠٨.

(٤) ينقل الإمام السيوطي في شرح الصدور مذهب أهل السنة من كتاب الروح: (إن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن. وعلى ذلك أكثر من مائة دليل مقررة).(المؤلف).

البدن، عالمة باتفاق المسلمين، بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس، يقولون بالعلم بعد الموت، ولم يخالف في بقاء النفوس إلا من لا يعتد به)[١].

القول (٧): وفي تفسير البيضاوي: (فيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها، مغائرة لما يحس به من البدن، تبقى بعد الموت درَّاكة، وعليه جمهور الصحابة والتابعين، وبه نطقت الآيات والسنن)[٢].

القول (٨): يقول الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»: (لا تظن أن العلم يفارقك بالموت، فالموت لا يهدم محل العلم أصلا، وليس الموت عدما محضا حتى تظن أنك إذا عدمت عدمتْ صفتك)[٣].

القول (٩ – ١٠): يقول الإمام النسفي في «عمدة الاعتقاد»، والعلامة النابلسي في «الحديقة الندية»: (الروح لا يتغير بالموت)[٤].

القول (١١): يقول العلامة التوربشي: (الروح الإنسانية متميزة مخصوصة بالإدراكات بعد مفارقة البدن). نقله المناوي[٥].

القول (١٢): يقول العلامة المناوي في شرحه للجامع الصغير: (الموت ليس بعدم محض، والشعور باق حتى بعد الدفن)[٦].

---

(١) شفاء السقام للسبكي، المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، الفصل الثاني في الشهداء، ص:٢١٠.

(٢) تفسير البيضاوي، ١ / ١١٧.

(٣) ينظر: التيسير للمناوي، ٢ /٤٢٩. نقلا عن إحياء علوم الدين للغزالي.

(٤) الحديقة الندية للنابلسي، المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، الباب الثاني في الأمور المهمة، ١/ ٢٩٠.

(٥) ينظر: التيسير للمناوي، ١ / ٣١٠.

(٦) التيسير للمناوي، ١ / ٣٠٣.

القول (١٣): وفيه: (أن الروح إذا تخلعت من هذا الهيكل انفكت من القيود بالموت تجول إلى حيث شاءت)[١].

القول (١٤): قال السيوطي في «شرح الصدور» بعد نقل الدلائل من القرآن والحديث: **(فصحَّ أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وإنها عارفة متميزة)[٢].**

ولتتذكر هنا التقرير الذي مرَّ بنا في المقصد الثاني تحت الحديث الثاني!

القول (١٥): يقول العلامة التفتازاني في «المقاصد» و«شرح المقاصد»: (عند المعتزلة وغيرهم، البدنية المخصوصة شرط في الإدراك، فعندهم لا يبقى إدراك الجزئيات عند فقد الآلات، وعندنا يبقى، وهو الظاهر من قواعد الإسلام)[٣].

القول (١٦): وفي اللّمعات شرح المشكاة: (سببية الحواس للإحساس، وللإدراك عادية، كما تقرَّرَ في المذهب، أمّا العلم فبالروح، وهو باق)[٤].

القول (١٧): يقول الإمام السيوطي: (ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم إلى أن الروح تبقى بعد موت البدن. وخالف فيه الفلاسفة دليلنا قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق، وما تقدّم في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث في بقائها وتصرّفها)[٥].

القول (١٨): في إرشاد السّاري شرح صحيح البخاري: (قد أنكر عذاب القبر

---

(١) المصدر نفسه، ١ / ٣٢٠.

(٢) شرح الصدور للسيوطي (باب مقر الأرواح)، ص: ٢٣٩.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني، دار المعارف النعمانية، لاهور، المبحث الرابع: مدرك الجزئيات، ٢/ ٤٣.

(٤) لم نعثر إلا على ثلاثة أجزاء فقط من هذا الكتاب، وهي تشمل كتاب الطهارة، وهذه العبارة مأخوذة من كتاب الجهاد.

(٥) ينظر: شرح الصدور (خاتمة في فوائد تتعلق بالروح)، ص: ٣٢٤.

بعض المعتزلة والروافض محتجين بأن الميت جماد لا حياة له ولا إدراك)[١].

القول (١٩): جاء في «كشف الغطاء» الكتاب الذي يستند إليه إسحاق الدهلوي: (مما ذهب إليه المعتزلة القول بأن الميت جماد)[٢].

القول (٢٠): وفيه: (لا فرق لأرواح أهل الكمال بين حالة الحياة والموت سوى أن الكمالات تزداد بعد الموت)[٣].

الفصل الثالث: إدراكات الموتى تشمل الدنيا وأهلها:

القول (٢١): يقول الإمام جلال الدين السيوطي في رسالته المنظومة «أنيس الغريب»:

يعـــرف مـــن يغســـله ويحمل ويلبـــس الأكفان ومـــن ينزل[٤]

القول (٢٢ - ٢٤): يقول الإمام ابن الحاج في «المدخل» [٥]، والإمام القسطلاني في «المواهب» والعلامة الزرقاني في «شرحه» تقريرا - واللفظ لأحمد: (من انتقل إلى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم أحوال الأحياء غالبا، وقد وقع كثير من ذلك، كما هو مسطور في مظنة ذلك)[٦].

---

(١) إرشاد الساري شرح البخاري للقسطلاني، دار الكتاب العربي، باب: قتل أبي جهل، ٦/ ٢٥٥.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) المدخل لابن الحاج، دار الكتب العربية، بيروت، فصل في الكلام على زيارة سيّد الأولين، ٢٥٣/١.

(٦) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٨٥١هـ - ٩٢٣هـ)، تحقيق: صالح أحمد الشامي، مركز أهل السنة، بركات رضا، فوربندر، غجرات (الهند)، ٤/ ٥٨١.

القول (٢٥): يقول الشيخ المحقق في «أشعة اللمعات شرح المشكاة» بعد تحقيق مسألة «إدراكات الموتى»: (الحاصل أن النصوص من الكتاب والسنة تزخر بأخبار وآثار تخبر بأن الموتى يدركون الدنيا وأهلها، ولا ينكر ذلك إلا من جهل بالأحاديث والأخبار، وأنكر الدين)[1].

الفصل الرابع: الاستحياء من الأموات:

القول (٢٦): أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» عن سليم بن عمير، أنه مرَّ على مقبرةٍ، وهو حاقن قد غلبه البول، فقيل له: لو نزلت فبلتَ. قال: (سبحان الله! والله إني لأستحي من الأموات، كما أستحي من الأحياء)[2].

القول (٢٧): لما أتى سيدنا الإمام الشافعي إلى مرقد الإمام الأعظم – رضي الله تعالى عنهما، وعن أتباعهما – فلم يقرأ القنوت في صلاة الصبح، وحينما سأله الناس، أجاب: كيف أقنت بحضرة الإمام، وهو لا يقول به. ذكره سيدي علي الخواص، والإمام الشعراني في الميزان[3]، ونحوه العلامة ابن حجر المكي في «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» في أولها وأعاد في آخرها عن بعض شراح منهاج الإمام النووي، وعن غيره، ونحوه في «عقود الجمان في مناقب النعمان» عن شيخ شيوخه الإمام الزاهد الولي شهاب الدين، شارح المنهاج.

وفي بعض الروايات أنه لم يقرأ «بسم الله» جهرا. نقله الفاضل الشامي في «رد المحتار» عن بعض العلماء، وكذا الإمام ابن حجر في «الخيرات الحسان».

وفي بعضها أنه لم يرفع يديه عند تكبيرات الانتقال. ولما سئل عن ذلك أجاب: أدبُنا مع هذا الإمام أكثر من أن نظهر خلافه بحضرته. ذكره الإمام علي

---

(١) أشعة اللمعات، للشيخ المحقّق، كتاب الجهاد، الفصل الأول، ٣ / ٤٠١.

(٢) شرح الصدور (باب: تأذيه بسائر وجوه الأذى)، ص: ٣٠٠.

(٣) ميزان الشريعة الكبرى للشعراني، مصطفى البابي، مصر، ١ / ٦١.

القاري في «المرقاة»[1].

وقد نقل في «شرح اللباب» خاصا بلفظ «الاستحياء» أن الإمام الشافعي قال: (أستحي أن أخالف مذهب الإمام في حضوره)[2]. ذكره في باب: «الزيارة النبوية»، فصل «المقام بالمدينة المنورة».

سبحان الله! لو كانت الأموات لا تبصر ولا تسمع، فما الفرق بين الجهر والخفاء؟ وبين الرفع وعدمه؟ وبين قراءة القنوت وتركه؟ لله الإنصاف! لو كان بناء القبر حجابا مانعا من السمع والبصر؟ فمتى كان الإمام الشافعي أمام الإمام الهمام الإمام الأعظم؟! وما معنى هذا الأدب والاحترام؟!!!

القول (٢٨ -٣١): لقد صرّح العلامة فضل الله الغوري الحنفي وغيره جماعة من العلماء أن يبدأ زيارة البقيع الشريف من قبة حضرة العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنها أول ما يصادفها الزائر، فمن سوء الأدب أن يمرَّ بلا سلام عليه، وهكذا أي ضريح يقابله فليسلم عليه؛ لأنه ليس من الأدب والمروءة أن يمرَّ بضريح له أدنى درجة من العزة والكرامة ولا يسلم عليه. نقله مولانا علي القاري في «شرح اللباب»، وجعله أمرا مسلّما به. ونقل الشيخ المحقق في «جذب القلوب» تحسينه من العلماء بأنه مقصد جيد، ولا حرج في عدم مراعاة الأفضل والأشرف هنا، ففي «المسلك المتقسط»: **ذكر العلامة فضل الله بن الغوري من أصحابنا أن البداءة بقبة العباس والختم بصفية - رضي الله تعالى عنهما - أولى؛ لأن مشهد العباس أوّل ما يلقى الخارج من البلد عن يمينه، فمجاوزته من غير سلام عليه جفوة، فإذا سلَّمَ عليه، وسلّم على من يمرّ به أولا، فيختم بصفية - رضي الله تعالى عنها - في رجوعه، كما صرّح به أيضا كثير من مشايخنا**[3].

---

(١) مرقاة المفاتيح، ١ / ٣٠.

(٢) المنسك المتوسط مع إرشاد الساري، دار الكتاب العربي، ص: ٣٤٢.

(٣) المسلك المتقسط مع إرشاد الساري، دار الكتاب العربي، بيروت، ص: ٣٤٥.

في «جذب القلوب»: (لقد اختلف العلماء المتأخرون في بدء الزيارة، فقد ذهب جماعة إلى أن تبدأ بقبة العباس، ومن معه من الأئمة الكرام من أهل البيت - رضي الله تعالى عنهم-؛ لأنه أسهل وأقرب. والمرور بهم بلا سلام عليهم، والانشغال بزيارة الآخرين سوء أدب وعدم مبالاة)[١].

وفيه: (وخلاصة الكلام لبعض العلماء أن يبدأ بزيارة قبة العباس، ومن معه في القبة، ثم يسلّم على كل من يلتقيه؛ لأنه من سوء الأدب أن يمرَّ بدون أن يسلّم عليهم، ولو بقبر مَن له أدنى شأن، والانشغال بزيارة قبور أخرى من سوء الأدب وقلة المروءة. وقال البعض: هذا مقصد صالح، لا يضر به عدم مراعاة الأفضل والأشرف)[٢].

الفصل الخامس: الأموات تتأذى بأفعال الأحياء:

القول (٣٢ -٣٤): قال في «مراقي الفلاح»: أخبرني شيخي العلامة محمد بن أحمد الحموي - رحمهم الله تعالى- بأنهم يتأذّون بخفق النعال [٣]. وقرّره العلامة الطحطاوي.

القول (٣٥): قال الشيخ المحقّق رحمه الله في شرح المشكاة معلّقاً على حديث «يمنع من الجلوس على قبر الميت»؛ لأنه يؤذيه، كما مرَّ بنا في الحديث الخامس عشر: (لعل مراده أن الروح لا ترضى بأن يسند أحد إلى قبره، لِما فيه من إهانة واستخفاف له. والله أعلم)[٤].

---

(١) جذب القلوب إلى ديار المحبوب للشيخ عبد الحق الدهلوي، ترجمه إلى الأردية: سيد حكيم عرفان علي، نشره: رضوي كتاب كهر، بهيوندي (الهند)، باب: «در فضائل مقبرة بقيع»، ص:١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٦.

(٣) مراقي الفلاح على هامش حاشية الطحطاوي، مطبوعة كراتشي، فصل في زيارة القبور، ص:٣٤٢.

(٤) أشعة اللمعات، باب: دفن الميت، الفصل الثالث، ١ / ٢٩٩.

القول (٣٦ - ٣٧): يقول العارف بالله الحكيم الترمذي، والعلامة النابلسي في «الحديقة الندية»: (معناه أن الأرواح تعلم بترك إقامة الحرمة والاستهانة، فتتأذى بذلك)[١].

القول (٣٨ - ٣٩): في حاشية الطحطاوي ورد المحتار، وغيرهما: (أن لا يجلس للبول في المقابر؛ لأن الميت يتأذى بما يتأذى به الحي)[٢].

أقول: بل أخرج الديلمي عن أم المؤمنين الصديقة - رضي الله تعالى عنها - في هذه الكلية صراحةً، بأن النبي ﷺ قال: (الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته)[٣].

القول (٤٠ - ٤١): نقل صاحب الأشعة عن الإمام أبي عمر عبد البر، تحت الحديث السادس عشر: (من هنا علم أن الميت يتأذى بكل ما يتأذى به الأحياء. وهذا يستلزمه أن يستمتع الميت بكل ما يستمتع به الأحياء)[٤].

التذييل: مسألة: لا تترك الدواب التي شقَّ نقلها من دار الحرب حية؛ إذ فيه نفع للحربيين، وكذلك يحرم عقرها؛ إذ فيه إيذاء للدواب، بل تذبح، ثم تحرق لحومها حتى لا ينتفع بها الحربيون، في الدر المختار: (حرم عقر دابة شقَّ نقلها إلى دارنا، فتذبح، وتحرق بعده؛ إذ لا يُعذَّب بالنار إلا ربها)[٥].

شكَّ على هذا العلامة الحلبي محشي «الدر المختار» بأنه استلزم ذلك أن لا يتأذى الميت بما يصيبه من الأذى، وفي الحديث خلاف ذلك. فأجاب العلامة

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار صادر، بيروت، الأصل التاسع والمائتان، ص: ٢٤٤.

(٢) حاشية الطحطاوي على الدر، دار المعرفة، بيروت، باب صلاة الجنازة، ١ / ٣٨١.

(٣) شرح الصدور (باب تأذي الميت)، ص: ٢٩٧.

(٤) أشعة اللمعات، باب دفن الميت، ١ / ٦٩٦.

(٥) ينظر: الدر المختار للإمام محمد بن علي الدمشقي المشهور بالحصفكي (١٠٢١هـ - ١٠٨٨هـ) مع رد المحتار لابن عابدين الشامي (١١٩٨هـ ١٢٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد المعوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. كتاب الجهاد، باب المغنم وقسمته، ٦ / ٢٢٩.

الطحطاوي والعلامة الشامي عن هذا بأنّه خاص ببني آدم. فإنهم يعذبون ويثابون في قبورهم، حيث تبقى لأرواحهم علاقة بالأجساد يشعرون بها، أمّا الحيوانات فلا؛ لأنه لو كان الأمر كذا، لَما جاز الانتفاع بعظامها، وبغيرها من الأعضاء، في ردِّ المحتار: (أورد المحشي على جواز إحراقها بعد الذبح إنه يقتضي أن الميت لا يتألم مع أنه ورد أنه يتألم بكسر عظمه. قلت: قد يجاب بأن هذا خاص ببني آدم؛ لأنهم يتنعمون، ويعذبون في قبورهم بخلاف غيرهم من الحيوانات، وإلا لزم أن لا ينتفع بعظمها، ونحوه)[1].

أقول: إن تخصيص بني آدم بالإضافة إلى الحيوانات، وإلا الأجنة أيضا يدركون بعد الموت، كما يأتي ذلك في مقولة التسعين ومئة، وتعليل العلامة نفسه دليل عليه بالعذاب والثواب.

الفصل السادس: الأموات تستأنس بلقاء الأحياء وذكر الله:

القول (٤٢): قال الإمام السيوطي في «أنيس الغريب»:

ويأنســـون إن أتـى المقـــابر ....[2]

القول (٤٣): قال الإمام الأجل النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أقسام الزيارة تأنيس الأموات بالذهاب إلى المقابر، كما ثبت بالحديث الشريف، وسيأتي نقله في النوع الثاني، إن شاء الله تعالى.

القول (٤٤): قال الشيخ المحقق في «جذب القلوب»: (قد تكون الزيارة لأداء حقوق أهل القبر، كما جاء في الحديث أن الميت أكثر ما يستأنس به، هو أن يأتيه أحد من أحبائه لزيارته. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة)[3].

القول (٤٥ - ٤٦): في فتاوى القاضي خان والفتاوى الهندية: (وإن قرأ القرآن

---

(١) ينظر: رد المحتار حاشية لابن عابدين الشامي، ٦ / ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) جذب القلوب، الباب الخامس عشر، ص: ٢٣٧ - ٢٣٨.

عند القبور، إن نوى بذلك أن يؤنسه صوت القرآن فإنه يقرأ)[١].

القول (٤٧ - ٤٩): قال صاحب رد المحتار نقلا عن الغنية شرح المنية، وقال الطحطاوي في حاشية مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: (إن الميت يستأنس بالذكر على ما ورد في الآثار)[٢].

القول (٥٠ - ٥٨): يقول الإمام قاضي خان في «الفتاوى الخانية»، والشرنبلالي في «نور الإيضاح»، و«مراقي الفلاح»، و«إمداد الفتاح»، والعلامة أبو السعود، والفاضل الطحطاوي في «حاشية مراقي الفلاح» استنادا وتقريرا، ويقول العلامة الشامي في «حاشية الدر» استنادا، وفي «خزانة الروايات» نقلا عن «الفتاوى الكبرى»، والإمام البزازي في «الفتاوى البزازية»، وشيخ الإسلام في «كشف الغطاء»، وغيرهم من العلماء - واللفظ للخانية: (يُكره قطع الحطب والحشيش من المقبرة، فإن كان يابسا لا بأس به؛ لأنه ما دام رطبا يسبح، فيؤنس الميت)[٣].

بهذا الحديث استدل العلامة الشامي، وقال: (ولهذا يُكره مطلقا، وإن كان قد نبت بدون الغرس؛ لأنه فيه ضياع حق الميت).

الانتباه: يقول الفقير - غفر الله تعالى له -: إنه حصلت فائدتان بعبارات العلماء هذه، وبأقوال أربعة آتية، وتصريحات جليلة أخرى، وهذه هي:

أوّلاً: إن لكل عنصرٍ من عناصر العالَم من جمادات ونباتات حياةً تناسبها، فكل شجر، وحجر يسبّح ذلك الرب الأكبر - جل جلاله - بلسان القال، وينطق بـ «سبحانه الله» أو مثلها من كلمات التسبيح الإلهي. ولا تمتلك هذه العناصر من شجر وحجر

(١) الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: العلامة الهمام مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، كتاب الكراهية، الباب السادس عشر في زيارة القبور، ٥ / ٤٣٠.

(٢) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، باب أحكام الجنائز، ص: ٣٠٦.

(٣) الفتاوى الخانية للقاضيخان، مطبوعة نولكشور، لكناؤ، ١ / ١٩٥.

لسان الحال فقط، كما يبدو لبادىء النظر، وإنما لها لسان القال أيضا؛ لأنه لو لم يكن كذا، لكان التفريق بين الرطب واليابس عبثا، كما لا يخفى. والآية الكريمة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] تبرهن على ذلك برهانا قاطعا؛ إذ قال فيها: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. فالظاهر أن المراد هنا هو التسبيح القولي؛ لأن التسبيح الحالي يفهمه كل شخص عاقل، حتى عبّر عنه الشعراء أيضاً، فقال أحد منهم: كل حشيشة تنبت من الأرض تنطق: «إنه واحد لا شريك له».

وقد ثبت في مذهب أهل السنة[1] أنّ لذرّات العالم كلّها نوعا من العلم، والإدراك، والسمع، والبصر، كما شرح مولوي معنوي - قدّس سره- في «المثنوي» هذا المضمون شرحا وافيا، وتنطق به مئات من نصوص[2] القرآن والأحاديث، التي لو جمعناها لتجاوزت إلى خمس مئة نص، إن شاء الله.

ومما لا جدوى فيه أن يتكلف بتأويل هذه النصوص من الظاهر، ولا يعني هذا إلا الخروج من قانون العقل والنقل، والدخول في سفاهات المبتدعين، بالأخصّ تلك النصوص التي مصرّحة ومفسرّة حيث لا مجال للتأويل[3]، ولو لم يكن هذا الموضوع

---

(١) علّق المؤلف قائلا: (الصحيح أن للجمادات والنباتات والحيوانات علما، وإدراكا، وتسبيحا... قال البغوي: وهذا مذهب أهل السنة. وتدل عليه الأحاديث والآثار، ويشهد له مكاشفة أهل المشاهدة والأسرار التي هي كالأنوار... والمعتمد في المعتقد أن شهادة الأعضاء بلسان القال... وما ورد عن الشارع يحمل على ظاهره ما لم يصرف عنه صارف، ولا صارف هنا، كما لا يخفى). ينظر: مرقاة المفاتيح، باب فضل الأذان، الفصل الأول، ٢/ ٣٢٨.

(٢) كما ذكر الفقير جملةً صالحة في فتاواه، وأشار إلى مئات منها، وبالله التوفيق. (المؤلف).

(٣) منها مثلا ما قاله النبي ﷺ: (ما صيد صيد، ولا قطعت شجرة إلا بتضييع التسبيح). رواه أبو نعيم في الحلية بسند حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ينظر: كنز العمال للمتقي، مطبوعة مؤسّسة الرسالة، بيروت، الحديث: (١٩١٩)، ١ / ٤٤٥. وروى أبو الشيخ: ما أخذ طائر ولا حوت إلا بتضييع التسبيح). (ينظر: الدر المنثور للسيوطي، مكتبة آية الله العظمى، قم، إيران، ٤/ ١٨٤). وروى ابن إسحاق بن راهويه عن أبي بكر الصديق أنه أتي بغراب إليه، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ما صيد صيد، ولا عضت عضباء، ولا قطعت شجرة إلا بقلة التسبيح). (المؤلف)ينظر: كنز العمال، الحديث: (١٩٢٠)، ١ / ٤٤٥).

من خارج نطاق البحث، لوَضّحناه قليلا.

ثانياً: تجلّى بالأقوال المذكورة أنّ القوة السّامعة لأهل القبور تزداد إلى درجة، أنهم يسمعون تسبيحات النباتات التي لا يسمعها الأحياء، وأنّهم يستأنسون بها بلا تكلّفٍ. إذن كيف لا يسمعون كلام الإنسان؟! فإنه أوضح وأظهر. والله تعالى هو الهادي.

القول (٥٩ - ٦٢): في «جامع البركات» نقلا عن «مطالب المؤمنين»، وفي «كنز العباد»، و«فتاوى الغرائب»: (وضع الورد والرياحين على القبور حسن؛ لأنه ما دام رطبا يسبّح، ويكون للميت أنس بتسبيحه)[١].

الفائدة: إن كتاب «مطالب المؤمنين»، وكتاب «جامع البركات» كليهما من الكتب التي يعتمد عليها المخالفون، كما استند إليها مولوي إسحاق في «مائة مسائل»، والمتكلم القنوجي، وغيرهما.

الفصل السابع: الأموات تعرف زوارها:

القول (٦٣ - ٦٤): يقول مولانا علي القاري - عليه رحمة الباري - في «المسلك المتقسط» شرح «المنسك المتوسط»، والعلامة الفاضل ابن عابدين في «حاشية شرح التنوير»: (من آداب الزيارة ما قالوا، من أنه يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى، لا من قِبل رأسه؛ لأنه أتعب لبصر الميت بخلاف الأول؛ لأنه يكون مقابل بصره)[٢].

القول (٦٥): قال ابن الحاج في «المدخل»: (كفى في هذا بيانا قولُه - عليه الصلاة والسلام -: المؤمن ينظر بنور الله. ونور الله لا يحجبه شيء، هذا في حق الأحياء من المؤمنين، فكيف من كان منهم في الدار الآخرة)[٣].

---

(١) ينظر: الفتاوى الهندية، كتاب الكراهية، الباب السادس عشر في زيارة القبور، ٥ / ٤٣١.

(٢) رد المحتار حاشية الدر المختار، كتاب الصلاة، باب: صلاة الجنازة، مطلب في زيارة القبور، ٣/ ١٥١.

(٣) المدخل لابن الحاج، فصل في الكلام على زيارة سيد المرسلين، ١ / ٢٥٣.

القول (٦٦): يقول الشيخ المحقق في «جذب القلوب» نقلا عن الإمام العلامة صدر الدين القونوي: (إنه يكون تعلق خاص بين قبور جميع المؤمنين وبين أرواحهم، ولا يزال هذا التعلق باقيا بالدوام، وبهذا التعلق يعرفون كل مَن يأتي لزيارتهم، ويردون على سلامهم، ودليله أن الزيارة تستحب في جميع الأوقات)[١].

القول (٦٧): قال السيوطي في «أنيس الغريب»:

ويعرفـــون من أتاهـــم زائـراً ....[٢]

القول (٦٨): قال المناوي في التيسير: (الشعور باق حتى بعد الدفن، حتى إنه يعرف زائره)[٣].

القول (٦٩): قال الشيخ المحقق في «اللمعات»، و«أشعة اللمعات»، و«جامع البركات»، واللفظ للوسطى: (لقد ورد في الروايات أن الميت يُعطَى العلم والإدراك يوم الجمعة أكثر من بقية الأيام، ولهذا يعرف زائرَه في هذا اليوم أكثر من بقية الأيام)[٤].

وفصَّل في «شرح سفر السعادة» أكثر، فقال: (الخصوصية الثلاثين هي أن أرواح المؤمنين تقترب من قبورها يوم الجمعة، وتكون هذه القربة معنوية، ويكون اتصالا روحانيا كاتصاله بالجسد، ولهذا تعرف الأرواح، الذين يزورونها، وتكون هذه المعرفة دائمية، إلا أنها تزداد في هذا اليوم نسبة إلى أيام أُخَر؛ وذلك لأن الأرواح تقترب من القبور في هذا اليوم. ومن الضروري أن المعرفة التي تحصل بالقرب تكون أزيد وأقوى من معرفة البعيد. وفي بعض الروايات أن هذه المعرفة تزداد أكثر في مساء

---

(١) جذب القلوب، باب ١٤، ص: ٢٢٠.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي، باب: «الميت يعرف من يحمله»، ١ / ٣٠٣.

(٤) أشعة اللمعات، باب: زيارة القبور، ١ / ٧١٦.

الجمعة، ولهذا يزداد استحباب زيارة القبور في هذا الوقت. وهذا هو دستور زيارة الحرمين الشريفين)[١].

أقول: ولا عطر بعد العروس.

القول (٧٠-٧١): قال الشيخ، وشيخ الإسلام، واللفظ للشيخ في «جامع البركات»: **(لقد ثبت بالآيات والأحاديث محقّقا أن الروح باقية، وأنها تطلع على الزائرين، وتدرك أحوالهم، وهذا أمر ثابت في الدين)**[٢].

القول (٧٢): في التيسير تحت حديث: «من زار قبري أبويه»: (هذا نص في أن الميت يشعر من يزوره، وإلا لَما صحَّ تسميته زائرا، وإذا لم يعلم المزور بزيارة مَن زاره لم يصح أن يقال: زاره. هذا هو المعقول عند جميع الأمم)[٣].

القول (٧٣-٧٤): نقل الشيخ المحقق في «أشعة اللمعات» عن شرح المشكاة للإمام ابن حجر المكي، آخر باب الجنائز، تحت حديث أم المؤمنين الصديقة - رضي الله عنها- الذي سبق ذكره في النوع الثاني من المقصد الثاني: (في هذا الحديث دليل واضح على أن للميت حياةً وعلما، ويجب احترامه عند الزيارة بالأخص عند زيارة الصالحين، حسب مراتبهم في الدنيا)[٤].

ثم ذكر ذلك في كتاب الجهاد من «اللمعات»، وقال: (هل هذا إلا لإثبات العلم والإدراك)[٥].

---

(١) شرح سفر السعادة، مطبوعة المكتبة النورية الرضوية، سكهر، فصل في بيان تعظيم الجمعة، ص:١٩٩.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) التيسير شرح الجامع الصغير، «من زار قبر أبويه»، ٢ / ٤٢٠.

(٤) أشعة اللمعات، باب زيارة القبور، الفصل الثالث، ١ / ٧٢٠.

(٥) لم نقف عليه.

الفصل الثامن: الميت يكلّم الزائر ويردّ على سلامه:

القول (٧٥-٧٨): نقل الإمام اليافعي، ثم السيوطي عن الإمام المحب الطبري: شارح التنبيه أنه كان مع الإمام إسماعيل الحضرمي في مقبرة زيد، فقال: (يا محب الدين! أتؤمن بكلام الموتى؟ قلت: نعم. فقال: إن صاحب هذا القبر يقول لي: أنا من حشو الجنة)[1].

الانتباه: لا نقصد بهذه الرواية بأن الميت تكلم مع الإمام إسماعيل، فإن مثلها مئات من الروايات، وقد قلنا فيما سبق إننا لا نعد الوقائع الجزئية، بل موضع الاستشهاد هنا هو أن الإمامين هذين كان يعتقدان عن كلام الموتى مع الأحياء، كما نقل الإمامان استناداً إليهما.

تذييل: قد حكى الإمام اليافعي والسيوطي عن الإمام إسماعيل - قدّس سره الجليل - أنه مرَّ ببعض مقابر اليمن، فبكى بكاءً شديداً، وعلاه حزن، ثم ضحك ضحكا شديداً، وعلاه سرور، فسئل عن ذلك؟ فقال: كشف لي عن هذه المقبرة، فرأيتُهم يُعذَّبون، فبكيتُ، ثم تضرّعتُ إلى الله تعالى فيهم، فقيل لي: قد شفعناك فيهم، فقالت صاحبة هذا القبر، وأنا معهم يا فقيه إسماعيل؟ أنا فلانة المغنية، فقلت: وأنتِ معهم، فلذلك ضحكت [2].

اللهم اجعلنا ممَن رحمتَه بأوليائك. آمين!

القول (٧٩): نُقلَ في زهر الربى شرح سنن النسائي: (إن للروح شانا آخر، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبه ردَّ عليه السلام وهي مكانها هناك. إلى أن قال: إنما يأتي الغلط ههنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانا لم

---

(١) شرح الصدور (باب زيارة القبور)، ص: ٢٠٦.

(٢) شرح الصدور، (باب زيارة القبور)، ص: ٢٠٦ - ٢٠٧.

يمكن أن تكون في غيره. وهذا غلط محض)[١].

القول (٨٠): ينقل العلامة الزرقاني في شرح المواهب: (ردُّ السلام على المسلم من الأنبياء حقيقي بالروح والجسد بجملته، ومن غير الأنبياء والشهداء باتصال الروح بالجسد اتصالاً يحصل بواسطته التمكّن من الرد مع كون أرواحهم ليست في أجسادهم، وسواء الجمعة وغيرها على الأصح، لكن لا مانع من أن الاتصال في الجمعة واليومين المكتنفين به أقوى من الاتصال في غيرها من الأيام)[٢].

القول (٨١ - ٨٢): قال السيوطي في «شرح الصدور» [٣]، والطحطاوي في «حاشية مراقي الفلاح»: (الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور، وسمع سلامه، وأنس به، وردَّ عليه، وهذا عامّ في حق الشهداء وغيرهم، وإنه لا توقيت في ذلك)[٤].

القول (٨٣): جاء في البناية شرح الهداية عن تلقين الموتى: (عند أهل السنة هذا على الحقيقة؛ لأن الله تعالى يجيب على ما جاءت به الآثار)[٥].

الفصل التاسع: كرامات الأولياء وتصرفاتهم:

إن كرامات الأولياء وتصرّفاتهم تبقى على حالها حتى بعد الموت، كما قال العلماء:

---

(١) زهر الربى حاشية على النسائي، مطبوعة كراتشي، كتاب الجنائز، أرواح المؤمنين، ١/ ٢٩٢.

(٢) شرح المواهب للزرقاني، المقصد العاشر في إتمام نعمته، المطبعة العامرة، مصر، ٨ / ٣٥٢.

(٣) نقل الإمام السيوطي العبارة الآتية عن ابن القيم، انظر: شرح الصدور، ص: ٢٢٤. وقال في أنيس الغريب:

وسلموا ردا على المسلم في أي يوم قاله ابن القيم

(٤) ينظر شرح الصدور، (باب: زيارة القبور)، ص: ٢٢٤.

(٥) البناية شرح الهداية، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، باب الجنائز، ١/ ١٠٧٣.

القول (٨٤): قال الإمام النووي في أقسام الزيارة أنها تكون حينا لحصول البركة، وزيارة أضرحة الأولياء من السنة، ولهم بركات وتصرفات كثيرة بالبرزخ، وستقف على ذلك، إن شاء الله تعالى.

القول (٨٥ - ٨٦): قال الشيخ المحقق في «أشعة اللمعات شرح المشكاة»: (لقد فسّر القاضي البيضاوي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١] أن صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة، فإنها تنزع عن الأبدان نزعاً شديداً، فتنبسط إلى عالم الملكوت، وتسبح فيه، فتسبق إلى حظائر القدس، فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات)[١].

القول (٨٧): قال العلامة النابلسي في «الحديقة الندية»: (كرامات الأولياء باقية بعد موتهم أيضا، ومن زعم خلاف ذلك فهو جاهل متعصب، ولنا رسالة في خصوص إثبات الكرامة بعد موت الولي)[٢].

القول (٨٨ - ٨٩): يقول شيخ مشايخنا، رئيس المدرسين بالبلد الأمين، مولانا جمال الدين بن عبد الله بن عمر المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاواه: (قال العلامة الغنيمي، وهو خاتمة محققي الحنفية: إذا كان مرجع الكرامات إلى قدرة الله تعالى، كما تقرَّرَ، فلا فرق بين حياتهم ومماتهم. إلى أن قال: قد اتفقت كلمات علماء الإسلام قاطبةً على أن معجزات نبينا ﷺ لا تنحصر؛ لأن منها ما أجراه الله تعالى، ويجريه لأوليائه من الكرامات أحياء وأمواتا إلى يوم القيامة)[٣].

القول (٩٠): وفيه نقلا عن شيخ الإسلام الشهاب الرملي: (معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم)[٤].

---

(١) ينظر:تفسير البيضاوي بحاشية محيي الدين شيخ زادة، ضبطه محمد عبد القادر شاهين، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ٨ / ٤٨٨.

(٢) الحديقة الندية، «كرامات الأولياء للأحياء والأموات»، ١ / ٢٩٣.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) لم نقف عليه.

القول (٩١ - ٩٢): نقل الإمام ابن الحاج في «المدخل» عن كتاب الإمام أبي عبد الله بن نعمان «سفينة النجاء لأهل الالتجاء في كرامات الشيخ أبي النجاء»: (تحقق لذوي البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار؛ فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم)[١].

القول (٩٣): قال الشيخ المحقق في «جامع البركات»: (إن للأولياء قوةً على الكرامات والتصرفات في الدنيا، وهذه القوة حاصلة لأرواحهم، ولمّا كانت الأرواح باقية بعد الموت فستبقى هذه القوة أيضا)[٢].

القول (٩٤): في كشف الغطاء: (إن أرواح الكاملين كانت تغيث أصحاب الحاجات بالكرامات والتصرفات في حياتهم لوجه القربة إلى الله. ولمّا كانت الأرواح باقيةً بعد الموت بالقربة والكرامة في جناب الباري، فمن الضروري أن تتصرف هذه الأرواح، كما كانت متصرفةً حين تعلّقها بالجسم في الدنيا، أو أكثر منها)[٣].

القول (٩٥ - ٩٦): في شرح المشكاة: (يقول أحد من المشايخ الكرام[٤]: «إنني رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم، كما كانوا يتصرفون في حياتهم الدنيوية، أو أكثر من ذلك، وهؤلاء هم: (١) الشيخ معروف الكرخي. (٢) وسيدنا عبد القادر الجيلاني. وعدَّ وليين آخرين[٥]، وليس قصده الحصر والاستقصاء، وإنما

---

(١) المدخل لابن الحاج، فصل في زيارة القبور، ١ / ٢٤٩.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) كشف الغطاء، مطبعة الأحمدي، دلهي، الفصل العاشر، زيارة القبور، ص: ٨٠.

(٤) يعني سيدي علي القرشي - قدس سره العزيز -كما روى عنه الإمام نور الدين أبو الحسن علي في «بهجة الأسرار» بسنده. (المؤلف).

(٥) وهما: الشيخ عقيل المنجي، والشيخ حياة ابن فتيس الحراني - قدس الله تعالى أسرارهما - كما في البهجة. (المؤلف).

ذكر ما شاهده»)[١].

الفصل العاشر: بركات الأولياء وفيوضهم:

ستبقى بركات الأولياء وفيوضهم في البرزخ أيضا، كما كانت في حياتهم الدنيوية شأنهم الإغاثة والإمداد إلى الخدام.

القول (٩٧): يقول الإمام الأجل عبد الوهاب الشعراني - قدس سره الرباني - في «ميزان الشريعة الكبرى»: (جميع الأئمة المجتهدين يشفعون في أتباعهم ويلاحظونهم في شدائدهم في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، حتى يجاوز الصراط)[٢].

وفيه قال الإمام الأجل: (قد ذكرنا في كتاب الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلديهم، ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه، وعند سؤال منكر ونكير له، وعند النشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف. ولما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما أجلسني المَلكان في القبر ليسألاني أتاهم الإمام مالك، فقال: مثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله! تنحيا عنه! فتنحيا عني... وإذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون أتباعهم، ومريديهم في جميع الأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة، فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض، وأركان الدين، وأمناء الشارع ﷺ على أمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)[٣].

الله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد.

(١) أشعة اللمعات، باب زيارة القبور، ١ / ٧١٥.

(٢) ميزان الشريعة الكبرى، مقدمة الكتاب، ١ / ٩.

(٣) الميزان الكبرى، فصل في بيان جملة من الأمثلة المحسوسة، ١ / ٥٣.

أقول:

حسبي من الخيرات ما أعددته يوم القيامة في رضى الرحمنِ

ديـن النبي محمـد خير الورى ثم اعتقـادي مذهـب النعمانِ

وإرادتـي وعقيدتـي ومحبتي للشـيخ عبد القادر الجيلانِ(١)

وأقول:

وي بخـاك رضـا شـدم گفتـم كه تو چوني كه ما چنان شده ايم

همـه روز از غمـت بفكر فضول همـه شـب در خيـال بيهـده ايـم

خبـري گو بمـا زتلخـي مـرگ گفـت ما جـام تلـخ كـم زده ايم

قادريـت بـكلام مـا كردنـد سنيِّت را گدائـي ميكـده ايـم

شـير بوديـم وشـهد افروزنـد مـا سـراپا حـلاوت آمـده ايـم(٢)

(يوما ذهبت إلى أرض الرضا، وقلتُ: ما حالك؟ ونحن نتفكر فيك ليلا ونهارا، فأخبرنا عن مرارة الموت؟ فقال: هذه كأس مريرة ذقناها قليلا، والقادرية كانت مشربنا، والسنية كانت موضع شربنا، وكنا حليبا، فأضيف عليه العسل، فأصبحنا حلاوة كلها).

الملاحظة: وهذا مما يبعثنا المقلّدين على الفرح والسرور، والمخالفين على الحزن والملول، ولكنه حاشا! لن يكون أحد مقلّدا باتباع الفروع، وإنما ينبغي الاتباع أولا في الأمور العقدية المهمّة، فمن خالف أئمة السلف في شيءٍ من ذلك فأنّى له الاتباع؟ كما يدعي كثير من المعتزلة بالحنفية، ومن الزيدية الروافض من يدّعي

(١) هذه أبيات قالها الإمام المؤلف بالعربية، وهذا يدل على تمكّنه من تقريض الشعر العربي، وله قصائد أخرى طويلة بالعربية، منها «قصيدتان رائعتان» طبعت في بغداد بتحقيق أستاذنا الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي رحمه الله، ومما يذكر أن الإمام كان متمكنا من التقريض في أربع لغات: الأردية، والعربية، والفارسية، والهندية على سواء.

(٢) هذه أبيات باللغة الفارسية، قالها الإمام المؤلف متخيلا بما سيلقاه في البرزخ باليقين. وهذا مما يدل على تبحره في هذه اللغة.

بالشافعية، ومن المجسّمة الموجهة من يدّعي بالحنبلية، فهل ترضى بهم أرواح الإمام الأعظم، والإمام الشافعي، والإمام أحمد - رضى الله عنهم- الطيّبة؟ كلّا! والله نسبة هؤلاء الضّالين كنسبة الرّوافض إلى الإمامية، والأئمة براء منهم. وكذلك حنابلة نجد، وأحناف الهند، الذين اخترعوا مذهبا جديدا،واتبعوا قرنا طريدا، ليسوا حنابلة، ولا أحنافا، بل هم حَبلى[١] وجنفى[٢].

لقد قال الفقير - غفر الله تعالى له - في «مجير أعظم» شرح قصيدتي «إكسير أعظم» بعد ذكر الفضائل للخدام القادرية، وشرح ما نأمل منهم: (إلا أن أصحاب الهوى، هؤلاء الذين يعني لديهم اتباع الهوى كمال التصوف، ورد الأحكام الشرعية شيء يمتازون بها، ويعدّون الأشياء الممنوعة سببا للوصول إلى الله، والأشياء المهلكة سببا للرياضة في هذه الطريقة، يصومون والصوم في ذمتهم، ويصلّون كأنهم لم يصلوا، ومع هذا كله يطمئنون، ولا يتفكرون، ولا يحاسبون. ولكنه مَن هؤلاء حتى نشتكي عنهم! فإنك ترى كبارهم يتجرأون بمخالفة ضروريات الدين، ثم يدعون الإسلام، ويضحكون على عقيدته. والله! ليسوا هؤلاء قادريين، ولا جشتيين [٣]، بل هم غادريون[٤]، وزشتيون. اللّهم أبعدنا عن ظلمهم.

ولنفرض أن جماعةً من المنكرين يتقلدون الأئمة في الفروع، مع هذا لا تتوجه إليهم أرواح الأئمة؛ وذلك لاعتقادهم أن أرواح السابقين أمثال الجماد يستحيل منها الإمداد، ويقولون إن الاستمداد بهم شرك، فكيف يستحق هؤلاء أن تتوجه إليهم أرواح الأئمة؟ إذ السنة الإلهية أن يُحرمَ المُنكِر من الفضائل، يقول الله تعالى في

---

(١) حبل بفتحتين بمعنى الغضب. (المؤلف).

(٢) جنف بفتحتين بمعنى الجزر. (المؤلف).

(٣) نسبة إلى الطريقة الجشتية التي راجت في الهند بجهود الشيخ معين الدين الأجميري (نور الله مرقده).

(٤) صرَّف الكلمة إلى معنى الغدر بتبديل القاف بالغين، لِما يتصف هؤلاء بالغدر والخيانة، فإنهم يدعون بالقادرية، ويخالفون الأسلاف في الأمور العقدية المهمة.

الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي). رواه البخاري [١].

فلمّا كان الإمداد أمرا مستحيلا في نظرهم فلا يكون في حظّهم سوى الحرمان، قال:

.... بر تو حرام است حرامت بادا

(لو كان حراما عندك، فليبق حراما عليك).

يقول الرسول ﷺ في الحديث المتواتر: (شفاعتي يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها)[٢]. رواه ابن منيع عن زيد بن أرقم [٣]، وبضعة عشر من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. اللهم شرفنا بشفاعتهم في الدنيا والآخرة. (آمين اللهم آمين).

القول (٩٨ - ١٠٠): يقول الإمام الغزالي - قدس سره العالي - والشيخ المحقق، ثم شيخ الإسلام، واللفظ لشرح المشكاة: (يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: من جاز له الاستمداد في حياته، يجوز بعد مماته أيضا)[٤].

القول (١٠١ - ١٠٢): قال الإمام ابن حجر المكي، والشيخ في شروح المشكاة: (إن الصالحين يمدون من يزورهم بلا حساب حسب ما يتأدب لهم الزائر)[٥].

القول (١٠٣): قال الإمام العلامة التفتازاني في شرح المقاصد بعد أن حقق

---

(١) صحيح البخاري، مطبوعة المكنز، كتاب التوحيد، باب قول الله: «ويحذركم الله نفسه»، رقم الحديث: (٧٤٩٤)، ٣ / ١٤٩٤.

(٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، رقم الحديث: (٤٨٩٦)، ٢ / ٣٠١.

(٣) هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: صحابي. غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتوفي بالكوفة سنة ٦٨هـ. له في كتب الحديث ٧٠ حديثا. (ينظر: الأعلام للزركلي، ٣/ ٥٦).

(٤) أشعة اللمعات، باب زيارة القبور، ١ / ٧١٥.

(٥) المصدر نفسه، ١ / ٧٢٠.

إدراك الموتى عند أهل السنة: (ولهذا ينتفع بزيارة قبور الأبرار، والاستعانة من نفوس الأخيار)[١].

القول (١٠٤- ١٠٥): في «رد المحتار» نقلا عن الإمام الغزالي: (إنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم)[٢].

القول (١٠٦): يقول الإمام ابن الحاج المكي في «المدخل»: (إن كان الميت المزار ممن تُرجى بركته، فيتوسل إلى الله تعالى به، يبدأ بالتوسّل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ؛ إذ هو العمدة في التوسّل، والأصل في هذا كله، والمشروع له، ثم يتوسل بأهل تلك المقابر، أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه، ومغفرة ذنوبه، ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه تعالى اجتباهم، وشرَّفهم، وكرَّمهم، فكما نفع بهم في الدنيا، ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجةً، فليذهب إليهم، ويتوسّل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرر في الشرع، وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر، كابراً عن كابر، مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حساً ومعنىً)[٣].

القول (١٠٧- ١٠٩): قال الشيخ في «أشعة اللمعات»: (يقول سيدي أحمد بن زروق، وهو من أعظم فقهاء الديار المغربية وعلمائها ومشايخها: إنه سألني الشيخ أبو العباس الحضرمي يوما، أيُّ إمداد أقوى، إمداد الأحياء أم إمداد الأموات؟ فقلت: إن بعض الناس يجعل إمداد الأحياء أقوى، وأما أنا فأقول: إن إمداد الأموات هو الأقوى. فقال الشيخ: نعم لأنه حاضر في جناب الله. قال: وقد نقل الكلام عن الصالحين بهذا المضمون إلى حد لا يُعدّ ولا يُحصَى، ولا نصَّ في الكتاب والسّنة وأقوال السلف الصالح ينافيه أو يرده)[٤].

---

(١) شرح المقاصد، المبحث الرابع «مدرك الجزئيات»، ٢ / ٤٣.

(٢) ينظر: رد المحتار، كتاب الصلاة، باب: صلاة الجنازة، مطلب في زيارة القبور، ٣ / ١٥٠.

(٣) المدخل لابن الحاج، فصل في زيارة القبور، ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) أشعة اللمعات، باب زيارة القبور، ١ / ٧١٦.

القول (١١٠): وفيه: (كثير من الناس استفادوا الفيوض والفتوح بالأرواح، وتطلق على هذه الجماعة في اصطلاحهم «الأويسيون»)[١].

القول (١١١ - ١١٢): نقل شيخ الإسلام عن الإمام فخر الدين الرازي: (لما يأتي أحد لزيارة قبر، فيصبح تعلق خاص بين الزائر وصاحب القبر، ثم يكون بينهما ربط خاص وملاقاة معنوية، فإن كان صاحب القبر صاحبَ قوة أكثر منه، فالزائر يستفيد به، وإن كان عكس ذلك، فصاحب القبر هو الذي يستفيد بالزائر)[٢].

القول (١١٣ - ١١٤): ينقل مولانا الجامي - قدس سره السامي - عن حضرة سيدي الإمام الأجل علاء الدولة السمناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سأله فقير، وقال: لما كان جسم الميت في داخل القبر لا يدرك شيئا، وإنما الإدراك للروح، ولا حجاب في عالم الأرواح، فما فائدة الذهاب إلى القبر، بل تتوجه روح الصالح إلى الطالب من حيث دعاها؟ فأجاب الشيخ: فيه فوائد كثيرة، منها: أن الزائر كلّما يتقدّم إلى القبر يزداد التفاته، ولما يصل القبر فيشاهد قبره بالحواس، وهكذا يتوجه إليه بكل ظاهره وباطنه مما تفيض عليه الفيوض أكثر فأكثر. وثانيا: أنه وإن لم يكن هناك حجاب للأرواح، والعالم كله سواء لها، مع ذلك يكون لها التعلق بهذا المقام أكثر [٣].

القول (١١٥ - ١١٦): جاء في فتاوى السيد جمال المكي نقلا عن الإمام شهاب الدين الرملي: (للأنبياء والرسل والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم)[٤].

---

(١) المصدر نفسه، باب زيارة القبور، ١ / ٧١٥.

(٢) كشف الغطاء، الفصل العاشر، باب في زيارة القبور، ص: ٨٠.

(٣) ينظر: «نفحات الأنس» للشيخ العارف بالله عبد الرحمن الجامي، ترجمة: أبو المكارم ركن الدين علاء الدين السمناني، مطبوعة طهران، ص: ٤٤٠.

(٤) لم نقف عليه.

الفصل الحادي عشر: سلام القبور دليل قطعي على سماع الموتى:

القول (١١٧): يقول عز الدين بن عبد السلام في أماليه: (ولأنا أمرنا بالسلام على القبور، ولولا أن الأرواح تدرك، لَما كان فيه فائدة)[١].

القول (١١٨): قال الإمام ابن عبد البر: (أحاديث زيارة القبور، والسلام عليها، وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك)[٢].

القول (١١٩): نقل في «شرح الصدور» مثل القولين السابقين: (قد شرع ﷺ لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلامَ من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل)[٣].

القول (١٢٠): يقول الإمام العلامة النووي في المنهاج ناقلا قول الإمام القاضي عياض عن سماع الموتى: (هو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور)[٤].

القول (١٢١): نقل العلامة المناوي دليلا على ذلك فقال: (فإن السلام على من لا يشعر محال)[٥].

القول (١٢٢): استدل الشيخ المحقق على سلام الأموات بالحديث، وقال: إنه ليس من المعقول أن يوجه الخطاب إلى من لا يسمع، ولا يدرك، ولا يعقل، بل يعدُّ عبثا، كما قال سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه [٦].

---

(١) ينظر: شرح الصدور، (باب: مقر الأرواح)، ص: ٢٤٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، (باب: مقر الأرواح)، ص: ٢٣٩.

(٣) نقله الإمام السيوطي من كلام ابن القيم، ينظر: شرح الصدور، (باب: زيارة القبور)، ص:٢٢٤.

(٤) المنهاج للنووي شرح صحيح مسلم، مطبوعة كراتشي، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار، ٢ / ٣٨٧.

(٥) التيسير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٤٢٠.

(٦) مدارج النبوة، فصل في سماع الموتى، ٢/ ٩٥.

القول (١٢٣): يقول مولانا علي القاري عن سلام الزيارة في «شرح اللباب»: (من غير رفع صوت ولا إخفاء بالمرة لفوت السماع الذي هو السنة)[١].

الفصل الثاني عشر: أنواع أخرى من الكلام مع أهل القبور:

القول (١٢٤ - ١٢٧): جاء في «المنسك المتوسط»، و«المسلك المتقسط»، و«الاختيار» شرح «المختار»، و«الفتاوى الهندية»، واللفظ للأخيرين فإنه أبسط، أن يحاذي قبر أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد زيارة النبي ﷺ ويقول: (جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماما عن أمة نبيِّه، ولقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهّدت الإسلام، ووصلت الأرحام، ولم تزل قائلا للحق، ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين)[٢].

ثم يحاذي قبر سيدنا عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول: (جزاك الله عنا أفضل الجزاء، ورضي الله عمن استخلفك، فقد نصرت الإسلام والمسلمين حيا وميتا، فكفلت الأيتام، ووصلت الأرحام، وقوي بك الإسلام، وكنت للمسلمين إماما مرضيا وهاديا مهديا، جمعت شملهم، وأغنيت فقيرهم، وجبرت كسيرهم)[٣].

ومثلها تصريحات كثيرة في كتب المناسك.

القول (١٢٨ - ١٣٠): يقول الإمام الخطابي عن التلقين: (لا بأس به؛ إذ ليس فيه إلا ذكر الله تعالى، وعرض الاعتقاد على الميت. إلى قوله: وكل ذلك حسن). نقله القاري في المرقاة [٤]. وكذلك في ذيل «مجمع البحار» [٥].

---

(١) المسلك المتقسط مع إرشاد الساري، باب زيارة سيد المرسلين، ص: ٣٣٨.

(٢) الفتاوى الهندية، كتاب المناسك، باب النذر بالحج، مطلب في زيارة النبي ﷺ، ١ / ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ٢٩٣.

(٤) مرقاة المفاتيح، باب: إثبات عذاب القبر، حديث: (١٣٣)، ١ / ٣٢٧.

(٥) تكملة مجمع البحار، مطبعة نولكشور، لكناؤ، ص: ٢٥.

وحسبنا الله العزيز الغفور، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله، وصحبه إلى يوم النشور.

الفصل الثالث عشر: تلقين الميت بعد التدفين وتذكيره العقائد الإسلامية

سيذكر في هذا الفصل تلقين الميت وتذكيره العقائد الإسلامية بعد الدفن. وإن هذا الفصل صنف من الفصل الثاني عشر؛ إذ فيه أيضا سلام الميت وكلامه، كما لا يخفى. واقتصر هنا بذكر أقوال الأحناف دون الشوافع؛ لأنهم جميعا يقولون بتلقين الميت، إلا من شاء الله.

القول (١٣١ - ١٣٣): لقد صرّح الإمام زاهد الصفار في كتابه المستطاب «تلخيص الأدلّة» بأن تلقين الموتى مما سلك عليه أهل السنة، ومنعُه مما درج عليه المعتزلة؛ لأنهم يعدون الأموات جمادا، فقد نقل الإمام الحاكم الشهيد في «الكافي»، والإمام الخبازي في «الخبازية» عنه: (أن هذا (أي: منع التلقين) على مذهب المعتزلة؛ لأن الإحياء بعد الموت عندهم مستحيل، أما عند أهل السنة فالحديث: (لقّنوا موتاكم: «لا إله إلا الله»)[1]، محمول على حقيقته؛ لأنّ الله تعالى يحييه على ما جاءت به الآثار، وقد روي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه أمر بالتلقين بعد الدفن)[2]. ذكره في رد المحتار عن معراج الدراية.

القول (١٣٤ - ١٣٥): في «الدر المختار» نقلا عن «الجوهرة النيرة»: (أنه مشروع عند أهل السنة)[3].

القول (١٣٦): في «النهاية» شرح الهداية: (كيف لا يفعل، وقد روي عنه - عليه

---

(١) رواه أبو داود في سننه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الجنائز، الباب: ٢٠، رقم الحديث: ٣١١٩، ٢ / ٥٤٢.

(٢) رد المحتار نقلا عن الخبازية، كتاب الصلاة، باب: صلاة الجنازة، مطلب في التلقين بعد الموت، ٣/ ٨٠.

(٣) الدر المختار مع رد المحتار، كتاب الصلاة، باب صلاة الجنائز، ٣ / ٨١.

الصلاة والسلام - أنه أمر بالتلقين بعد الدفن)[١]. ومرَّ بنا قوله في الفصل الثامن أن التلقين عند أهل السنة على حقيقته.

القول (١٣٧- ١٣٨): قال الإمام الأجل شمس الأئمة الحلواني: (لا يؤمر به، ولا ينهى عنه). نقله في النهاية وغيرها [٢]. وقال في الحلية عقب نقل قوله: (ظاهره أنه يباح)[٣].

القول (١٣٩): قال الإمام فقيه النفس قاضيخان: (إن كان التلقين لا ينفع لا يضر أيضا فيجوز). أثره المذكوران [٤]. ومن الظاهر أن نفي النفع على سبيل التنزل.

القول (١٤٠ - ١٤٣): يقول صاحب «الغياث»: (إني سمعت أستاذي قاضي خان أنه يحكي عن الإمام ظهير الدين أنه لقَّنَ بعض الأئمة، وأوصاني بتلقينه، فلقَّنتُه، فيجوز)[٥]. نقله في شرح النقاية.

هكذا نقله صاحب «الحقائق» عن صاحب «الغياث» مصرّحا بأن هذا التلقين كان بعد الدفن[٦]، كما في الحلية، ويقول الإمام ابن أمير الحاج بعد أن كتب عبارة «الحقائق»: (يفيد أن فعله راجح على تركه). ثم يستدل على ذلك بالحديث، ويستشهد بأقوال الأئمة المحدثين من أمثال الإمام أبي عمرو بن الصلاح، ويقويه بأعمال علماء الشام الأقدمين، كما عرضناه في المقصد الثاني.

---

(١) البداية شرح الهداية، باب الجنائز، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص: ١٠٧٣.

(٢) المصدر نفسه، باب الجنائز، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص: ١٠٧٣.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) أي نقله: صاحب النهاية، وصاحب الحلية، ينظر: البداية شرح الهداية، باب الجنائز، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص: ١٠٧٣.

(٥) ينظر: جامع الرموز، المكتبة الإسلامية، إيران، فصل في الجنائز، ١ / ٢٧٨.

(٦) هذا المعنى مستفاد من لفظة «أوصاني»، إلا أنه فيه صراحة أكثر بأنه لقَّنَ بعض الأئمة بعد دفنه، وأوصاني بتلقينه، فلقنته بعد ما دُفِنَ. (المؤلف).

القول (١٤٤ و ١٤٥): وفي المضمرات: (نحن نعمل بهما عند الموت، وعند الدفن). نقله في الهندية[(١)].

القول (١٤٦): وفي ذيل مجمع البحار: (اتفق كثير على التلقين)[(٢)].

القول (١٤٧): في نور الإيضاح: (تلقينه في القبر مشروع)[(٣)].

القول (١٤٨ - ١٤٩): نقل العلامة الطحطاوي في حاشية «الدر المختار» عن كتاب «التجنيس والمزيد»: (التلقين بعد الموت فعلَه بعضُ مشايخنا)[(٤)].

القول (١٥٠ - ١٥٢): في «جامع الرموز» نقلا عن «الجواهر»: (سئل القاضي مجد الدين الكرماني عنه، قال: ما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وروى في ذلك حديثين)[(٥)].

القول (١٥٣): نقل العلامة الطحطاوي في حاشية «مراقي الفلاح» عن العلامة الحلبي: (كيف لا يفعل مع أنه لا ضررَ فيه، بل فيه نفع للميت)[(٦)].

القول (١٥٤): قال صاحب «كشف الغطاء»: (الحاصل أن التلقين مناسب، حسب مذهب أهل السنة والجماعة). ثم نقلَ قول الإمام الصفار: (في مذهب الإمام الأعظم لا بأس بالتلقين، فإنه مناسب. والذي يتركه وينكره، فهو يتبع مذهب المعتزلة، الذين يعتقدون عن الميت أنه جماد، ويقولون إن الروح لا تعود إلى القبر مرة أخرى).

---

(١) ينظر: الفتاوى الهندية، الباب الحادي والعشرون في الجنائز، الفصل الأول، ١ / ١٧٣.

(٢) تكملة مجمع بحار الأنوار، نولكشور، لكناؤ، ص: ٢٥.

(٣) نور الإيضاح للعلامة أبي الإخلاص حسن بن عمار الشُرُنبلالي (٩٩٤هـ - ١٠٦٩هـ/ ١٥٨٥م - ١٦٥٩م)، مطبوعة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مباركفور، أعظم جراه،باب أحكام الجنائز، ص: ١٣٧.

(٤) حاشية الطحطاوي على الدر المختار، باب أحكام الجنائز، ١ / ٣٦٤.

(٥) جامع الرموز، فصل في الجنائز، ١ / ٢٧٩.

(٦) حاشية الطحطاوي على «مراقي الفلاح»، باب أحكام الجنائز، ص: ٣٠٦.

وبعد نقل هذه العبارة، يقول: (وأما ما قيل في الكافي: «إن الميت لا يخلو إما أن يكون قد مات على إسلامه، فهو لا يحتاج إلى التلقين، وإن مات على الكفر فلا فائدة منه». فإن هذا القول غير كاف؛ لأن الإنسان في حاجةٍ إلى تثبيت القلب مع إسلامه، كما ورد في الحديث أنه ﷺ كان يقول بعد الدفن: «استغفروا لأخيكم، وادعوا له الثبات؛ لأنه الآن في حالة السؤال»)[1].

القول (١٥٥)-(١٥٦): إن العلامة الزيلعي نقل في «تبيين الحقائق» ثلاثة أقوال: أولا: الاستحباب، ثانيا: الجواز، وثالثا: المنع، ثم اختار الاستحباب، وأقام عليه الدليل، ولا شك أن هذا الاختيار ممّا يعول عليه، قال العلامة الآفندي في «مغني المستفتي عن سؤال المفتي»، وقال: هو المرجح؛ إذ هو المحلّى بالتعليل، ولهذا يقول العلامة الشامي الآفندي في «التبيين» بعد نقل هذا الكلام: ظاهر استدلاله للأول اختياره[2].

وعلاوة على ذلك اختيار العلامة الشامي دليل على الجواز والاستحباب، حيث نقل ظاهر الرواية عن «عدم التلقين» عن «معراج الدراية»، ثم نقل قول الإمام الصفار عن «معراج الدراية» نفسه، نقلا عن «الكافي»، و«الخبازية»، ثم استند إلى «الفتح»، وقال: إن صاحبه أيّد كثيرا أن يحمل حديث التلقين على الحقيقة. ثم استشهد من «الغنية» أنه هناك تجوز في الحديث، ولكنه لا يمنع من التلقين، لما فيه من فائدة للميت، ثم استظهر من كلام الزيلعي، وسلّمَ بمشروعية التلقين، الذي قال عنه الشارح إنه قول أهل السنة. والله تعالى أعلم.

نكتة جليلة في تتميم الكلام وإزالة الأوهام:

أقول - وبالله التوفيق، وبه الوصول إلى ذرى التحقيق-: إن الطائفة الجديدة تُقدِّم أقوال المنع من التلقين على سبيل التلبيس والمغالطة، والأمر أنه جهالة محضة. ولسنا

(١) ينظر: كشف الغطاء، فصل أحكام الدفن، ص: ٥٧.

(٢) ينظر: ردّ المحتار، كتاب الصّلاة، باب: صلاة الجنازة، مطلب في التلقين بعد الموت، ٣/ ٨١.

هنا في البحث عن نفس مسألة «التلقين»، بل نريد أن نقول هنا إن العلماء المجوّزين سلّموا بإدراك الموتى وسماعهم. وهذا الأمر ثابت بالأقوال المذكورة على وجه اليقين، فلينظروا نظرةً غائرةً أن الأئمة لم يجوّزوا إلا التلقين، وتدري ما هو التلقين، وما هو معناه؟ فإنه ليس ذلك إلا هو عبارة عن التفهيم والتذكير، كما في حاشية الطحطاوي على المراقي.

فليسألوا عاقلا بأنه هل يليق التذكير والتفهيم بالجماد والجدار أو بالسامع المدرك النبيه؟! فإنه يعلم كلُّ صبي أن التفهيم والتذكير لا يتصوّران إلا للمخاطب العاقل، ومن يعتقد التذكير والتفهيم لرجل لا يفهم ولا يعقل، فهو مجنون وجاهل، ولهذا وجب أن الأئمة والعلماء الذين قالوا باستحباب التلقين، أو جوازه سلّموا بأن الأموات تسمع كلام الأحياء بعد الدفن أيضا، وهذا هو الذي كان المقصود.

أمّا أقوال المنع فإنها لن يفيد المخالف أيضا، كما لا يضرنا؛ وذلك لأن أسباب ترك التلقين لا تنحصر في إنكار السمع والفهم، حتى يفهم منه عبثا أنه مَن لا يقول بتلقين الميت لا يسلِّمُ بسماع الموتى وإدراكهم! فهل لا يمكن أن تكون علة ترك التلقين عدم إثباته عند البعض، كما في الحلية: (نصَّ الشيخ عز الدين بن عبد السلام على أنه بدعة)[1].

فلتنظروا! أن الإمام عز الدين الشافعي لم يجوّز تلقين الميت؛ لأنه كان عنده من البدعة، مع أنه هو القائل: لو لم يدرك الموتى كلامَنا، لكان التسليم على أهل القبور عبثا، بلا جدوى، كما مرَّ بنا قوله في رقم (١١٧).

وكذلك من الممكن أن يكون من أسباب منعِ التلقين عنده عدم الفائدة؛ وذلك بأن الميت انتقل بالإسلام، فهو يكفيه، ويجيب بتوفيق الله جوابا صحيحا، قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ومن كان من قسم آخر (عياذا بالله) فلا فائدة له من ذلك.

---

(١) لم نعثر عليه.

وانظر! إن الإمام حافظ الدين النسفي أنكرَ تلقين الميت في «الكافي» شرح «الوافي» بناءً على هذا، حيث قال: (ولقِّنَ الشهادة لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «لقنوا موتاكم: شهادة أن لا إله إلا الله». وأريد به قرب من الموت. وقيل هو مجرىً على حقيقته، وهو قول الشافعي؛ لأنه تعالى يحييه. وقد روى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر بتلقين الميت بعد دفنه. وزعموا أنه مذهب أهل السنة، والأول مذهب المعتزلة، إلا أن نقول: لا فائدة بالتلقين بعد الموت؛ لأنه إن مات مؤمناً فلا حاجة إليه، وإن مات كافرا فلا يفيد التلقين)[١].

ولقد أجاب العلماء بجوابٍ كافٍ على هذه الشبهة بأنْ قالوا إننا نختار الشقَّ الأول، يعني الموت على الإيمان. وأمّا القول بأنه لا يحتاج إليه، فغير مسلَّم به؛ وذلك لأن المقام مقام الخوف والدهشة، فبتذكيرنا، وبذكر الله يثبت قلب الميت، ويقوى، وتنشكف عنه غيوم الدهشة، فقد قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولهذا كان النبي ﷺ يأمر بعد الدفن بالدعاء للميت أن يثبت الله قلبه؛ لأنه في حالة السؤال[٢]، كما مرَّ بنا كلامُ شيخ الإسلام في المقصد الأول، القول (١٥٤).

ويقول العلامة الشرنبلالي في مراقي الفلاح: (نفيُ صاحبِ الكافي فائدتَه مطلقا، ممنوعٌ (بأن فيه فائدة التثبيت للجنان) نعم الفائدة الأصليّة (وهي تحصيل الإيمان في هذا الوقت) منتفية، ويحتاج إليه لتثبيت الجنان للسؤال في القبر)[٣].

ومرَّ بنا آنفا جوابُ العلامة إبراهيم الحلبي في هذا المقصد بأنه في التلقين فائدة للميت، وذلك هو اطمئنان قلبه بذكر الله.

يقول الفقير - غفره الله تعالى -: إنه لو صحَّت مثل هذه الهتافات عن عدم الفائدة بأن المراد بالقدر الإلهي هو الحصول تلقائيا، لذهبَ الدعاء، والدواء، وجميع سبل

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) مشكاة المصابيح نقلا عن أبي داود، باب «إثبات عذاب القبر»، ص: ٢٦.

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، باب أحكام الجنائز، ص: ٣٠٧.

الأسباب، أدراج الرياح مهملةً معطلةً!

وبالتالي لما اتضح أن التلقين بدون سماع الميت، وفهمه، وإدراكه مستحيل، ولا ينحصر إنكاره في نفي السماع للموتى، فثبت أن أقوال الجواز دلائل ساطعة على مذهبنا، وأقوال المنع لا تضرنا أصلا. إذن ماذا يقال عمن يقدِّم أقوال المنع هذه مقابل أقوال الإثبات؟ فأية سفاهةٍ هذه!

وهذه من شطارتهم القديمة أنّهم يأتون بالأقوال المختلفة فيها دون الشعور بموضع الاختلاف، وعدم النظر إلى محل الاستشهاد، وبفقدان الفهم بمناسبة الحال، فلا يدركون أنه هل يستلزم إنكار السبب إنكار المسبب؟! والله! إن سلامة العقل لهي ثروة عظيمة، يفضل الله بها من يشاء، وبالله التوفيق. ولتحفظ هذه النكتة لِما فيها من فائدة جليلة بأن تكشف بها شطارة المخالفين، والله الهادي.

فائدة جميلة في تنقيح مسألة التلقين

أقول - وبالله التوفيق:

وإليك المزيد حول بحث «التلقين» هذا، وهو أنه ولو جاء في ظاهر الرواية أنه لا يُلقَّنُ، أو هو عملٌ غير مشروع، مع ذلك لا يتعين منعُه ولا عدمُ جوازه. ألم تسمع ما نقله الإمام المجتهد برهان الدين محمود في «الذخيرة» برواية الإمام، محرر المذهب، محمد بن الحسن عن إمام الأئمة مالك الأزمة حضرة الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سجدة الشكر غير مشروعة. وقرَّرَ العلماءُ معناه بعدم الوجوب، كما في الأشباه: (سجدة الشكر جائز عند أبي حنيفة - رحمة الله تعالى عليه - لا واجبة. وهو معنى ما روي عنه أنها ليست مشروعةً، أي: وجوبا)[١]. وأقرَّه عليه العلامة السيد الحموي في «غمز العيون»، والسيدان الفاضلان: أحمد الطحطاوي، ومحمدالشامي في حواشي الدر.

وقال في فتاوى الحجة: (عندي أن قول الإمام محمول على الإيجاب، وقول

---

(١) الأشباه والنظائر، إدارة القرآن، كراتشي، «ما افترق فيه سجود التلاوة»، ٢ / ٦٤٧.

محمد على الجواز والاستحباب، فيعمل بهما لا يجب بكل نعمة سجدة شكراً، كما قال أبوحنيفة، ولكن يجوز أن يسجد سجدة الشكر في وقتٍ سرّ بنعمة، أو ذكر نعمة فشكرها بالسجدة، وأنه غير خارج عن حد الاستحباب)[١]. نقله في حاشية المراقي، وقبله الحلبي في الغنية.

وقال في نفس «الذخيرة»: (لا يتعوذ التلميذ، إذا قرأ على أستاذه)[٢]. ونقله صاحب «الدر المختار» ثم قال: (أي: لا يسن)[٣]. وقال في «النهر»: (ليس ما في الذخيرة في المشروعية وعدمها، بل في الاستنان وعدمه)[٤].

وكذلك نُقِلَ عن أئمتنا في العقيقة أنه لا يُعقُّ عن الغلام، فالعلماء يقولون إن معناه نفي الوجوب والاستنان، والإباحة ثابتة، في فتاوى الخلاصة: (لا يعق عن الغلام، وعن الجارية. يريد أنه ليس بواجب، ولا سنة، لكنه مباح)[٥].

وكذلك ذُكر في عامة الكتب، مثلا في «الهداية»، و«الوقاية»، و«النقاية»، و«البدايع»، و«المنية»، و«الملتقى»، و«التنوير»، و«الجوهرة»، وغيرها، قولُ الإمام الأعظم والإمام أبي يوسف - رحمهما الله تعالى - عن قراءة «بسم الله» بين الفاتحة والسورة، بلفظ: (لا يأتي، ولا يسمي). ثم صرَّح المحققون أن المراد به هو نفيُ السنة خلافا للإمام محمد، فإنه قال بالسنة. وأمّا المنع والكراهة، فهو ليس ممّا ذهب إليه أحد. فالقراءة أفضل بالإجماع، كما هو واضح في «الذخيرة»، و«المجتبى»، و«البحر»، و«النهر»، وحاشية الدرر للعلامة الشرنبلالي، وشرح العلائي، وحواشي

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص: ٢٧٢.

(٢) الدر المختار مع رد المحتار، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، ٢ / ١٩١.

(٣) المصدر نفسه، ٢ / ١٩١.

(٤) رد المحتار نقلا عن النهر الفائق، باب صفة الصلاة، ٢ / ١٩١.

(٥) خلاصة الفتاوى، المكتبة الحبيبية، كوئتا، كتاب الكراهية، الفصل التاسع في المتفرقات، ٤ / ٣٧٧.

الشامي، والطحطاوي، وغيرها.

قال العلامة الغزي التمرتاشي[١]: (لا بين الفاتحة والسورة). فعلّق عليه المحقّق العلائي قائلا: (تضاف لفظة: «تُسن» بعد «لا»). ثم قال: (ولا تُكره اتفاقا)[٢]. وقال الطحطاوي: (بل لا خلاف في أنه لو سمى لكان حسنا)[٣]. وفي البحر الرائق: (الخلاف في الاستنان، أما عدم الكراهة، فمتفق عليه، ولهذا صرَّحَ في «الذخيرة»، و«المجتبى» بأنه إن سمَّى بين الفاتحة والسورة كان حسنا عند أبي حنيفة)[٤].

وقد سمعتَ قول الإمام الصفار أن التلقين مناسب في مذهب الإمام. وهذا الإمام العلّام تلميذ للصاحبين بواسطتين فقط، استفاد بالإمام نصير بن يحيى، وهو عن ابن سماعة عن أبي يوسف. والنصير عن أبي سليمان الجوزاني، وهو عن الإمام محمد، ولهذا ممّا يجزم به القول أن هذا الإمام أعرف بمذهب الإمام، وأعرف بمعنى ظاهر الرواية. وأكثر منه وضوحا قولُه الذي أوضح فيه أن التلقين ممّا ذهب إليه أهل السنة، ومنعُه مذهب المعتزلة.

وممّا لا ريبَ فيه أن اختلاط هذه الفرقة الضالة بمذاهب المشايخ، واندراج أقوالها وتخريجاتها في منقولات المذهب، أدَّى إلى الزلّة الشديدة، حتى يلتبس أحيانا على مَن له بصيرة وخبرة. وبالله العصمة.

خذ مثلا قول بشر المريسي المعتزلي الذي تفوَّه: «أنه لو قال أحد: «والرحمن لا

(١) هو صالح بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب، الغزي، التمرتاشي، الفقيه الحنفي، ولد سنة ٩٨٠هـ، وتوفي سنة ١٠٥٥هـ. من تصانيفه: «العناية في شرح النقاية»، و«زواهر الجواهر النضائر على الأشباه والنظائر» في الفقه الحنفي، و«أبكار الأفكار وفاكهة الأخيار»، وغيرها. (ينظر: معجم المؤلفين، ١/ ٨٣٣).

(٢) الدر المختار مع رد المحتار، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، ٢ / ١٩٢.

(٣) حاشية الطحطاوي على الدر المختار، باب صفة الصلاة، ١ / ١٧٥.

(٤) البحر الرائق، مطبوعة كراتشي، فصل وإذا أراد الدخول، ١ / ٣١٢.

أفعل كذا»، فإن أراد به السورة فلا يكون يمينا»[١]. فقد نقله صاحب «الولوالجية»، و«الخلاصة»، وغيرهما كأنه هو المذهب، مع أنه قول ذلك المعتزلي، الذي يتصادم مع المذهب المهذب للأئمة الكرام كليا، كما حقّقه في «البحر الرائق»[٢]، وقال في «الرد المحتار»: (لأن هذا التفصيل في الرحمن قول بشر المريسي)[٣].

وكذلك اشتبه على العلامة زين بن نجيم المصري في مسألة الذبيحة، فعلّق عليه العلامة سيد أحمد الحموي، وقال: (مبناها على الاعتزال الصريح، والعجب أن المصنف لم يتفطن له مع ظهوره من القنية)[٤].

وبالتالي هذه هي حال الروايات، وأمّا الدراية فكما لاحظتَ في المقصد الثاني أنه ورد عن النبي ﷺ حديث حسَّنه الإمام ابن الصلاح، والإمام ضياء، والإمام ابن حجر، وابن أمير الحاج، وصاحب المجمع، وجعلوه قويا بالشواهد والعواضد. وإضافةً إلى ذلك أخرجت في هذا الباب أقوال سيدنا الإمام أبي أمامة الباهلي الصحابي، والراشد، وضمرة، والحكيم، وغيرهم من التابعين. وعلى ذلك كلّه لم يثبت عن الصحابة الكرام خلاف ذلك. فمع هذا كلّه كيف يستقيم رفض قول الصحابي على الأصول الحنفية، وتقليد الصحابي[٥] مذهب إمامنا المعروف؟!

---

(١) رد المحتار، كتاب الأيمان، مطلب في الفرق بين السهو والنسيان، ٤ / ٤٨٢.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للنسفي أبي البركات، حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود الحنفي (ت: ٧١٠هـ)، تأليف: العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم الحنفي (ت: ٩٢٠هـ)، حقّقه وعلق عليه: أحمد عز وعناية الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ٤ / ٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣ / ٥٥.

(٤) غمز عيون الأبصار شرح الأشباه والنظائر، إدارة القرآن، كراتشي، كتاب الصيد والذبائح، ٢/١٠٦.

(٥) ويقول مولانا علي القاري في «المرقاة» شرح المشكاة، كتاب الصلاة، باب الخطبة: (قول الصحابي حجة، فيجب تقليده عندنا، إذا لم ينفه شيء آخر من السنة). أقول: وهذا لا يختص بقول الصحابي، فإن كل دليل يترك لدليل أقوى منه). (المؤلف).

نقل عن الإمام أبي مطيع البلخي في «ميزان الشريعة الكبرى»: (قلتُ للإمام أبي حنيفة - رضي الله تعالى عنه - أرايتَ لو رأيتَ رأيا، ورأى أبو بكر رأيا، أكنت تدع رأيك لرأيه؟ فقال: نعم. فقلت له: أرأيت لو رأيت رأياً، ورأى عمر رأيا، أكنتَ تدع رأيك لرأيه؟ فقال: نعم. وكذلك كنتُ أدع رأيـي لرأي عثمان، وعلي، وسائر الصحابة، ما عدا أبا هريرة، وأنس ابن مالك، وسمرة بن جندب)[١].

بل العلامة ابن أمير الحاج يقول في الحلية: (أنه لو روي قول لصحابي في مسألة مّا، ولم يؤثر خلافه عن صحابي، يكون هذا القول مجمعاً عليه، حيث قال: (الصحيح قولنا لما روي عن علي - رضي الله تعالى عنه - أنه قال في مسافر جنب يتأخر إلى آخر الوقت، ولم يرو عن غيره من الصحابة خلافه، فيكون اجماعا))[٢].

على كلٍّ، فإن كان الإنكار بِناءً على عدم ثبوته، فالثبوت حاضر، وإن كان بِناءً على نفي النفع، فالنفع ظاهر. إذن لا ينبغي إنكارُ سماع الموتى وإدراكهم، إلا على أصول المعتزلة، ولهذا قال بحر العلوم: إن إنكار التلقين بِناءً على أن الميت لا يسمع، مذهب باطل، كما سيأتي نقله، إن شاء الله تعالى.

هكذا رأينا أن عمائد الحنفية من علماء الدين والأئمة الناقدين من أمثال الإمام الصفار، والحاكم الشهيد، وشمس الأئمة، والظهير الكبير، وفقيه النفس، وغيرهم من المجتهدين - رحمهم الله تعالى أجمعين - قالوا بجواز التلقين واستحبابه، ولا جرم أنهم كانوا أفقه منا روايةً ودرايةً، ومن جانب آخر لا دليل أصلا خلاف ذلك، بل فيه نفع للأحياء والأموات من المسلمين، وفيه ذكر لله تعالى، وزحمة للأعداء، فما سبب هذا الإنكار؟ وكان ينبغي أن لا ينزل منه إلا على قدر أنه لا يؤمر به، ولا ينهى عنه، وأما القول بعدم الجواز أو بالمنع، فهو دعوى بلا دليل، حاشا لله! هذا ما عندي، والعلم بالحق عند ربي، والله تعالى أعلم، وعلمه جل، ومجده أتمُّ وأحكم.

---

(١) الميزان الكبرى، فصل في بيان ضعف قول من نسب الإمام أبا حنيفة، ١ / ٥٦.

(٢) لم نقف عليه.

الفصل الرابع عشر: التوسل بالأرواح وطلب الدعاء منها:

إن هذا الفصل الرابع عشر يخص بأصل المسألة المسؤولة من قِبل السائل يعني نداء الأرواح، والتوسل بها، وطلب الدعاء منها. وهذا الفصل أيضا جزء من الفصل الثاني عشر بأنه هنا أيضا يُذكر كلام غير السلام، ولأهمية مسألة التلقين وضعنا لها فصلا خاصا. والله الموفق.

القول (١٥٧ - ١٥٩): نقل سيدي الخواجه الحافظي في «فصل الخطاب»، والشيخ المحقّق في «جذب القلوب»: (قيل لموسى الرضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علّمني كلاما، إذا زرت واحدا منكم، فقال: ادن من القبر، وكبِّر الله أربعين مرة، ثم قل: السلام عليكم يا أهل بيت الرسالة، إني مستشفع بكم، ومقدمكم أمام طلبي، وإرادتي ومسألتي، وحاجتي، وأشهد الله إني مؤمن بسركم وعلانيتكم، وإني أبرأ إلى الله من عدو محمد، وآل محمد من الجن والإنس)[١].

القول (١٦٠ - ١٦١): جاء في فتاوى سيدي جمال المكي - قدس سره -: (سئلت عمن يقول في حال الشدائد: يا رسول الله! أو يا علي! أو يا شيخ عبد القادر! مثلا، هل هو جائز شرعا أم لا؟ فأجبت: نعم. الاستغاثة بالأولياء، ونداؤهم، والتوسّل بهم أمر مشروع ومرغوب لا ينكره إلا مكابر أو معاند، وقد حرم بركة الأولياء الكرام، وسئل شيخ الإسلام الشهاب الرملي الأنصاري الشافعي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان! ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء، والمرسلين، والصالحين؟ فأجاب بما نصه: الاستغاثة بالأنبياء، والمرسلين، والأولياء الصالحين جائزة بعد موتهم)[٢].

القول (١٦٢): يقول العلامة خير الدين الرملي الحنفي، أستاذ صاحب الدر

---

(١) جذب القلوب، الباب الثاني عشر، ص: ١٣٨.

(٢) لم نطلع على هذا المصدر.

المختار – رحمة الله تعالى عليهما – في الفتاوى الخيرية: (قولهم: يا شيخ عبد القادر! نداء فما الموجب لحرمته)(١).

القول (١٦٣): يقول أحد من علماء الديار المغربية وأوليائها، السيد أحمد زروق في قصيدته:

أنا لمريـــدي جامـــع لشـتاته إذا ما سـطا جور الزمــان بنكبته

وإن كنتَ في ضيق وكرب ووحشة فناد بـ «يا زروق» آت بسرعته(٢)

يذكر الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي أحوال هذا الأسد الإلهي في كتابه «بستان المحدثين» ويقول: (لقد بَشَّرَ شيخُه سيدي الزيتون – رحمة الله تعالى عليه– في حقه أنه أحد من الأبدال السبعة، له مرتبة عظيمة في علم الباطن، كما له تصانيف كثيرة في العلوم الظاهرة، وهي نافعة)(٣).

ثم قال بعد ذكر التصانيف: (المختصر أنه رجل عظيم المرتبة لا توصف، وهو من الصوفية المتأخرين المحققين، الذين جمعوا بين الطريقة والشريعة، يفتخر أجلة من العلماء بالتلمّذ عليه، ويتباهون به، مثل العلامة شهاب الدين القسطلاني، الذي سبق ذكره، والعلامة شمس الدين اللقاني)(٤).

ثم قال: (له قصيدة أيضا على طراز القصيدة الغوثية، وإليكم أبيات منها)(٥). وذكر البيتين السابقين فقط.

القول (١٦٤ – ١٦٥): نقل الإمام ابن الحاج عن «سفينة النجاة» للإمام ابن

---

(١) الفتاوى الخيرية، دار المعرفة، بيروت، كتاب الكراهة والاستحسان، ٢ / ١٨٢.

(٢) ينظر: بستان المحدثين للشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي، مطبوعة كراتشي، ص: ٣٢٢.

(٣) ينظر: بستان المحدثين، ص: ٣٢٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص: ٣٢١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص: ٣٢١.

النعمان: (الدعاء عند قبور الصالحين، والتشفع بهم معمول عند علمائنا المحققين من أئمة الدين)[١].

القول (١٦٦ - ١٧٠): في «اللباب»، وشرحه، و«الاختيار»، و«الفتاوى الهندية»، واللفظ للأولين فإنه أتم: (جزاكما الله عن ذلك مرافقته في جنته، وإيانا معكما برحمته، إنه أرحم الراحمين. وجزاكما الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، جئنا يا صاحبي رسول الله ﷺ زائرين لنبينا، وصديقنا، وفاروقنا، ونحن نتوسّل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا إلى ربنا)[٢].

وكذلك في المدخل: (يتوسّل بهما إلى النبي ﷺ، ويقدّمهما بين يديه شفيعين في حوائجه)[٣].

القول (١٧١): وقال الشيخ المحقق في «أشعة اللمعات»: (ليت شعري! ماذا يريد أصحاب هذه الفرقة من الإمداد والاستمداد حتى ينكرونها؟! والذي نفهمه هو أن الطالب لا يدعو إلا الله، ويتوسل بروحانية هذا العبد الصالح، أو يقول لهذا العبد الصالح: يا عبد الله! وحبيبه! اشفع لي؟ أو ادعُ لي الله أن يقبل دعائي؟ فلو كان هذا المعنى شركا، كما يظنه المنكرون ظنا فاسدا، لتحتّمَ عليهم أن يمنعوا من الاستمداد، وطلب الدعاء من الأولياء في حياتهم الدنيوية أيضا! والحق أنه مستحب ومستحسن بالاتفاق ومعروف ومشهور. والروايات والمشاهدات عن الاستمداد والاستفادة بأرواح الكاملين من مشايخ أهل الكشف كثيرة، لا تعدُّ، ولا تُحصى، وهي مذكورة في رسائلهم، وكتبهم، ومشهورة فيما بينهم، لا حاجة لنا إلى إعادتها، ولعلها لا تفيد هؤلاء المنكرين المتعصبين. عافانا الله من ذلك! وقد طال بنا الكلام في ترديد هؤلاء المنكرين وتذليلهم الذين تشكلوا فرقة في هذا العصر، ينكرون الاستمداد بأولياء

---

(١) المدخل، فصل في زيارة القبور، ١ / ٢٤٩.

(٢) المسلك المتقسط مع إرشاد الساري، باب زيارة سيد المرسلين ﷺ، ص: ٣٤٠.

(٣) المدخل لابن الحاج، فصل في الكلام على زيارة سيد الأولين ﷺ، ١ / ٢٥٨.

الله والاستمداد بهم، ويعدون المتوجهين إلى حضرات الأولياء مشركين من عبدة الأصنام! ويتفوّهون ما يتفوهون!)[١].

وعبّرَ الشيخ عن هذا المضمون عند شرحه بالعربية كالآتي: (إنما أطلنا الكلام في هذا المقام رغما لأنف المنكرين، فإنه قد حدث في زماننا شرذمة ينكرون الاستمداد من الأولياء، ويقولون ما يقولون، وما لهم على ذلك من علم، إن هم إلا يخرصون)[٢].

وكذلك ذكر معنى التوسل والاستمداد على الوجه المذكور في «جذب القلوب»، وقال: (لا حاجة إلى النص القطعي في هذا الشأن، بل يكفيه عدم النص على منعه)[٣].

القول (١٧٢): قال شيخ الإسلام في «كشف الغطاء» المذكور، وهو الذي اعتمد عليه صاحب «مئة مسائل» وعدَّه من العلماء المحدثين، واستند إليه في مواضع عديدة من كتابه، وهذا نصه: (لا يعرف سبب معقول لإنكار الاستمداد، إلا أن ينكر التعلق بين الروح والبدن كليا، وهذا خلاف النص. وعلى هذا التقدير يصبح الذهاب إلى القبر، والقيام بالزيارة لغوا، لا معنى له. وهذا كلام آخر تردُّ عليه جميع الآثار والأحاديث، وتقوم على خلافه دليلا. وليس الاستمداد إلا أن المحتاج يطلب حاجته من الله سبحانه تعالى متوسلا بروحانية العبد المقرَّب إليه، أو ينادي هذا العبد، ويقول له: يا عبد الله وحبيبه! اشفع لي وادع لي الله، حيث لا شائبة للشرك هنا، كما يتوهم المنكر)[٤].

القول (١٧٣): يقول سيدي محمد العبدري في المدخل عن زيارة قبور الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والتسليم -: (يأتي إليهم الزائرون، ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم، فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر،

---

(١) أشعة اللمعات، باب حكم الأسراء، الفصل الأول، ٣ / ٤٠١.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) جذب القلوب، الباب الخامس عشر، حكم زيارة القبر المكرّم، ص: ٢٤٢.

(٤) كشف الغطاء، الفصل العاشر في زيارة القبور، ص: ٨٠ - ٨١.

والفاقة، والحاجة، والاضطرار، والخضوع، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم الإجابة ببركتهم، فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم)[١].

الفصل الخامس عشر: في تصريحات العلماء عن سماع الموتى:

القول (١٧٤ - ١٧٨): إن الإمام خاتمة المجتهدين تقي الملة والدين السبكي رحمه الله وضع فصلا في الباب التاسع في حياة الأنبياء من كتابه «شفاء السقام» بعنوان: «ما ورد في حياة الأنبياء»، وفصلا آخر بعنوان: «حياة الشهداء»، وثالثا بعنوان: «في حياة سائر الموتى وسماعهم كلامهم وإدراكهم»، وأثبت فيه سماع الموتى وعلمهم بالأحاديث الصحيحة من صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرهما. وقال: (وعلى الجملة هذه الأمور ممكنة في قدرة الله تعالى، وقد وردت بها الأخبار الصحيحة، فيجب التصديق بها)[٢].

وبعد أن حقّق حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - الحقيقية في الفصل الأول، قال: (أما الإدراكات كالعلم والسّماع، فلا شكّ أنّ ذلك ثابت لسائر الموتى، فكيف بالأنبياء)[٣].

وقرّره الإمام جلال الدين السيوطي في «شرح الصدور»، ونقل تحقيقا أنيقا للسبكي المذكور، الذي قال عنه الإمام زين الدين المراغي في شرح المواهب: أنه «المحدِّث العالم النحرير»، ثم قال: (إنه مما يعزو وجوده، وفي مثله، فليتنافس المتنافسون)[٤].

ونقل الإمام القسطلاني في المواهب قول الإمام السبكي هذا، وتحسين الإمام

---

(١) المدخل، فصل في زيارة القبور، ١ / ٢٥٢.

(٢) شفاء السقام للسبكي، الفصل الثالث في سائر الموتى، ص: ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه، الباب التاسع، الفصل الأول، ص: ١٩١ - ١٩٢.

(٤) المواهب اللدنية نقلا عن زين الدين المراغي، «حي في قبره»، ٢ / ٦٩٦.

زين الدين له استنادا، ثم نقل العلامة عبد الباقي الزرقاني في شرح المواهب أحاديث في تأييده وتقريره.

القول (١٧٩): قال الإمام الموصوف في الفصل الخامس من الباب المذكور: (كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت؛ فإنه قد يقال: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت، وهذا خيال ضعيف؛ لأنا لا ندعي أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع، وإنما ندعي أن السماع بعد الموت حاصل لحيٍّ، وهو إمّا الروح وحدها حالة كون الجسد ميتا، أو متصلة بالبدن حالة عود الحياة إليه)[1].

القول (١٨٠): قال الشيخ المحقق في «جذب القلوب» نقلا عن العلامة القونوي أنه قال بعد ذكر الأحاديث الكثيرة: في جميع هذه الأحاديث دليل على أن للموتى سماعا وإدراكا، ولا شك أن السماع صفة تشترط لها الحياة، وعلى هذا فالجميع أحياء، إلا أن حياتهم أدنى درجةً من الشهداء، وحياة الأنبياء - صلوات الله تعالى عليهم - أكمل من حياة الشهداء)[2].

القول (١٨١ - ١٨٢): يقول الإمام القرطبي، ثم السيوطي عن قراءة القرآن عند القبر: (وقد قيل: إن ثواب القراءة للقارىء، وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ولا يُبعد من كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معا)[3].

أقول: إنه لم يجزم بوصول ثواب القراءة؛ لأنه شافعي المذهب، وعند الشافعي - رضى الله تعالى عنه- لا يصل ثواب العبادات البدنية، أمّا الجمهور من أهل السنة فيذهبون إلى القول بوصوله مطلقا، وهذا هو مذهب إمامنا - رضي الله تعالى عنه -

---

(١) شفاء السقام للسبكي، الباب التاسع، الفصل الخامس، ص: ٢٠٩.

(٢) جذب القلوب، الباب الرابع عشر، ص: ٢٢٠.

(٣) شرح الصدور، باب في قراءة القرآن للميت، ص: ٣١٢.

وقد رجَّحَه المحققون الشوافع أيضا، وصحّحوه، منهم الإمام السيوطي في «أنيس الغريب». ولهذا لا شكّ عندنا أن ثواب التلاوة يصل الميت.

القول (١٨٣): قال صاحب «المرقاة» بعد ذكر سماع الأنبياء وإدراكهم: (سائر الأموات أيضا يسمعون السلام والكلام). وأضاف قائلا: (وهذه المسائل كلها ثابتة بالأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة)[١].

القول (١٨٤): يقول العلامة الحلبي في «سيرة إنسان العيون» نقلا عن الإمام أبي الفضل خاتم الحفاظ:

(سماع موتى كلام الخلق حق قد جاءت به عندنا الآثار في الكتب)[٢]

القول (١٨٥): ويقول ملك العلماء بحر العلوم مولانا عبد العلي اللّكنوي المرحوم في «الأركان الأربعة»: (وما قيل إنّ التلقين لغو لأن الميت لا يسمع، فهذا باطل)[٣].

القول (١٨٦): قال صاحب «زهر الربى في شرح سنن النسائي» بعد التحقيق والتفصيل: (فثبت بهذا أنه لا منافاة بين كون الروح في عليين، أو الجنة، أو السماء، وأن لها بالبدن اتصالا، بحيث تدرك، وتسمع، وتصلي، وتقرأ، وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشاهد به هذا، وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا)[٤].

القول (١٨٧ - ١٨٩): يقول العلامة عبد الرؤوف في «التيسير»، ومولانا علي القاري في «المرقاة» نقلا عن القاضي، واللفظ للمناوي: (النفوس القدسية إذا تجرّدت

---

(١) المرقاة شرح المشكاة، باب الجمعة، الفصل الثاني، ٣ / ٢٣٨.

(٢) إنسان العيون للحلبي، مصطفى البابي، مصر، باب بدء الأذان، ٢ / ٤٣٥.

(٣) رسائل الأركان، المكتبة الإسلامية، كوئتا، فصل في حكم الجنازة، ص: ١٥٠.

(٤) زهر الربى شرح سنن النسائي، كتاب الجنائز، ١ / ٢٩٣.

عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الأعلى، ولم يبق لها حجاب، فترى، وتسمع الكل، كالمشاهد)[١].

القول (١٩٠): قال صاحب المرقاة نقلا عن المحدث العلامة ابن الملك تحت حديث: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن، ولا إنس، ولا شيء»: (تنكيرهما في سياق النفي لتعميم الأحياء والأموات)[٢].

فقد صرّح هنا بأن بقاء العلم والسماع بعد الموت لا يخص ببني آدم فقط، وإنما يشمل الجن أيضا، وهذا هو المطلوب لانعدام المخصِّص.

القول (١٩١-١٩٨): لقد أثبت سماعَ الموتى الإمامُ إسماعيل، والإمام البيهقي، والسهيلي، والإمام القسطلاني، والعلامة الشامي، والعلامة الزرقاني، وأجابوا على دليل الإنكار، كما يظهر بالمراجعة إلى «الإرشاد»، و«المواهب»، و«شرحها»، وغير ذلك من أسفار العلماء.

ونُقِلَ إثبات السماع في «المواهب» عن الإمام ابن جابر أيضا، وحقّقه الإمام العسقلاني، والإمام العيني، والإمام القسطلاني، في شروح البخاري، كما حققه الإمام السخاوي، والإمام السيوطي، والعلامة الحلبي، وعلي القاري، والشيخ المحقق، وغيرهم.

ولِما أن هذه الأقوال تتعلق بتلك المباحث التي حملتها في هذه الرسالة على الدور الآتي، ولهذا نعجل ذكرها لوقت آخر. والله الموفق.

القول (١٩٩): وقال الشيخ المحقق في «جذب القلوب»: (من عقيدة جميع أهل السنة والجماعة إن الإدراكات مثل العلم والسماع ثابتة لجميع الأموات)[٣].

القول (٢٠٠): قال الشيخ المحقق في «جامع البركات»: (يقول الإمام السمهودي:

---

(١) التيسير شرح الجامع الصغير، تحت حديث: «حيثما كنتم فصلوا علي»، ٢ / ٥٠٢.

(٢) مرقاة شرح المشكاة، باب فضل الأذان، الفصل الأول، ٢ / ١٦٠.

(٣) جذب القلوب، الباب الرابع عشر في فضائل زيارة سيد المرسلين ﷺ، ص: ٢١٤.

إن جميع أهل السنة والجماعة يعتقدون عن إدراكات الموتى من عامة أفراد البشر، كالعلم، والبصر، والسماع)[١]. انتهى والحمد لله رب العالمين.

لقد استوفى الفقير - غفر الله تعالى - بما وعد به بإعداد مائة اسم للعلماء الكرام، فأضاف عليه مائة أخرى، هكذا اكتمل عدد المائتين. وبحمد الله.

الملاحظة: لا يظنن ظان أنه هذه هي دلائلنا فحسب، لا، بل التي لم ننقلها، هي أكثر. علاوة على هذا التزم الفقير - غفر له الله المولى القدير - بأن لم يذكر تلك الأحاديث، والآثار، وأقوال العلماء الأقدمين والمحدثين، التي تصرِّح بحياة النبي ﷺ وعلمه العظيم، وسمعه الجليل، وبصره الكريم، وذلك لوجوه:

أوّلاً: ظنا بالمسلمين حسنا بأنه ليس من مسلم مؤمن بكلمته ﷺ من يعتقد فيه أنه ﷺ مثل سائر الأموات، وحتى نرجو من أصحابٍ هذه الطائفة أيضا، الذين يعتقدون عن أرواح الموتى أنها جماد، أن يتحاشوا عن ذكر هذه الكلمة المبغوضة، ومَن لا يجتنب منها - معاذ الله، وأستغفر الله - فإنه شقي، لئيم، لا يستحق الكلام والخطاب، بل جوابه عذاب الله! والعياذ بالله رب العالمين.

ثانياً: والله! فلقد غمزني الخجل والندم بأن أذكر من عندي اسمه ﷺ المبارك الشريف، في مثل هذا المبحث من «لا»، و«نعم». وأما ما كان من جانب المخالفين، فقد اضطررنا إلى ذكر طرف منها إظهارا للحق والصواب.

ثالثاً: لكثرة الدلائل حيث ضاق بنا المجال، اضطررنا إلى الاستغناء عن ذكره ﷺ بهذه الأقوال المتعلقة بخدّامه، الذين وصلوا إلى هذه المدارج العالية، فلا تسأل عن عظمته! والعظمة لله، فإنهم لم يتشرفوا بهذه المكانة، إلا بطفيل السيد المؤنس الدائم ﷺ، وعلى آله وصحبه، وابنه الأكرم، سيدي مولاي الغوث الأعظم، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) لم نقف عليه.

النوع الثاني

في أقوال الأكابر من الأسرة العزيزية

وسنذكر هنا الأقوال المختلطة، ومطالب هذا النوع أيضا تنقسم مثل النوع الثاني، وإليك مائة قول لهؤلاء أيضا، وبالله التوفيق:

الفصل الأول: الموت لا يغير من الروح شيئا[1]:

المقال (١): يكتب الشاه ولي الله في «فيوض الحرمين»: (إذا انتقلوا إلى البرزخ، كانت تلك الأوضاع والعادات والعلوم معهم، لا تفارقهم)[2].

المقال (٢): وفيه: (إذا مات هذا البارع لا يفقد هو، ولا براعته، بل كل ذلك بحاله)[3].

المقال (٣): وفيه أيضا: (كلُّ من مات من الكمل يتخيل إلى العامة أنه فقدَ من

---

(١) لم يعنون المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الفصل، وإنما هذا من عملنا، وضعنا نظرا لِما يحتوي عليه هذا الفصل.

(٢) فيوض الحرمين للشاه ولي الله، مطبوعة كراتشي، المشهد العظيم، ص: ٤٢.

(٣) المصدر نفسه، التحقيق الشريف، ص: ١١٣.

العالَم، ولا والله! ما فقد، بل تجوهر وقوى)[١].

المقال (٤): يقول الشاه عبد العزيز في التفسير العزيزي: (إن الروح لا تتغير بموت الإنسان أصلا، بل تبقى حاملة القوى، كما كانت، وكذلك يبقى لها الشعور والإدراك، بل يزداد أكثر شفافية ووضوحا)[٢].

المقال (٥): ويقول في «التحفة الاثنا عشرية»: (لمَّا تنفصل الروح من الجسم، تنفصل منه القوى النباتية، إلا أن القوى النفسانية والحيوانية تبقى، ولو كان وجود القوى النباتية شرطا لبقاء القوى النفسانية، للزمَ أن لا يكون في الملائكة شيء من الشعور، والإدراك، والحس، والحركة، والغضب، والدفع! فكذا حال الأرواح في البرزخ مثل أحوال الملائكة التي تتخذ جسما وشكلا وسيلة لها، وتصدر منها أفعال نفسانية وحيوانية بدون النفس النباتية)[٣].

المقال (٦): هذا القاضي ثناء الله باني بتي، الذي اعتمد عليه اسحاق الدهلوي في «مائة مسائل» و«الأربعين»، والميرزا شيخه وممدوحه العظيم، وكتب عنه الشاه ولي الله أنه صاحب الفضيلة والولاية، ومروج الشريعة، ومنور الطريقة، والنور المجسم وأعز الموجودات، ومصدر الأنوار والفيوض والبركات، والشاه عبد العزيز كان يقول فيه: إنه بيهقي الوقت. فهو الذي يقول في تذكرة الموتى: (يقول الأولياء: إن أرواحنا هي أجسامنا، أي: أن أرواحهم تعمل عمل الأجسام وتبدو الأجسام أحيانا في صورة الأرواح لغاية من اللطافة، ويقولون: إنه ﷺ لم يكن له ظل، كانت أرواحهم تسبح في الأرض والسماء والجنة حيث تشاء، ولهذا لا تأكل الأرض أجسادهم في القبر، بل يبقى حتى الكفن، روى ابن أبي الدنيا عن الإمام مالك أن أرواح المؤمنين تسبح حيث تشاء. والمراد من المؤمنين هم الكاملون الذين أعطي أجسامهم قوة أرواحهم،

---

(١) المصدر السابق، ص: ١١١.

(٢) التفسير العزيزي، تحت آية: «ولا تقولوا لمن يقتل أمواتا»، مطبوعة دلهي، ١ / ٥٥٩.

(٣) التحفة الاثنا عشرية، سهيل أكاديمي، لاهور، الفصل الثامن، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠.

فيصلون في قبورهم ويذكرون الله، ويقرأون القرآن)[١].

المقال (٧): يكتب الشاه عبد العزيز في التفسير العزيزي بعد أن ذكر أن أرواح الأنبياء والأولياء وعامة من الصلحاء - على سيدهم وعليهم الصلاة والسلام - تكون بعضها في الأعلى العليين، وبعضها بين السماء والأرض، وبعضها على بئر زمزم: (إن لهذه الأرواح تعلقا بالقبر أيضا، ولهذا تعلم الزائر من الأصدقاء والأعزاء، وتستأنس بهم؛ وذلك لأن بعد المكان وقربه لا يؤثران في إدراكهم. ومثاله في وجود الإنسان روح بصره التي يمكن أن تبصر النجم على السماء السابعة من أعماق البئر)[٢].

المقال (٨): في مظاهر الحق ترجمة المشكاة: (القسم الخامس يخص بالكرم والأنس،ففي الحديث أنه «من يمرُّ بقبر أخيه المؤمن فليسلم عليه، فإنه يعرفه ويردُّ على سلامه)[٣]. وعزاه للإمام النووي.

المقال (٩): نقل المولوي إسحاق في «الأربعين» عن «نصاب الاحتساب» أنه منع زيارة القبور للنساء مطلقا، وقال: (إن المرأة لما تنوي الخروج للزيارة تكون ملعونةً، ولما تخرج تحفُّها الشياطين من أربعة جوانبها، وإذا أتت القبر تلعنها روح الميت)[٤].

فقد نقل الشيخ هذه العبارة لإثبات دعواه المطلقة، ولكنه لم يلاحظ أن هذا النقل قد قضى على فكره عن جمادية الموتى، حيث صرّح الكلام المذكور دليلا واضحا على أن الميت يطلع على حضور الزائر ويعرف أنه رجل أم امرأة، ويقع في الحرج أيضا بتعامل الزائر غير المناسب حتى يلعن المرأة الزائرة.

---

(١) تذكرة الموتى والقبور، مع ترجمته بالأردية «مصباح النور»، باب مقر الأرواح، ص:٧٥-٧٦.

(٢) التفسير العزيزي، تحت آية: «إن كتاب الأبرار لفي عليين»، ص: ١٩٣.

(٣) مظاهر حق ترجمة مشكاة المصابيح، مطبوعة لاهور، باب زيارة القبور، الفصل الأول، ١ / ٧١٦ - ٧١٧.

(٤) مسائل أربعين مع ترجمته بالأردية، مطبوعة كراتشي، المسألة ٣٩، ص: ٩٦.

المقال (١٠): يقول المرزا مظهر جان جانان في ملفوظاته عن حضرة الصديق الأكبر - رضي الله تعالى عنه -: (لقد أنشدت قصيدة في شأنه ذات مرة، فأكرم على هذا الفقير كثيرا، وقال لي تواضعا إنني لا أستحق بكل هذا المدح)[١].

المقال (١١): وفيه عن حضرة المولى علي - كرَّم الله تعالى وجهه الكريم - قال: (ومرة أنشدت قصيدة في هذا الجناب)[٢].

المقال (١٢): يكتب الشاه ولي الله في «حجة الله البالغة»: (إذا مات الإنسان كان للنسمة نشأة أخرى فينشيء فيض الروح الإلهي فيها قوة فيما بقى من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام)[٣].

المقال (١٣): يقول الشاه عبد القادر رحمه الله في «موضح القرآن» تحت آية: «وما أنت بمسمع من في القبور»: (جاء في الحديث أن تقولوا للأموات: السلام عليكم. فإنهم يسمعون، وفي كثير من المواضع خوطب الأموات، وسر حقيقته أن أرواح الأموات تسمع، وأما الأجساد الملاقاة في القبر فهي لا تسمع)[٤].

الفصل الثاني: في بقاء تصرفات الأولياء وكراماتهم بعد الوفاة:

المقال (١٤): يكتب الشاه ولي الله في الهمعات: (إن أقوى شخصية في أولياء الأمة وأصحاب الطريقة هو حضرة الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الذي إليه ترجع جميع طرق العشق الكاملة على جهة التأكيد، ولهذا قال الصالحون إنه يتصرّف في قبره الشريف كالأحياء)[٥].

---

(١) ملفوظات ميرزا مظهر جان جانان من الكلمات الطيبات، مطبع مجتبائي، دلهي، ص: ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٨.

(٣) حجة الله البالغة، المكتبة السلفية، لاهور، باب حقيقة الروح، ص: ١٩.

(٤) موضح القرآن، مطبوعة لاهور، تحت آية: «وما أنت بمسمع من في القبور»، ص: ٤٨٠.

(٥) الهمعات، أكاديمية الشاه ولي الله، حيدر آباد، الهمعة الحادية عشر، ص: ٦١.

المقال (١٥): وقسّم الشاه ولي الله أهل البرزخ في «حجة الله البالغة» في أربعة أقسام وقال: (إذا مات انقطعت العلاقات، فلحق بالملائكة، وصار منهم، وألهم كإلهامهم، وسعى فيما يسعون فيه، وربما اشتغل هؤلاء بإعلاء كلمة الله ونصر حزب الله، وربما كان لهم لمة خير بابن آدم)[١].

المقال (١٦): في التفسير العزيزي: (إنه أعطي الأولياء الخاصة الذين خلقهم الله لإرشاد بني آدم وتكميلهم، في هذه الحالة (البرزخ) قوة التصرف، ولا يمنع استغراقهم من التوجه إلى هذا الجانب في المشاهدة الإلهية لوسعة مداركهم)[٢].

اعتمادا على هذه العبارة اضطرّ الشيخ المنكر إلى قبول زيادة الإدراك لبعض الأموات.

المقال (١٧): يقول المرزا مظهر في مكتوباته: (لا تزال تبقى تصرفات بعض الأرواح للكاملين بعد ترك تعلقها بالجسم)[٣].

المقال (١٨): لا أدري بأي قلب يقرُّ إسماعيل الدهلوي في كتابه «الصراط المستقيم» عن حضرة المولى حلّ المشكلات - كرَّم الله وجهه الكريم - فيقول: (لهِمة حضرة علي أثر في سلطنة السلاطين وحكومة الحكام، لا يخفى على من يسيح في عالم الملكوت)[٤].

المقال (١٩): وفيه قال بعد ذكر عظمته: (إنه تفوق كثيرا شأن حضرات الشيخين نسبة إلى العظمة المذكورة، ومثاله في العالَم الظاهر مرتبة ذلك الأمير الكبير الذي فرغ عن الأمور السياسية، ويعيش في خدمة الملك نسبة إلى أمير آخر يرتبط بشؤون المملكة

---

(١) حجة الله البالغة، باب اختلاف أحوال الناس في البرزخ، ص: ٣٥.

(٢) التفسير العزيزي، تحت آية: ﴿والقمر إذا اتسق﴾، ص: ٢٠٦.

(٣) مكتوبات الميرزا مظهر جان جانان مع الكلمات الطيبات، المكتوب الرابع عشر، ص: ٢٧.

(٤) الصراط المستقيم، المكتبة السلفية لاهور، الهداية الثانية في الذكر، ص: ٥٧.

وإدارتها، فإن كانت عظمته الظاهرة وكثرة أتباعه أكثر من ذلك الأمير المصاحب، إلا أنه يفوقه عزة وعظمة؛ لأنه مع كل ما يمتاز به من عظمة وحشمة فإنه أحد أتباع ذلك المصاحب؛ لأن مشورته وتدبيره تجري على جميع أتباع الملك)[١].

المقال (٢٠): في مظاهر الحق: (القسم الثالث من الزيارة هو الحصول على البركة، وتلك الزيارة هي التي تكون لقبور الصالحين؛ وذلك لأن لهم تصرفاتٍ وكراماتٍ في البرزخ، لا تعد ولا تحصى)[٢]. عزاه للإمام النووي.

الفصل الثالث: في فيوض الأولياء وإمدادهم بعد انتقالهم من الدنيا:

المقال (٢١ - ٣١): قال الشاه ولي الله والمولوي خرم: (... ثم ينتظر لِما يفيض من صاحب القبر على قلبه)[٣].

وفي العزيزي: (إن أهل الحاجات يطلبون منهم حل مشكلاتهم)[٤].

وقال الشاهان [٥]، ثم المولوي خرم علي: (إن النسبة الأويسية قوية وصحيحة، لها فيض روحي وتربية روحانية)[٦].

وفي العزيزي: (الانتفاع بالأولياء المدفونين جار)[٧].

وقال الميرزا مظهر في شأن سيدنا علي - كرم الله تعالى وجهه -: (أنشدتُ

---

(١) الصراط المستقيم، الهداية الثانية في الذكر، ص: ٥٨ - ٥٩.

(٢) مظاهر حق، باب زيارة القبور، ص: ١ / ٧١٦.

(٣) القول الجميل مع ترجمته شفاء العليل، الفصل الخامس: «كشف القبور والاستفاضة بهم»، ص:٧٧.

(٤) التفسير العزيزي، تحت آية: ﴿والقمر إذا اتسق﴾، ص: ٢٠٦.

(٥) يقصد به: الشاه ولي الله، والشاه عبد العزيز - رحمهما الله تعالى.

(٦) القول الجميل مع ترجمته شفاء العليل، الفصل الحادي عشر، ص: ١٩٨.

(٧) التفسير العزيزي، جزء عم، الاستفادة بالأولياء المدفونين، ص: ١٤٣.

قصيدةً في شأن المولى علي - كرَّم الله وجهه الكريم - فأغدق علي بكرمٍ خاص)[١].

وقال الشاه ولي الله والمولوي خرم علي: (إن الشاه عبد الرحيم[٢] تلقى الأدب بروح جده للأم)[٣]. كما مرَّ هذا كله في المقصد الأول.

المقال (٣٢): قال الميرزا المذكور في ملفوظاته: (لفرط محبتي لأمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولِما لي صلة قوية بالسلسلة النقشبندية التي مرجعها إليه، يطرأ على النسبة الباطنية حجاب طفيف حسب المقتضيات البشرية، وتلقائيا يحصل لي التوجه، وبفيضه تتجلى المكدرات)[٤].

المقال (٣٣): وفيه: (لقد علم التفات حضرة الشيخ غوث الثقلين على متوسلي هذه الطريقة العلية، حيث لم نجد أحداً من أهل هذه الطريقة مَن لا يكون له التفاتة خاصة)[٥].

المقال (٣٤): ثم قال: (إن حضرة الشيخ الخواجه نقشبند ليلتفت على مريديه بعنايةٍ كثيرةٍ، فإن رجال المغول كانوا يودعون متاعَهم وخيولهم في حفظه عند النوم، فتصحبهم التأييدات الغيبية. وفي هذا الباب شواهد كثيرة يطول بها ذكرها)[٦].

المقال (٣٥): ثم قال: (إن سلطان المشايخ نظام الدين أولياء رحمه الله يلتفت على الذين يزورون قبره بعناياتٍ كثيرة)[٧].

---

(١) ملفوظات الميرزا مظهر جان جانان من الكلمات الطيبات، ص: ٧٨.

(٢) هو والد الشاه ولي الله الدهلوي، مرّت بنا ترجمته.

(٣) شفاء العليل ترجمة القول الجميل، الفصل الحادي عشر: «سلسة الطريقة»، ص: ٢٠٠.

(٤) ملفوظات الميرزا مظهر جان جانان من الكلمات الطيبات، ص: ٧٨.

(٥) ملفوظات ميرزا، ص: ٨٣.

(٦) ملفوظات الميرزا مظهر جان جانان من الكلمات الطيبات، ص: ٨٣.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٨٣.

المقال (٣٦): ثم قال: (وكذلك يلتفت الشيخ جلال الباني بتي أيضا)[(١)].

المقال (٣٧): إن القاضي ثناء الله الباني بتي، الذي سبق مدحه في المقال السادس، يكتب في «تذكرة الموتى»: (إن أولياء الله يمدون أحباءهم ومريديهم في الدنيا والآخرة، ويُهلكون أعداءهم، ويفيضون عليهم بالفيوض الروحانية على الطريقة الأويسية)[(٢)].

المقال (٣٨ - ٤٥): والقاضي المذكور نفسه يذكر في «السيف المسلول» مرتبة القطبية بأن يقول: (إن الفيوض والبركات تنزل على أولياء الله من حضرة الله سبحانه أولا على شخص واحد منهم، ثم تنقسم منه على أولياء الزمان كلهم حسب مراتبهم وصلاحياتهم، ولا يصل إلى وليٍّ إلا بوساطته، ولا يفوز أحد من أهل الله على مرتبة الولاية إلا بوسيلته، وإن جميع الأقطاب، والأوتاد، والأبدال، والنجباء، والنقباء، وجميع الأقسام من الأولياء محتاجون إليه، ويطلق على صاحب هذه المرتبة العليا «الإمام»، و«قطب الإرشاد بالإصالة» أيضا. وإن هذا المنصب العالي كان خاصّاً بالروح الطاهرة لحضرة علي المرتضى - كرَّم الله وجهه الكريم - منذ ظهور آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ)[(٣)].

ثم خصّ القاضي هذا المنصب للأئمة الأطهار بالترتيب وقال: (قد بقيَ هذا المنصب متعلقا بروح حضرة العسكري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - منذ وصاله إلى ظهور سيد الشرفاء غوث الثقلين محيي الدين عبد القادر الجيلاني رحمه الله).

ثم قال: (وحينما ظهر حضرة الشيخ غوث الثقلين تعلق هذا المنصب بروحه، وسيبقى متعلقا به حتى ظهور الإمام محمد المهدي).

ثم قال: (وسيبقى هذا المنصب العالي متعلقا بروح الإمام محمد المهدي إلى

---

(١) المصدر السابق، ص: ٨٣.

(٢) تذكرة الموتى والقبور، مع ترجمته بالأردية «مصباح النور»، باب مقر الأرواح، ص: ٧٦.

(٣) السيف المسلول، مع ترجمته بالأردية، فاروقي كتب خانة، ملتان، خاتمة الكتاب، ص: ٥٢٧ - ٥٢٩.

حيث آخر الزمان).

وقال أخيرا: (باستطاعتنا أن نثبت دعوانا هذه بالكتاب والسنة)[١].

وأصل هذه الأقوال الثلاثة من كلام جناب الشيخ المجدد الألف الثاني، كما ذكرها في المجلد الثالث، مكتوب ٤٣/ ١٢٣ مفصلا.

وقد أضيف في كلامه ما يأتي: (بعد حضرة المرتضى قررَ الأئمة الاثنا العشرية بالترتيب والتفصيل، ففي عصورهم، وكذلك من بعدهم لم يصل إلى أحد من فيض إلا بوسيلتهم، وكان هؤلاء هم مراجع للجميع حتى جاء دورُ الشيخ عبد القادر الجيلاني).

وقد قرر المجدد حصول هذا المنصب لنفسه في المجلد الثاني، ولما اعترض عليه أنه كيف بقيَ تعلقُ هذا المنصب مختصا بالشيخ الغوث الأعظم؟ فأجاب على ذلك في المجلد الثالث قائلا: (إن مجدد الألف الثاني في هذا المقام قائم مقام الشيخ، فالأمر ما زال متعلقا بالشيخ بكونه نائبا عنه، كما يقال إن ضوء القمر مستفاد من ضوء الشمس. فلم يبق اعتراض)[٢].

المقال (٤٦– ٥٨): إن الشاه ولي الله الدهلوي يعتقد في «الانتباه»، وأساتذته وشيوخه الذين يصل عددهم إلى اثني عشر عالما ووليا من بلاد العرب والهند، كلهم يعتقدون أن لحضرة المولى علي – كرم الله وجهه الكريم – عونا لهم عند الشدائد، ويعدون قول القائل: «وتجده عونا لك في النوائب» حقا.

وسيأتي نقله في الوصل الآتي – إن شاء الله تعالى.

المقال (٥٩): كتب الشاه ولي الله في الهمعات: (من النسبة التي يعدُّ بها عند أهل الطريقة «النسبة الأويسية» أيضا، سواء كانت هذه نسبة إلى أرواح الأنبياء – عليهم

(١) السيف المسلول، مع ترجمته بالأردية، ص: ٥٢٩.

(٢) مكتوبات الإمام الرباني، مطبع نولكشور، لكناؤ، ص: ٥٢٩.

الصلاة والسلام - أو إلى أرواح أولياء الأمة أو إلى الملائكة، وقد تصبح نسبة بروح ما، وذلك بأن سمع فضائله فحدثت في قلبه محبة خاصة، فتكون تلك المحبة سببا لفتح طريقة بين ذلك الشخص والروح أو لكون أنها روح شيخه، أو شيخ شيخه فإنها تكون فيه تلقائيا قوة إرشاد لمن انتسب إليها)[١].

وفيه: (من ثمرات هذه النسبة (الأويسية) التشرف برؤية جماعة والانتفاع بها وإظهار صورتها عند الشدائد من الهلاك والمصائب، وانتساب حلِّ المشاكل إلى تلك الصورة).

المقال (٦٠): وفيه: (من ثمرات هذه النسبة الأويسية رؤية هذه الجماعة في المنام، والانتفاع بهم، وظهور الأيدي المساندة لهذه الجماعة عند الشدائد، وبهم تحل المشاكل)[٢].

المقال (٦١): وفيه: (لو يكون في عصرنا لأحد تعلق بروح خاصة واكتساب فيض منها فلا يكون خارجا عن تعلق بحضرة رسول الله ﷺ، أو بحضرة أمير المؤمنين علي المرتضى - كرَّم الله وجهه الكريم - أو بحضرة الغوث الأعظم الجيلاني رضي الله عنه. ومن يكن له تعلق بجميع الأرواح فأسباب هذه الخصوصية أسباب طارئة، وذلك بأن يحب ذلك الصالح أكثر، ويختلف إلى قبره، حيث أصبح هذا المعنى محركا من طرف القابل، وكانت لذلك الصالح همة قوية في ذلك الشخص المنسوب إليه، وتلك الهمة ما زالت باقيةً في الروح إلى الآن. وهذا المعنى هو الذي أصبح محركا من جانب فاعله)[٣].

المقال (٦٢): في «حجة الله البالغة»: (قد استفاض من الشرع أن لله تعالى عباداً، هم أفاضل الملائكة، وإنهم يكونون سفراء بين الله وبين عباده، وإنهم يلهمون في قلوب بني آدم خيراً، وإن لهم اجتماعات كيف شاء الله وحيث شاء الله يعبر عنهم باعتبار ذلك

---

(١) الهمعات، الهمعة ١١، ص: ٥٦ - ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٩.

(٣) الهمعات، ص: ٦٢ - ٦٣.

بالملأ الأعلى، وإن الأرواح أفاضل الآدميين دخولا فيهم، ولحوقا بهم، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]. والملأ الأعلى ثلاثة أقسام، قسم هم: نفوس إنسانية ما زالت تعمل أعمالا منجية تفيد اللحوق بهم حتى طرحت عنها جلابيب أبدانها فانسلكت في سلكهم وعدت منهم)[١].

المقال (٦٣): في التفسير العزيزي: (إنها لتجتمع جميع أجزاء البدن في مكان واحد عند الدفن، ويصبح تعلق الروح بالبدن بنظر العناية، وهكذا يسهل التوجه إلى الزائرين والمستأنسين والمستفيدين)[٢].

المقال (٦٤): لقد كتب إسماعيل الدهلوي في «الصراط المستقيم»: (لحضرة المرتضى نوع من الفضيلة على حضرات الشيخين، وتلك هي فضيلة كثرة الأتباع، وفوزه على مقامات الولاية من قطبية، وغوثية، وأبدالية، وغيرها فإنه الوسيط في جميع هذه المراتب من عصره إلى نهاية الدنيا)[٣].

المقال (٦٥): وفيه: (إن الحق - جلَّ وعلا - يحف الطالب بحفظه وأمانه، بنفسه أو بوساطة الملائكة، أو بواسطة الأرواح المقدّسة، بسبب بركة التوسل بالقرآن)[٤].

المقال (٦٦): في «مائة مسائل» للمولوي إسحاق: (السؤال: ما حكم شخص ينكر فيوض الروح المباركة لمحمد رسول الله ﷺ وفيوض أرواح الأنبياء الآخرين المقدسة - عليهم الصلاة والسلام - وفيوض الأرواح للأولياء الله، في عالم البرزخ؟ الجواب: من ينكر الفيض الشرعي الذي ثبت بالأحاديث المتواترة فهو كافر، ومن أنكر الفيض الذي ثبت بالأحاديث المشهورة فهو ضال، وما ثبت بالخبر الواحد فمنكره

---

(١) حجة الله البالغة، باب: ذكر الملأ الأعلى، ١/ ١٥ - ١٦.

(٢) التفسير العزيزي، جزء عم، ص: ١٤٣.

(٣) الصراط المستقيم، الهداية الثانية، ص: ٥٨.

(٤) المصدر نفسه، الباب الرابع، ص: ١٤٨.

مذنب لترك القبول بشرط أن يثبت ذلك الخبر بطريق صحيح أو بطريق حسن)[١].

وإن كان هذا الجواب كله مبنيا على الخداع، ولكنه قد رأى الجميع بأمٍّ عيونهم أن السؤال كان عن فيض البرزخ، ولهذا من الواجب أن يشمله الجواب أفيكفي هذا القدر لنفي جنونه أو ينكر ديانته وإخلاصه أو أنه إخفاء حق وتلبيس بالباطل؟!

المقال (٦٧): يقول الشيخ مجدد الألف الثاني في مكتوباته: (صدف لي أن مررت بدلهي بعد أن انتقل ملجأُ الإرشاد، وقبلةُ الاعتقاد، الخواجة الباقي بالله، إلى الله، وذلك بمناسبة الزيارة لضريحه الشريف، فذهبت لزيارة عتبته يوم العيد، فأثناء توجهي إلى حضرته كشف بي التفات كامل لروحانيته المقدسة وبكرمه الخاص على هذا الفقير شرفني بنسبة خاصة كانت له بحضرة الخواجه الأحرار)[٢].

الانتباه: ولتلاحظ في هذا النص أنه وردت فيه ألفاظ يبغضها أرباب هذه الطائفة المتعصبون، مثلا «بتقريب زيارت مزار شريف»، وهي تعني: «حفلة زيارة الضريح»، وكذلك لفظ «غريب نواز» [٣] يعني: «معطي الفقراء»، وهذا الذي يلقب به حضرة الخواجه معين الدين الأجميري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المقال (٦٨): يكتب الشاه ولي الله في «أنفاس العارفين» عن حالة أستاذه

(١) مائة مسائل، السؤال السادس إلى الثامن، ص: ١٦ – ١٧.

(٢) مكتوبات الإمام الرباني، ١/ ٤١٣.

(٣) هذا لقب الشيخ معين الدين السجزي الأجميري، لُقِّبَ به لِما كان يهطل على الفقراء والمساكين بكثرة العطاء في حياته الظاهرة، كما لا يزال عطاؤه باقيا إلى يومنا هذا على كل من توجّه بوسيلته إلى الله؛ وذلك لأنه عبد مقرّب في جنابه تعالى. والشيخ هو الذي راجت به السلسلة الجشتية في الديار الهندية، أصله من سلالة النبي ﷺ نزل الهند من بلاد الفارس من الحدود الغربية، ووصل إلى دلهي، ثم ارتحل إلى مدينة «أجمير»، حيث اتخذها مقرّاً له، وبها توفي سنة ٦٣٤هـ، وقبره فيها يزار. جاء في خزينة الأصفياء: إن آلاف الناس صغارا وكبارا كانو يسلمون على يده حتى اشتعل سراج الإسلام في الهند –نوَّر الله تعالى مرقده.
(ينظر: تاريخ الطرق الصوفية، تأليف: يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٧م، ص: ١٢).

المحدث إبراهيم الكردي رحمه الله: (مكث في بغداد حوالي سنتين، فكان يتوجّه في أكثر الأحيان إلى ضريح السيد عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثناء مكوثه هناك، ومن هنا انكشف له الطريق إلى المعرفة وتذوقها)(١).

المقال (٦٩): وفيه كتب عند ترجمة حضرة المير أبي العلى - قدس سره -: (أنه توجَّهَ إلى ضريح فائض الأنوار لخواجه معين الدين الجشتي - قدس سره - فاكتسب من هذه الحضرة فيوضا وبركات، كما حصل على لطف وكرم خاص منه)(٢).

المقال (٧٠ - ٧١): وفيه نقل عن جده للأم أبي الرضا محمد: (كان يقول إنه رأى مرة حضرة الغوث الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في اليقظة حيث علَّمني أسراراً عظيمة)(٣).

المقال (٧٢): وفيه كتب عند ترجمة الشيخ المذكور فقال: (اشتكت عجوز من زمرة المخلصين بالحمى الشديدة بعد وفاة حضرة الشيخ، وكانت هذه العجوز قد أصبحت هزيلة منهوكة القوى، ولم يكن لديها شخص آخر يخدمها، وذات ليلة احتاجت للماء وغط اللحاف، فلم تقدر على ذلك، فتمثل لها الشيخ، وأعطاها الماء وغطاها باللحاف، ثم غاب عنها فجأة)(٤).

المقال (٧٣ - ٧٥): وفي القول الجميل: (تأدب شيخنا عبد الرحيم من روح الأئمة: الشيخ عبد القادر الجيلاني، والخواجه بهاء الدين محمد نقشبند، والخواجه معين الدين بن الحسن الجشتي، وإنه رآهم، وأخذ منهم الإجازة، وعرف نسبة كل واحد منهم على حدتها مما فاض منه على قلبه، وكان يحكي لنا حكايتها رَحِمَهُمُ اللَّهُ (٥).

---

(١) أنفاس العارفين، مع ترجمته بالأردية، اسلامك بك فاؤنديشن، لاهور، ترجمة: «الشيخ إبراهيم الكردي»، ص: ٣٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ترجمة: «مير أبي العلى»، ص: ٦٩.

(٣) المصدر السابق، ترجمة: «الشيخ أبي الرضا محمد»، ص: ١٩٤.

(٤) أنفاس العارفين، «إمداد الأولياء»، ص: ٣٦٩.

(٥) القول الجميل مع ترجمته شفاء العليل، الفصل الحادي عشر، ص: ٢٠٣.

ومن الطرفة أن المولوي خرم علي الذي خانَ في ترجمة «رآهم»، فأضاف: «في الرؤية»، وقال: (خواب مين ديكها)[١])، وعبارته «في الرؤية» لا ذكر لها في نص الشاه ولي الله أصلا، مع ذلك اضطر إلى التسليم بفيض الأرواح العالية ومنحها الإجازة.

المقال (٧٦ - ٧٧): يقول الميرزا جان جانان: (حصل الاثنان على الطريقة من حضرة الشيخ عبد الأحد رحمه الله شخص أخذ عنه الطريقة القادرية، وشخص آخر أخذ عنه الطريقة النقشبندية، يقول حضرة الشيخ: إنه حضرت روح حضرة الغوث الأعظم وأخذت معها الصورة المثالية للشخص المريد، كما حضرت روح حضرة الشيخ الخواجه النقشبندي وأخذت الصورة المثالية لذلك الشخص المريد له - رحمهم الله جميعا)[٢].

المقال (٧٨): كتب إسماعيل في «الصراط المستقيم» عن شيخه وقال: (إن أرواح غوث الثقلين، وحضرة الخواجة بهاء الدين لَتوجهتا إلى حضرة الشيخ، وتنازعتا حوالي شهر واحد، فإنّ كلّا من هاتين الروحين المقدستين كانتا تطالبان استقطاب حضرة الشيخ إليها كاملا. وبعد انتهاء هذا النزاع بمصالحة المشاركة بيوم واحد تجلّت الروحان على حضرة الشيخ وتأثرتا عليه تأثيرا حتى حصلت له نسبة منهما في ذلك الوقت)[٣].

المقال (٧٩): وفيه: (لقد ذهب حضرة الشيخ يوما إلى المرقد المنوّر لحضرة الخواجة قطب الدين بختيار الكعكي[٤] - قدّس سره العزيز - وجلس هناك في

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣.

(٢) ملفوظات الميرزا مظهر، ص: ٨٣.

(٣) الصراط المستقيم، الباب الرابع، ص: ١٦٦.

(٤) هو أحد خلفاء الشيخ معين الدين الجشتي الثلاثة، الذين فازوا على مراتب عالية في التصوف، واحتذوا خطة شيخهم فاستفاد منهم ملايين الرجال من الشعب الهندي روحيا وماديا، يقول ابن بطوطة حاكيا سبب تسميته بالكعكي: «وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه إذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة، أو الذين لهم البنات ولم يجدوا ما يجهزون به إلى أزواجهن، يعطي مَن أتاه كعكةً من الذهب أو الفضة حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي». =

المراقبة، فأثناء ذلك تحققت على روحه الفاتحة علامات، وتوجه الشيخ عليه توجها قويا حتى تحققت له ابتداء النسبة الجشتية)[1].

الفصل الرابع: في الاستمداد بالأولياء:

إن هذا الوصل في أصل المسألة المسؤولة من قبل السائل، وهي الاستمداد بالأولياء الكرام، والالتجاء إليهم، وطلب الدعاء منهم، ونداءهم عند الحاجة.

المقال (٨٠ – ٨٨): قال الشاه ولي الله في الهمعات: (ليذهب إلى زيارة قبورهم، ويطلب منهم حاجاته)[2].

وقال في رباعيته:

فيض قدس از همت ايشـان ميجو أي: اطلبوا فيض القدس بهمتهم[3]

ثم يقول المولوي خرم علي: (ليقترب من الميت، ويقول: يا روح!)[4].

وفي التفسير العزيزي: (إن الأويسيين يكتسبون منهم كمالاتهم الباطنية)[5].

= وكانت شخصية الشيخ مثالا نادرا في الورع والزهد، تأثر به الملك العادل السلطان ألتمش، فكان يزوره، وينصت لنصيحته، توفي الشيخ بدلهي سنة ٦٣٤هـ وقبره فيها يزار. رحمه الله تعالى رحمة واسعة. (تنظر ترجمته في: تذكرة أولياء الهند والباكستان، تأليف: مفتي ولي حسن التونكي، مطبوعة كراتشي، ص: ٥٥ – ٦٨. ورحلة ابن بطوطة، ص: ٤٨٣).

(١) المصدر نفسه، ص: ١٦٦.

(٢) الهمعات، الهمعة الثامنة، ص: ٣٤.

(٣) الهمعات، مكتوبات الشاه ولي الله مع الكلمات الطيبات، مطبع مجتبائي، دلهي، المكتوب الثاني والعشرين، ص: ١٩٤.

(٤) القول الجميل مع ترجمته شفاء العليل، الفصل الخامس: «كشب القبور واستفاضة الأبدان بهم»، ص: ٧٨.

(٥) التفسير العزيزي، تحت آية: «والقمر إذا اتسق»، ص: ١٠٢.

وقال: (إن أصحاب الحاجات بهم يطلبون حوائجهم)(١).

وفيه: (إن الاستفادة بأولياء الله المدفونين جار)(٢).

قال الميرزا عن المولى علي - كرم الله وجهه الكريم -: (إنه يتوجه إليه في المصيبة الجسمانية)(٣). وقد مرّت جميع هذه الأقوال في المقصد الأول.

وقال الشاه عبد العزيز عن السيد أحمد زروق: (إنه شخص جليل القدر ومرتبة كماله مما يفوق ذكرها). ثم نقل عنه قوله: (سأُمِدُّ شخصا بالفور قال: يا زروق!)(٤). كما مرَّ بنا في المقصد الأول.

المقال (٨٩): في وصايا الميرزا: (اطلبوا الفيوض بزيارة أضرحة الأولياء)(٥).

المقال (٩٠ - ١٠٢): يكتب الشاه ولي الله في كتابه «الانتباه في سلاسل أولياء الله»: (لقد اكتسب هذا الفقير خرقة من الشيخ أبي طاهر الكردي، وإنه أجاز بكل ما كان في «الجواهر الخمسة»)(٦).

ثم قال: (إن الفقير لما وصل إلى لاهور في سفره إلى الحج تشرَّفَ بتقبيل يد الشيخ محمد سعيد اللاهوري، وإنه أجاز في «الدعاء السيفي»، بل أجاز بجميع العمليات من «الجواهر الخمسة»)(٧).

وإنّ هذا الشيخ أبا طاهر الكردي المدني شيخ الشاه ولي الله في الحديث والطريقة، استفاد منه في المدينة المنورة بخدمته سنوات في أخذ سلاسل الحديث، وعنه أخذ

---

(١) المصدر نفسه، الاستفادة بالأولياء المدفونين، ٥ / ١٤٣.

(٢) المصدر السابق، ٥ / ١٤٣.

(٣) ملفوظات الميرزا، ص: ٧٨.

(٤) بستان المحدثين، ص: ٣٢١.

(٥) الكلمات الطيبات، نصائح ووصايا لمرزا، ص: ٨٩.

(٦) الانتباه في سلاسل الأولياء، مطبوعة دلهي،الطريقة الشطارية، ص: ١٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٣٨.

الشاه عبد العزيز، وعنه المولوي إسحاق، وقال عن الشيخ محمد سعيد في «الانتباه»: (إنه شيخ مسن من مشايخ الطريقة الممتازين)[١].

حيث ذكر أخذ السلسلة عن الشيخين، مما ثبت إن الشيخ إبراهيم الكردي والد الشيخ أبي طاهر المدني، وأستاذه الشيخ أحمد القشاشي، وأستاذه الشيخ أحمد الشناوي، وأستاذ الأستاذ للشاه ولي الله أحمد النخلي، هؤلاء الأربعة من شيوخ الشاه ولي الله في الحديث، كما يظهر من المسلسلات وغيرها.

وهو عن شيخه المعمر الثقة، وهو عن شيخه محمد أشرف اللاهوري وشيخه مولانا عبد الملك، وشيخه با يزيد الثاني، وشيخ الشيخ الشناوي سيد صبغة الله البروجي، وشيخهما مولانا وجيه الدين العلوي، فإن جميع هؤلاء العلماء أخذوا إجازة أعمال «الجواهر الخمسة» من أساتذتهم، ومنحوا تلامذتهم، وأما الشاه محمد غـوث الغوالياري فهو المنتهى لهذه السلاسل، ومؤلف «الجواهر الخمسة» - رحمهم الله جميعا -. وإليك الآن ما جاء في تركيب الدعاء السيفي في «الجواهر الخمسة» المذكور: (أن يقرأ سبع مرات أو ثلاث مرات أو مرة واحدة كلمة «ناد عليا» وهي:

نـــــاد عليـــا مظهـــر العجائـب   تجــده عونـــا لــك فــي النوائب

كـــــل هـــم وغـــم سـينـجلي   بولايتك يا علي يــا علي يا علي[٢]

فلو كان الاعتقاد عن علي أنه حل المشكلات وأنه عون عند النوائب ونداؤه عند المصائب وترديد اسمه الشريف «يا علي يا علي» شركا، لكان الجميع من المذكورين كلهم مشركين وكفارا، وسيدهم الكافر الشديد الشاه ولي الله! والعياذ بالله؛ لأنه هو الذي يجعل المشركين أولياء الله، ويعدهم من شيوخه، ومرشديه، ومراجعه في

(١) المصدر السابق، ١٣٨.

(٢) الجواهر الخمسة، مع ترجمته بالأردية، دار الإشاعة، مسافر خانه، كراتشي، الفصل الثالث عشر في المناجات والأدعية، ص: ٢٨٢ و ٤٥٣.

السلسلة، ومنهم يأخذ السند في الحديث، ويخدمهم سنوات، ويقول فيهم: إنهم شيوخ ثقات وعادلون، ويعبر عن لقائهم بتقبيل أياديهم.

هكذا ضاع سند الحديث لِما دخل في هذه السلسلة هؤلاء المشكّكون!

ونفس هذا التعلق للشاه عبد العزيز بالشاه ولي الله من خدمة، ومحبة، ومبايعة، وتلمذ، ومدح، فعلى حد قولك يشمل هذا المشرك الأعظم والكافر الأكبر في سند هؤلاء؟

فأيّة عظمةٍ هذه! لقد صعب حفظ الإيمان، إنا لله وإنا لله راجعون.

وإذا كانت هذه حال العظماء فأين منهم إسحاق، وإسماعيل فإن كراماتهم كلها تضاع في أتون الشرك، ولم يلدوا إلا في نسب الشرك، فالشيخ مشرك، والأستاذ مشرك، ولم يفتحوا عيونهم إلا وقعت على وجوه المشركين، ولم يضلوا إلا فيهم، ولم يتربوا إلا في مهودهم، ولم يرضعوا إلا حليبهم، ولم ينشأوا إلا في أكنافهم، ولم يعملوا إلا عملهم، ولم يتعلّموا إلا منهم، ولم يقرأوا إلا عليهم، ولم يخضعوا طول أعمارهم إلا لهم، فالجد للأب مشرك، والجد للأم أيضا مشرك، والعياذ بالله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله الحق المبين.

فليلاحظ المسلمون ما جزاء الذين جعلوا النداء «يا علي يا علي» شركا! فلو لم يحكموا على المسلمين بحكم الشرك لَما تحملوا عبء الشرك على أنفسهم سلفا وخلفا، إذن لا مناص لهم إلا أن يتبعوا الطريق الحق، ويتركوا الحكم بالشرك على المسلمين الصادقين، وإلا يدبروا لهم ولرجالهم المخرَج من هذا المأزق. فمن حفر بئرا لأخيه وقع فيها. نسأل الله العافية وحسن العاقبة.

المقال (١٠٣): نقل في «الانتباه» المذكور عن بعض مشايخ الحضرات القادرية - قدست أسرارهم - في حصول المهمّات وقضاء الحاجات: (أن يصلي أولا ركعتين من النفل، ثم الصلاة على النبي (١١١) مرة، ثم كلمة التمجيد (١١١) مرة، ومائة مرة كلمة «شيئا لله يا شيخ عبد القادر الجيلاني»)[١].

---

(١) الانتباه في سلاسل الأولياء، ص: ١٣٨.

المقال (١٠٤): يقول الشاه عبد العزيز في «التحفة الاثنا عشرية»: (إن الذين خضّبوا أيديهم بدماء عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليتَهم لو صبروا عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة، لَدوت سماء السند، والهند، وتركستان، والصين، أيضا بصوت «يا علي! يا علي!» مثل إيران وخراسان)[١].

المقال (١٠٥): وإليك قول الشاه هذا في رسالته «الفيض العام» عن الاستعانة بأضرحة الأولياء، حيث قال: (وطريق الاستمداد بهؤلاء بأن يقول باللسان: يا سيدي! أنا التجي إلى حضرة الله لشيء، أنت أيضا تدعو لي بالشفاعة والدعاء، ولكنه عليه أن لا يستمد إلا بالحضرات المشهورين)[٢].

هذا جواب خاص عن الصورة المسؤولة. والله الهادي إلى سبيل الصواب.

الحمد لله! لقد انتهى هذا النوع أيضا، وقد كنت وعدت مائة قول لكنه تجاوز إلى مائة وخمسة؛ وذلك لأنه في المقصد الأول خمسة وثلاثون سؤالا، وفي المقصد الثاني ستون حديثا، ثم مائتا قول في النوع الأول، وبمائة وخمسة تمَّ العدد الكامل لأربع مائة. وهكذا ثبتت دعوانا بأنه يعترض على أصل مذهب الشيخ المعهود وكتابته في عدة أسطر بأربع مائة اعتراض. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) التحفة الاثنا عشرية، مطاعن عثمان، رضي الله تعالى عنه، ص: ٣١٤.

(٢) الفتاوى العزيزية، رسالة «الفيض العام»، مطبع مجتبائي، دلهي، ١ / ١٧٧.

الخاتمة
في فتوى لعلماء العرب عن سماع الموتى

لقد وصلنا نبأ بطريق يوثق بها أثناء تأليف هذه الرسالة بأن الشيخ المعهود يقول: إنه لو ردَّ أحمد رضا على ما كتبنا لنقوم بإرسال كلتا الكتابتين إلى علماء بهوبال حتى يحكموا عليهما.

أقول: إنه لا يعقل التحكيم بدون قبول الطرفين يا شيخ! أنت رجل فاضل ما شاء الله! لماذا لا ننصف المسألة هنا، فإن طلاب التحقيق لا يترددون من إظهار الحق.

عليك أولا أن تقرأ رسالة الفقير هذه فإذا تجلى عليك الحق وجب عليك التسليم به، وإلا اكتبْ جوابا عليها ولك الاختيار أن تستعين وتستمد بمن تشاء سواء من البهوباليين أو البنغاليين. وإن أبيتَ إلا التحكيم، وفيه صلاح للوقت فإنك لن تجد أحدا من بين أهل الهند إلا هو أحد الفريقين بلا مرجح، إذن أي وجه لترجيح البهوباليين على المصطفى آباديين؟ ولهذا نغض طرفنا عن هؤلاء كلهم ونجعل التحكيم عند علماء العرب حيث بزغت منه شمس الإسلام، وإليه ترجع. ولا يجد الشيطان سبيلا إلى الجمهور من علمائهم، إن شاء الله تعالى.

فإن أعجبك رأي هذا، فعندي فتوى مصدّقة بطبع خواتم وتوقيعات أكابر علماء

العرب، وفي هذه الفتوى رد جلي على أكثر مسائل الوهابية، ولقد صرح فيه بأن هذه الطائفة الجديدة ضالة مضلة ومبتدعة.

يقدم الفقير - غفر له الله تعالى - ملخصا وملتقطا هذه الفتوى في عدة سطور تتعلق بمسألة السماع مع شرح وتوقيعات العلماء. والله الهادي.

فقد جاء فيها جواب عن السؤال بأن الوهابية يدعون ويعتقدون بعدم سماع الموتى وإدراكهم: هذا الادعاء افتراء قبيح، وهذا الاعتقاد اعتداء صريح، فإن العلماء المحققين من الحنفية والشافعية وغيرهم قد أثبتوا اطلاع الإنسان في البرزخ وسماعه لسلام الزائر وكلامه ومعرفته والأنس به بالأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة، وتلك المسألة مع دلائلها مصرحة في المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري الحنفي، وشرح الصدور للحافظ السيوطي، وشفاء السقام للإمام السبكي، وغيرها من الكتب المشهورة لجمهور المحققين، حتى أشاروا إليه في كتب العقائد المشهورة، فقد صرح في المقاصد وشرحه أنه عند المعتزلة وغيرهم البدنية المخصوصة شرط في الإدراك، فعندهم لا يبقى إدراك الجزئيات عند فقد الآلات، وعندنا يبقى، وهو ظاهر من قواعد الإسلام، ولهذا ينتفع بزيارة قبور الأبرار، والاستعانة من نفوس الأخيار[1].

وبالجملة، فالنفس الإنسانية تبقى لها الإدراكات، ولها تعلقات كثيرة بموضع دفن جسدها، والأحاديث والآثار شاهدة لذلك لا ينكرها لحد العلم بها إلا مكابر معاند.

وبعد ذلك ردّوا على شبهات المنكرين بنصوص العلماء ووقَّعَ عليها العمائد من علماء الحرمين الطيبين، وطبعوا عليها بخواتمهم، وذلك كما يلي:

(١) شرح وتوقيع حضرة الشيخ مولانا محمد بن حسين الكتبي الحنفي مفتي مكة. حيث يقول: (لا كلام فيه ولا شك يعتريه). أمر برقمه محمد بن حسين الكتبي الحنفي مفتي مكة المكرمة عفى عنه بمنه آمين.

---

(١) ينظر: شرح المقاصد للتفتازاني، ٢ / ٤٣.

(٢) شرح وتوقيع حضرة الشيخ وشيخ مشايخنا رئيس المدرسين بالمسجد الحرام مولانا جمال بن عبد الله بن عمر المكي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (لا يلتفت المفيد إلا إليه ولا يعول المستفيد إلا عليه). أمر برقمه رئيس المدرسين الكرام بالمسجد المكي الحرام - الراجي لطف ربه الخفي - جمال بن عبد الله الشيخ عمر الحنفي - لطف الله تعالى بهما.

(٣) شرح وتوقيع حضرة الشيخ مولانا حسين بن إبراهيم المالكي مفتي مكة المكرمة المباركة. ونصه: (لا ريب فيه ولا شك يعتريه المالكية بمكة). كتبه الفقير حسين ابن إبراهيم مفتي المشرفية المحمية.

(٤) شرح وتوقيع حضرة مولانا وشيخنا وبركتنا زين الحرم عين الكرم مولانا أحمد زين دحلان الشافعي مفتي مكة المكرمة - قدس سره العزيز - حيث قال: (رأيت هذا المؤلف الشريف الحاوي لكل برهان لطيف فرأيته قد نص على عقائد أهل الحق المؤيدين وأبطل عقائد أهل الضلال المبطلين). رقمه بقلمه المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زين دحلان.

(٥) شرح وتوقيع مولانا محمد بن غرب الشافعي المدني المدرس بمسجد المدينة الطيبة، وهذا نصه: (تأملت في هذا المؤلف فرأيت مؤلفه قد أجاد ولكل نص سني صريح أفاد). كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد الغرب الشافعي خادم العلم بالمسجد النبوي.

(٦) شرح وتوقيع مولانا عبد الكريم الحنفي من علماء المدينة المنورة. وهذا نصه: (لما تأملت في هذه الرسالة وجدتها كالسيف الصارم للمعاند الضال لا يطعن فيها إلا من اختلّ عقله، وقبحت سيرته في جميع الآجال). من خدام طلبة العلم المتوكل على الله العظيم عبد الكريم بن عبد الحكيم بالمسجد النبوي.

(٧) شرح وتوقيع مولانا عبد الجبار الحنبلي البصري نزيل المدينة السكينة، وهذا نصه: (وقفت على هذا المجموع فألفيته مهندا سلَّ على من شق عصا الجماعة معزالا عن السنة). أشار برقمه إلى الشيخ الأجل الورع الفقيه الزاهد مولانا عبد

الجبار الحنبلي البصري نزيل المدينة المنورة، متع الله المسلمين ببقائه آمين.

(٨) شرح وتوقيع حضرة مولانا السيد إبراهيم بن الخيار الشافعي مفتي المدينة الأمينة، وهذا نصه: (كم طالعت بعد ما اطلعت ردود العلماء الأجلة على الفرقة الضالة المضلة فما رأيت مثل هذه الرسالة). قال بفمه ورقمه بقلمه خادم العلم بالحرم النبوي الشافعي إبراهيم ابن المرحوم محمد خيار الحسني الحرمي.

والحمد لله على حصول المسؤول، وبلوغ الكلام نهاية المأمول، ولقد أعدَّ الفقير عبد المصطفى أحمد رضا السني الحنفي القادري البركاتي البريلوي هذه الرسالة في أوائل رجب ١٣٠٥هـ، ولكنه تأخر تبييضه لِما طرأ علينا أعراض وأغراض من تأليف الرسائل الأخرى كانت الأهم، فالآن ابيضت المسودة في ما سلخ من شعبان من السنة المذكورة عند وقت العصر بحمد الله وعنايته وإعانة حضرة الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام - وقد أفاض عليه صاحب الفيوض السيد المفيض بفيوض جديدة أثناء تبييض هذه الرسالة.

والحمد أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله تعالى على سيدنا، ومولانا محمد، وآله، وصحبه، وابنه، وحزبه، وعلينا بهم، وبارك وسلم تسليما كثيرا. نسأل الله تعالى أن يتقبل سعينا، ويغفر لنا ذنوبنا، ويرحم فاقتنا، ويحيينا مسلمين، ويميتنا مؤمنين، ويحشرنا في زمرة الصالحين، وأن ينفع بهذا التأليف وسائر تصانيفي جميع إخواني في الدين، إنه سميع قريب قدير مجيب، والحمد لله رب العالمين. تمّت وبالخير.



مصادر البحث والتحقيق

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية: ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) أشعة اللمعات شرح المشكاة للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (ت: ١٠٥٢هـ)، ترجمه بالأردية: مولانا محمد سعيد أحمد النقشبندي، نشره: الاعتقاد دار النشر، دلهي، أكتوبر، ١٩٨٨م.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٢٥هـ) دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ٣، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، سنة الطباعة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) الأعلام (قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١٦، ٢٠٠٥م.

(٦) الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي للأستاذ مشتاق أحمد شاه ابن نادر شاه، نشره: إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا، كراتشي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للنسفي أبي البركات حافظ الدين عبد الله ابن أحمد بن محمود الحنفي (ت: ٧١٠هـ)، تأليف: العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم الحنفي (ت: ٩٢٠هـ)، حققه وعلق عليه: أحمد عز وعناية الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨) البداية والنهاية، تأليف: أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٠٠ – ٧٧٤هـ)، تحقيق: براز أبو حيان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، دار أبي حيان، القاهرة.

(٩) تاريخ دار العلوم ديوبند، ترتيب: سيد محبوب رضوي، طبع باهتمام دار العلوم ديوبند سنة ١٩٩٢م.

(١٠) تاريخ الطرق الصوفية، تأليف: يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، مطبعة الأمة، بغداد ١٩٧٧م.

(١١) تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ) وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٨م/ ١٤١٩هـ.

(١٢) تفسير ابن كثير، تأليف: الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(١٣) تفسير أبي السعود أو «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» للقاضي أبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي (ت: ٩٨٢هـ) وضع

حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(١٤) تفسير البيضاوي بحاشية محيي الدين شيخ زادة، ضبطه محمد عبد القادر شاهين، دارالكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(١٥) تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(١٦) تفسير النسفي المسمى بـ «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(١٧) تقوية الإيمان، تأليف: إسماعيل الدهلوي، اهتم به: وقار علي بن مختار علي، مكتبة تهانوي ديوبند ١٩٨٤م.

(١٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر.

(١٩) تهذيب التهذيب في رجال الحديث، تأليف: الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢٠) التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.

(٢١) الجامع للترمذي، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة مصر، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢٣) جذب القلوب إلى ديار المحبوب للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، ترجمه إلى الأردية: سيد حكيم عرفان علي، نشره: رضوي كتاب كهر، بهيوندي (الهند).

(٢٤) حسام الحرمين على منحر الكفر والمين، تأليف: الشيخ العلامة حسن رضا البريلوي، تقديم: الشيخ العلامة عبد الحكيم شرف القادري، نشرته: المكتبة النبوية بلاهور، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٢٥) «حيات أعلى حضرت» (الإمام أحمد رضا) باللغة الأردية، تأليف: ملك العلماء محمد ظفر الدين البهاري، اهتم بنشره: رضا أكاديمي، ممبئي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢٦) الدّر المختار للإمام محمد بن علي الدمشقي المشهور بالحصفكي (١٠٢١هـ - ١٠٨٨هـ) مع رد المحتار لابن عابدين الشامي (١١٩٨هـ ١٢٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد المعوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٢٧) الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢٨) الدولة المكية بالمادة الغيبية للإمام أحمد رضا خان البريلوي، تقديم: الدكتور حازم محفوظ، تصحيح: الشيخ عبد القيوم الهزاروي، مؤسسة رضا، الجامعة الرضوية النظامية، لاهور، الباكستان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢٩) راهنماي مزارات دهلي (المرشد إلى العتبات المقدسة، في دلهي) ترتيب: محمد عاصم القادري، مطبوعة دلهي.

(٣٠) رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن علي الندوي، دار القلم، كويت. ١٩٧٧م.

(٣١) الرّد على من أنكر سماع الموتى لفضيلة الشيخ الدكتور عيسى بن عبد الله بن

الحميري (المدير العام لدائرة أوقاف دبي) نشره: مركز أهل السنة بركات رضا، شارع الإمام أحمد رضا، فوربندر، غجرات، (الهند) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣٢) رد المحتار حاشية الدّر المختار لابن عابدين الشامي (١١٩٨هـ ١٢٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد المعوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣٣) الرسالة القشيرة في علم التصوف للإمام أبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) دار التربية، بغداد.

(٣٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣٥) سنن ابن ماجة، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣٦) سنن أبي داود، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣٧) سنن الدارقطني للإمام الحافظ علي بن عمر (ت: ٣٨٥هـ) علق عليه وخرج أحاديثه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣٨) سنن النسائي، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣٩) سوانح أعلى حضرت باللغة الأردية للشيخ العلامة بدر الدين أحمد القادري، المكتبة النورية الرضوية، سكهر، الباكستان، الطبعة السابعة: ١٩٨٧م.

(٤٠) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، من مطبوعات: مركز أهل السنة، بركات رضا، فور بندر،

غجرات (الهند)، ط / ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤.

(٤١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٩١١هـ)، من مطبوعات: مركز أهل السنة، بركات رضا، فور بندر، غجرات (الهند) الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٤٢) شفاء العليل ترجمة القول الجميل للمولوي خرم علي، مطبوعة فريد بك دبو، متيا محل، دلهي.

(٤٣) صحيح البخاري، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة مصر، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٤٤) صحيح مسلم، مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة مصر، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤٥) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية للإمام أحمد رضا خان المحدث البريلوي، ترجمه وحقق نصوصه: جماعة من العلماء، نشره: مركز أهل السنة، بركات رضا، فور بندر، غجرات (الهند) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٤٦) الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: العلامة الهمام مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٤٧) فقيه الإسلام (العطايا الرضوية في المسائل الشرعية) للدكتور حسن رضا، مطبعة تاج، إله آباد (الهند).

(٤٨) القول الجميل للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، مع شرح شفاء العليل، مطبوعة فريد بك دبو، متيا محل، دلهي.

(٤٩) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى) تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢هـ ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد أديب

الجادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م.

(٥٠) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥) تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

(٥١) مثنوي مولوي معنوي (ديوان شعر في سبعة أجزاء) للشيخ جلال الدين الرومي (ت: ٦٧٢هـ) ترجمه إلى الأردية: القاضي سجاد حسين، نشره: سب رنك كتاب كهر، دلهي، ١٩٧٦م.

(٥٢) مجلة أهل الحديث، اهتم بها: أصغر علي الإمام مهدي السلفي، صدرت عن مركزي جمعية أهل الحديث، أردو بازار، جامع مسجد، دلهي (الهند).

(٥٣) مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري (ت: ١٠١٤هـ) شرح مشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م.

(٥٤) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ٢ ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٥٥) مسند أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

(٥٦) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، مطبوعة فاروقية بك دبو، دلهي.

(٥٧) معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) تأليف: عمر رضا الكحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ.

(٥٨) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار

المعرفة، بيروت، لبنان.

(٥٩) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ) صححه وعلق عليه: عبد الله محمد الصدِّيق، خرج آياته وأحاديثه: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، نشره: مركز أهل السنة، بركات رضا، فوربندر، غجرات (الهند).

(٦٠) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٨٥١ هـ - ٩٢٣ هـ) تحقيق: صالح أحمد الشامي، مركز أهل السنة، بركات رضا، فوربندر، غجرات (الهند).

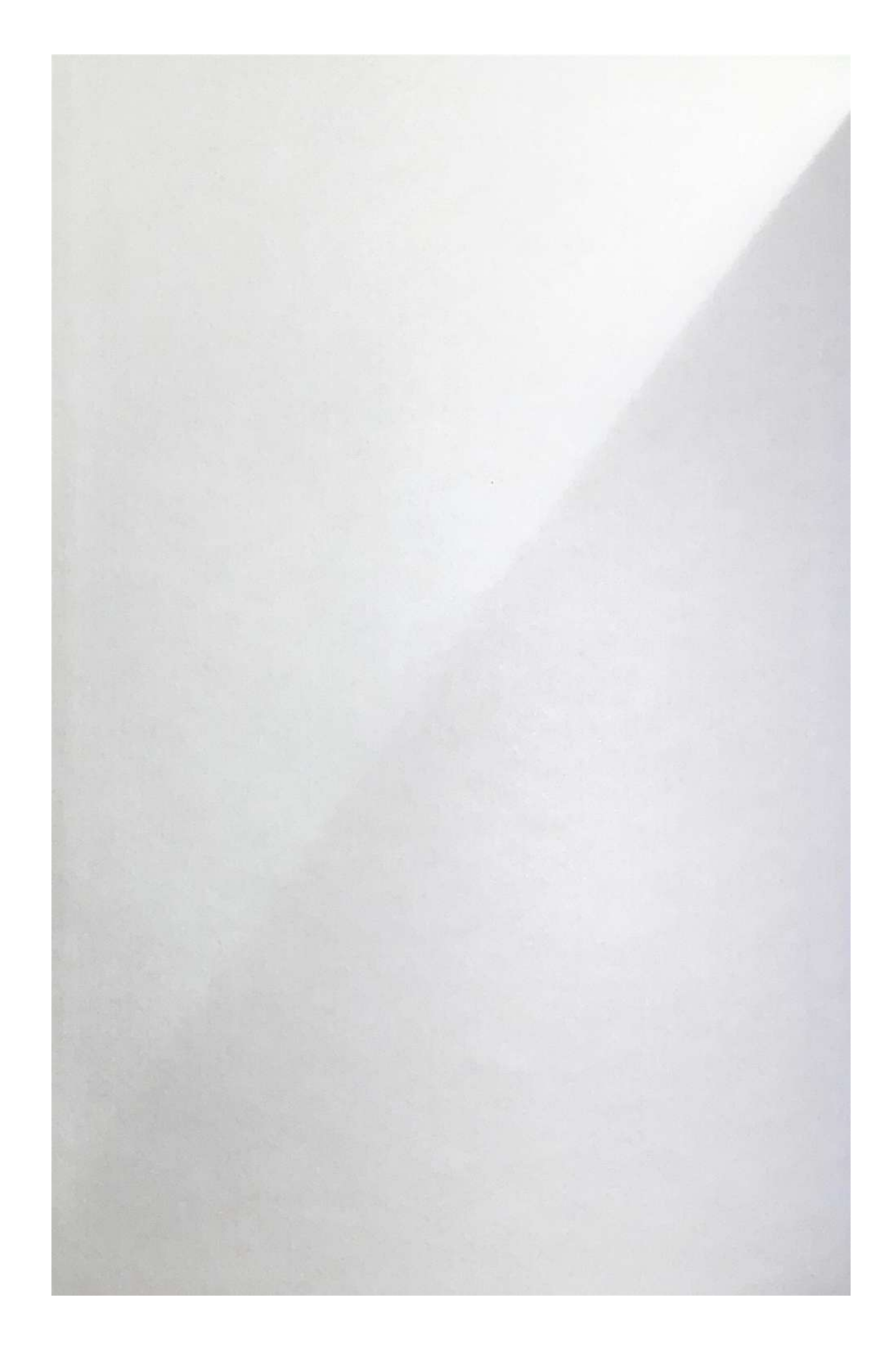
(٦١) النثر الفني عند الشيخ الإمام أحمد رضا خان، دراسة فنية وأسلوبية للأستاذ قاضي السيد عتيق الرحمن شاه البخاري، نشره: إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا، كراتشي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

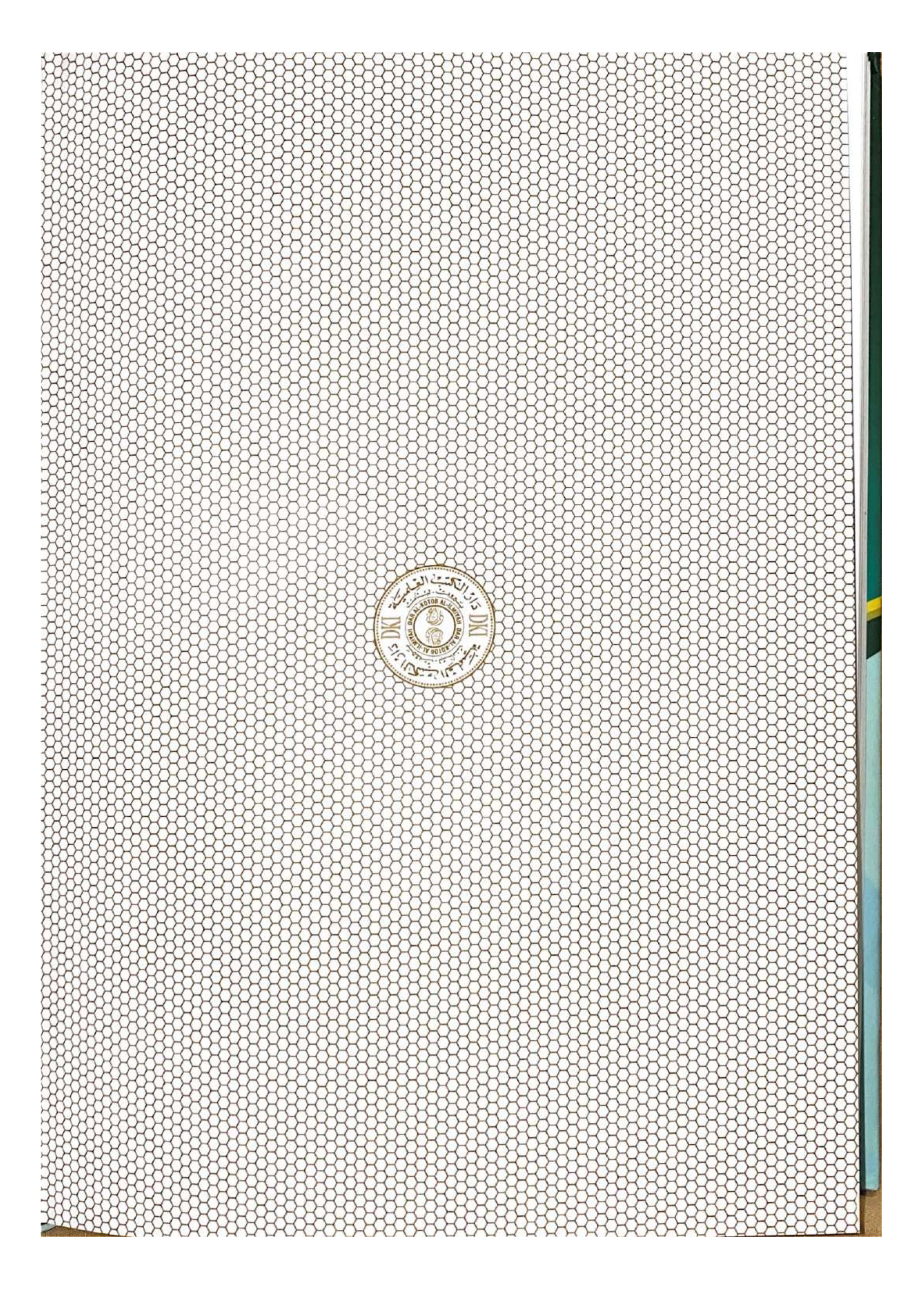
(٦٢) نور الإيضاح للعلامة أبي الإخلاص حسن بن عمار الشُرُنبلالي (٩٩٤ هـ - ١٠٦٩ هـ / ١٥٨٥ م - ١٦٥٩ م) مطبوعة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مباركفور، أعظم جراه.



المحتويات







دار الكتب العلمية
DKI
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
DKI



هَذَا الكِتَاب

إنّ من العقائد المتفق عليها بين علماء الإسلام أن الأرواح لا تفنى بموت أصحابها وأن الميت بخروج روحه قد انتقل من دار إلى دار، والدار التي انتقل إليها أوسع بكثير من الدار التي فارقها.. هذه الحقيقة القطعية قد تعامى عنها بعض الناس. ومن تلك المسائل سماع الأموات لكلام الأحياء، وهي قضية غاية في الموضوع وعليها أحاديث صحيحة وحجج باهرة وبأقل من هذه الحجج بكثير قامت كثير من الأبواب الفقهية.

وهذا الكتاب الموسوم بـ **"حياة الموات في بيان سماع الأموات"** لعلامة الهند شيخ الإسلام مولانا الإمام أحمد رضا خان البريلوي أورد فيه شُبه المنكرين وأدلتهم فناقشها في هذا البحث وردَّ عليها ردًّا هادئًا مقنعًا.

وقد أورد الشيخ الإمام عدة أسئلة وأجاب عنها ودعم إجاباته بالأدلة الصحيحة الموثقة من المصادر الأصيلة.

9.99

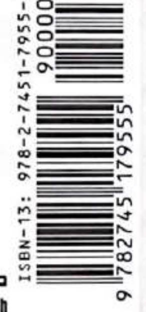
حياة الموات في بيان سماع الأموات

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هاتف 12/ 11/ 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107

info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI www.al-ilmiyah.com



ISBN-13: 978-2-7451-7955-5